تاريخ الفلسفة

من أقدم عصورها الى الآن

تأليف

حنا اسعد فهمي

الحائز دبلوم الليسانس في الحقوق
من جامعة باريس

طبع بالمطبعة اليوسفية بجوار بوستة باب الخلق بمصر

الطبعة الاولى

١٩٢١

عني بنشرها

يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب

ويطلب منه

مآخذ الكتاب :

١ً — الموجز في تاريخ الفلسفة تأليف بنجون عضو المجمع العلمي ومدرس الفلسفة بكلية الآداب بمدينة ليل (بفرنسا)

٢ً — تاريخ الفلسفة تأليف جستون سورتيس مدرس الفلسفة بكليات باريس

٣ً — نبذة مختصرة في تاريخ الفلسفة تأليف أميل بواراك رئيس اكاديمية ديجون ومدرس الفلسفة بكلية كوندرسيه (بفرنسا)

٤ً — قاموس دائرة المعارف الكبرى الفرنساوية ٣٢ جزأ

٥ً — تاريخ الفلسفة تأليف فوييه

استسمحنا صديقنا الاستاذ مؤلف هذا الكتاب في طبع رسمه اظهاراً لنبوغه فأجاب طلبنا بعد الحاح شديد ولذلك تقدم هذا الرسم لقراء العربية ومريدي الفلسفة

كلمة للمؤلف

عند ما بدأنا بطبع هذا الكتاب اطلع عليه بعض العلماء فطلبنا اليهم نقده نقداً صريحاً خالياً من كل مجاملة فوردت لنا مقدمة طلية من حضرة صاحب العزة محمد بك فريد وجدى صاحب التآليف الفلسفية والعلمية الكثيرة فاثبتنا مقدمته في بدء الكتاب . ووردت لنا أيضاً رسالة من الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى أثبتناها لحضرته في آخر الكتاب مع الشكر.

مقدمة وجدي بك

الانسان بما غرز في طبيعته من قوى النظر والاستقراء والاستنتاج كلف منذ وجوده على هذه الارض بفهم سر الوجود الذي يعيش فيه . وادراك حقيقة ذاته المفكرة ومصيرها . فهو الكائن الارضي الوحيد الذي شغلت باله هذه المسائل الضخمة . واستهوته حلولها المختلفة فاتخذها اديانا خضع لها آماداً طويلة أو مذاهب وقف للتأمل فيها معظم قواه العقلية

فتاريخ الفلسفة في الواقع هو تاريخ العقل الانساني في أشرف محاولاته . واكرم اندفاعاته . ولا غرو ان عدت دراسة هذا التاريخ اجل ما يصرف الانسان فيه وقتاً من اوقات فراغه

لا تنحصر فائدة دراسة تاريخ الفلسفة في كونها لذة عقلية كفائدة دراسة الادب او فن من الفنون الجميلة الاخرى . ولكنها تتعدى هذه الدائرة فتبلغ حد الحاجة الفكرية ، فان كل انسان مهما كان شأنه وعمله في الهيئة الاجتماعية لا يخلو من ان تكون له ساعات تسأم فيها نفسه ضوضاء الهموم المادية ، فيرجع الى صميم ذاته فينظر الى الوجود نظر المنقب عن حقيقته ، والى نفسه نظر المتوله بمعرفة ماهيتها ومن أين أتت والى أي حال تؤول . وفي هذه الحالة لابد له من الرجوع الي ما حصله أئمة المفكرين من

نبغاء الامم في جميع ادوار الرقي البشري لينتفع بما مهدته العقول الكبيرة من طرق التفكير . وما نصبته من أعلام الهدى في متاهات النظر والاستقراء . وما وفقت الى حله من عويصات المجاهيل . والا بقي محصوراً في دائرة جهوده الذاتية فلا ينال حظاً مما يتوق اليه . أو يتأدى الى مدركات أولية جازها المفكرون منذ قرون عديدة الى باحات لا يتخيلها تخيلا

فدراسة تاريخ الفلسفة والحال على ما ترى هو من الضروريات العقلية التي يجب ان يكون لها مكان جدير بها من برامج التعليم في المعاهد العلمية كما هو حالها في البلاد الغربية . فان دراسة الفلسفة وتاريخها هنالك من مقررات المواد الدراسية في المدارس الثانوية

اما وقد دللنا على ضرورة الاطلاع على تاريخ الفلسفة فقد وجب علينا ان نأتي مزاولها بكلمة في الاسلوبين المتبعين في تأليفها تفيد في تقدير قدر الكتب الموضوعة لها

أول ذينك الاسلوبين عدم التعرض من الفلسفة الا الى المذاهب التي أوجدتها وثانيهما مواجهة الفكر الانساني باعتبار انه قوة غير متجزئة وسلسلة معنوية ذات حلقات متصلة ووحدة كلية موزعة في المذاهب يمكن ادراك شخصيتها من خلال اختلاف الاشكال المذهبية وتنوع صورها

من هذين الاسلوبين نشأ مذهبان في تألف تاريخ الفلسفة : أولهما يأتيك بتاريخ كل مذهب منها على حدته . وثانيهما يعطيك صورة من توقي الفكر الانساني غير متجزئة دالة على تسلسل ثمرات العقل وتولدها بعضهامن بعض وعلى حركة نموها في خلال ادوار التاريخ

هذا الاسلوب الاخير اكمل الاسلوبين ولكن للثاني عليه ميزة لا يستهان بها وهي انه لتصديه لكل مذهب على حدته يبلغ الغاية في بيانه واظهار خفاياه وان كان لا يحسن ربطه بما تقدم عليه اوتأخر عنه

على هذا الاسلوب الاخير جرى فلاسفة الفرنسيين والانجليز الى عهدغير بعيد . ولكن فلاسفة الالمان اختاروا الاسلوب الاول منذ نحوقرن من الزمان فسارعليه (بروكر) و (تيبدمن) و (تينمن) وقد بذهم جميعاً (هنريخ ريتر) فقداستعان في وضع تاريخه الفلسفي بجميع وسائل الاطلاع الواسع . وكل ثمرات التحليلات البعيدة الغور وغاية ما يصل اليه العلم القويم من الادراك . فجاء عمله اثراً خالداً من آثار الفكر الانساني يبقى مدى الدهر علماً يهتدى به من كان بسبيل هذا الموضوع الخطير

***

هذه كلمة رأيت ان اقدمها ما بين يدى ما انا بصدده الساعة من كتابة مقدمة لمؤلف ممتع في تاريخ الفلسفة وضعه صديقي الاصولى النابغة حنا افندي أسعد فهمي واراه قد جمع بين الاسلوبين المتقدمين فجاء كتابه خلاصة ثمينة لتاريخ المذاهب الفلسفية على نفس أسلوب المصادر القيمة التي بين في فاتحته اعتماده عليها . وقد اجاد كل الاجادة في سلوك سبيل السهولة في سرد الاصول المختلفة وبيان الفروق بينها . وهو مطلب صعب المرام على من يترجم امثال هذه الموضوعات ولكن مؤلفنا الفاضل قداستطاع أن يخرج من هذه المضايق التعبيرية على اكمل الوجوه واحسنها حتى يخيل لمن يقرأ كتابه انه بصدد قصة شيقة لا ازاء موضوع من أعضل الموضوعات وادعاها لاعمال الروية وكد الذهن في التفهم

واني باطلاعي على ما طبعه حضرة المؤلف الي صفحة (١٧٢) لم أجد رغماً على تشديده عليّ في نقد الكتاب ما يصح ان اتخذه مسوغاً للملاحظة الجدية فان ما قرأته حسن في جملته . جميل فى مجموعه أعجز عن توفية صاحبه الثناء الذى يستحقه عليه . الا اني رأيت فيما نقله في باب فلاسفة العرب عن دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية عبارة لا يصح لمثلي ان يخليها من النقد وهى

قول تلك الدائرة : « ان من يعرف الاسلام حق المعرفة يستبعد وجود الفلسفة بجانب الدين الاسلامي لان العلماء الذين اعتنقوا الفلسفة كانوا مضطهدين من رجال الدين والفقهاء وعامة المسلمين لذلك يمكننا القول ان الفلسفة لم تظهر في حيات العرب الا كحادث عرضي سريع الزوال» انتهى

ونحن نقول ان من يعرف الاسلام حق المعرفة لا يستبعد ان تقوم الفلسفة بجانبه بل يراها من ملازماته لانه يدعو الى النظر في الوجود والتأمل في موجوداته والاعتماد على حكم العقل حتى في الاصول الاعتقادية . ويطالب كل آخذ به بمعرفة الدليل على صحة ما هو عليه . فلا يعتد بالايمان التقليدي المبني على التسليم المحض . فدين هذه اصوله الاولية يناسب الفلسفة وخصوصاً الطبيعية منها كل المناسبة . لذلك لم يكن المسلمون الاولون يعرفون وجودها حتى اكبوا على ترجمتها الى لغتهم وفي مقدمتهم خلفاؤهم بذلوا في ذلك جهداً جهيداً . ومالا جما . والاسلام لا يزال في فجره . افلا يدل هذا الحدث وحده على تناسب الاسلام والفلسفة . وهل سمع مثله في تاريخ دين من الاديان المعروفة ؟

نعم ان بعض الفقهاء تصدى لدحض الفلسفة واشار بمنع تعلمها واضطهاد اهلها . وهذا امر طبيعي حيال كل جديد . وحدث دور

عرضي من ادوار القسوة ولكنه زال بزوال الافراد الذين قاموا به ، وعاشت التعاليم الفلسفية في كنف الاسلام ووجدت من أهله صدوراً رحبة ، وكان يستحيل ذلك اذا لم يتسع لها صدر الدين ، وللمسلمين أئمة نافذو الكلمة في كل بلد كانوا يستطيعون خنقها وليدة ، كما فعل غيرهم ، فلم يفعلوا ، وما زالوا محتفظين بالعلم والفلسفه بجانب الدين حتى اعتبروا اورثتهما بعد اليونانيين واعترف الغربيون بان لولا حفظهم لهما لما بقي أثر يذكر ، وشهدوا بان المسلمين هم الذين لقنوهم اسرارها ، وحلوا لهم طلاسمها ، فهل يصح ان يقال عن مثل هذا الحادث الجلل الذي قامت عليه مدنيه من اكبر المدنيات لا تزال آثارها باقيه في القارات الثلاث انه كان حادثاً عرضياً سريع الزوال ؟

لا ننكر انه كان بين الاسلام والفلسفه اليونانيه جهات خلاف ، ولكنه لم يكن خلافاً سلبياً كما يكون بين العلم والجهل ولكنه كان خلافاً أصولياً كما يكون بين المذاهب المختلفه فان للاسلام نفسه فلسفه خاصه به عمادها النظر في الوجود والموجودات (قل انظروا ما في السموات والارض) وتسخير قواه لمصلحه الانسان (سخر لكم ما في السموات وما في الارض) وهي بعينها وجهه الفلسفه الطبيعيه العصريه التي لا تأبه بالظنون والخيالات

ولا تعتد الا بالمحسوسات ، ودليلنا على ذلك ان المسلمين الاولين تهافتوا على الاخذ بكل ثمرات المدنيات التي احتكوا بها بهمة لم تعهد لامة من أمم قبلهم ، ومهروا في العلوم الطبيعية المحسوسة مهارة فاقوا بها جميع من تقدمهم حتى عد لهم مؤرخو الغربيين عشرة آلاف عالم طبيعي (راجع دائرة معارف لاروس في مادة عرب) وهذا عدا من حفظت سجلات العلوم اسماءهم ، فماذا كان عدد من لم يصلوا الى درجة خلود الذكر من تلاميذهم واشياعهم

فتنكر المسلمون الاولين للفلسفة القديمة يشبه تنكر المذهب العلمي العصرى لها ، أليس يعدها فى درجة لا تليق بجلاله ؟ افيقال لهذا السبب ان العلم العصري عدو للفلسفة على الاطلاق ؟

هذا بحث بعيد الغور ربما اودعناه رسالة خاصة وانما أشرنا اليه هنا لنقابل به غمز دائرة المعارف

ولا يسعنا في هذا المقام أيضاً اغفال الشكر لصديقنا مؤلف هذا الكتاب على ما اتاحه لنا من الفرصة لابداء هذه الكلمة في الفلسفة الاسلامية

واننا نقدم عمله الجليل هذا الى القراء كثمرة يانعة من ثمرات جهود متماثلة في موضوع تحتاج اليه الشبيبة المصرية في هذه النهضة العلمية ، كافأه الله عليها بما يكافيء به المخلصين في عملهم والعاملين في اخلاصهم

محمد فريد وجدي

تمهيد

١ تاريخ الفلسفة

هو تاريخ أولئك المفكرين الذين نبغوا في العالم وأحسنوا الى الانسانية بابحاثهم الفلسفية ، وبيان العقائد والنظم التي قرروها .

وليس الفيلسوف رئيساً دينياً يرعى شعباً ، ولا عالماً يكرس وقته لنوع خاص من العلوم البشرية كالمحامي والطبيب والمهندس الخ ، بل هو انسان يفكر بحرية في القضايا والمسائل العامة التي تقع تحت حسه وادراكه

وليست الفلسفة محصورة في شاب دون غيره أو فئة من الناس دون أخرى ، بل كل انسان فيلسوف في وقته اذ تلفت نظره في بعض الاحيان تغيرات هذا الكون وظواهره المختلفة المتعددة فيتولاه «الدهش» الذي كان أول باعث لافلاطون وأرسطو على التفلسف فيتساءل ما حقيقة الاشياء وما مصدرها وكيف وجدت وما هو مصيرها ؟ وأخص ما يشغل فكره ماهيته هو وغايته من الحياة !

يشعر في أعماق قلبه ان هذه المسائل الغامضة لابد وأن تحل حلاً صحيحا فيعمل فيها فكره

٢ فوائده

لهذا التاريخ (فوائد عظيمة) فهو الذي يطلعنا على تاريخ حياة اعاظم الرجال الذين كشفوا لنا معميات هذا الوجود بقوة التأمل الفكري، وطرق استدلالهم، ومع ان اراءهم اختلفت في المسائل التي تناولوها بابحاثهم تبعا لارآئهم الخاصة والظروف التى كانت تحوط البيئة التي وجدوا فيها، كانوا مع ذلك مدفوعين بعامل واحد هو معرفة الحقيقة ومع انهم لم يستكشفوها بتمامها فانهم مهدوا السبيل لمن يأتي بعدهم ليجمع بعض تلك الحقائق المتفرقة ويوفق بينها وينظم منها حقيقة واحدة تامة كاملة.

فلأولئك المفكرين ذوي الشخصية الفضل الاكبر فيما وصلنا اليه من الرقي المنطقي والخلقي وستبقى أسماؤهم مخلدة على كر الاجيال والعصور.

ثم يلخص لنا هذا التاريخ معارف المتقدمين ومذاهبهم وكيف ترقت والادوار التي تعاقبت عليها والاساليب التي اتبعوها والقضايا التي صار حلها ومالم يصر.

٣ المدارس الفلسفية

يراد بها مجموع أشخاص ينتمون لمعلم واحد يعتنقون مذهبه ولو اختلف نظر كل منهم في نتائج تفكيره.

٤ المذهب الفلسفي

ويعرف (المذهب الفلسفي) بأنه مجموع عقائد وارآء خاصة بمبدأ او ببعض مبادىء تفسر ظواهر الوجود

٥ أقسام المذاهب الفلسفية

المذاهب الفلسفية متعددة بعضها يتعلق بعلم النفس وبعضها يرتبط بعلم الاخلاق وغيرها خاص بالمنطق أو بما وراء المادة.

بيد انها كلها ترجع الى بضعة مذاهب كبرى رتبها فكتور كوزين، باعتبار ان المعرفة اساس الاشياء، كما يأتي

١ — المذهب التجريبي أو الحسي وهو القائل بأن الحواس مصدر المعرفة

٢ — المذهب التصوري أو المثالي ويزعم ان الاشياء لاحقيقة لها في الظاهر انما هي من عمل الفكر

٣ — مذهب اللاأدرية الذي يشك في كل شيء ولا يسلم بأي حقيقة وشعاره «لا ادري»

٤ — المذهب الصوفي ويعتمد علي الالهام او الوحي لمعرفة حقيقة الاشياء.

غير ان هذا التقسيم ناقص من جهة: لانه لم يتضمن مذهب

الحلول ، ومتبسط من جهة أخرى : اذ جعل التصوف مذهباقائما بذاته مع انه ميل عقلي يقول به بعض الفلاسفة المثاليين كلبرانش ، والحلوليين كسبينوزا واللاأدريين كبسكال .

كما انه من الخطأ القول بان جميع الفلاسفة اعتبروا المعرفة اساس الاشياء . فيجدر بنا اذن تقسيم المذاهب الفلسفية الى خمسة مؤسسة على نظرية مصدر الاشياء وطبائعها . وهى :

١ — المذهب الارتيابي — فيشك في امكان الوصول الى الحقيقة وقدرة الانسان على معرفتها ، ويمسك عن ابداء رأيه فلا يسلم بهذا ولا بذاك

٢ — المذهب المادي — ويزعم ان المادة اساس كل شيء وينكر وجود روح قائمة بذاتها قد تتصل بالمادة وقد تنفصل عنها

٣ — مذهب الحلول — وهو يرى ان هذا الكون والشيء واحد فالله في كل شيء وكل شيء في الله .

٤ — مذهب المثال — وينكر حقيقة العالم الخارجي

٥ — المذهب الروحاني — فيعترف بوجود الله والنفس الروحانية والمادة المكونة للجسم

ويخيل الينا ان هذا التقسيم يشتمل على جميع المذاهب الفلسفية بيد ان المفكرين ينقسمون الى حزبين (احدهما) يشمل الفلاسفة التجريبيين القائلين بأن التجربة اساس المعرفة فيكفي ملاحظة

ظواهر الوجود حسبما ترشدنا اليه الحواس والغريزة .

(وثانيهما) يشمل العقليين فيزعمون ان الحوادث بمفردها لا تكفي لتفهم النظام الذي تسير بمقتضاه بل يجب التسليم بوجود بعض قواعد او قوانين تهيمن عليها وتسبق كل اختيار ويرشدنا اليها العقل وحده .

٦ طريقة واقسام تاريخ الفلسفة

لتقسيم هذا التاريخ طريقتان (الاولى) يصير تتبع الحوادث بحسب ترتيب وقوعها مع ذكر اسماء الفلاسفة ومجهوداتهم الفكرية سنة فسنة

ولكن هذه الطريقة ليست بمستحسنة لانها تلاشي الوحدة المذهبية فلا تمكن الانسان من الاطلاع الاجمالي على كل مذهب وكيفية نشأته ورقيه ونتائجه

فاذن يجدر بنا اتباع (الطريقة الثانية) المنطقية وهي تقسيم هذا التاريخ الى ثلاثة عصور او اقسام كبرى :

١ — العصر القديم

٢ — العصور الوسطى

٣ — العصر الحديث

وتقسيم كل عصر الى مدد تضم كل مدة المدارس التي ظهرت فيها والفلاسفة المنتمين الى كل مدرسة والمذاهب التي ابتكروها

ودافعوا عنها

اما الاول فيبتديء من اواخر الجيل السابع قبل المسيح وينتهي سنة ٥٢٩ ميلادية حيث اغلقت مدارس اثينا بأمر الامبراطور يوستنيانوس الروماني

ويشمل العصر الثاني القرون الوسطى من الجيل الثامن على عهد الامبراطور شرلمان لغاية سقوط الامبراطورية الشرقية وفتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ميلادية

اما العصر الحديث فيبتديء مع النهضة العلميه في الجيل السادس عشر حتى الآن

وفي كل زمن من هذه الازمنة اشتهر عظماء دونوا لهم مذاهب وخلدوا ذكرا حميدا

فسقراط وافلاطون وارسطو وابيقور وزينون الرواقي ملأ ذكرهم العصور القديمة

وآباء الكنيسة والقديس توماس كانوا نوابغ العصور الوسطى ثم جاء بعدهم ديكارت وليبنتز « وكانت » وريد . واوجست كونت وستوارت ميل . وهربرت سبنسر . فحوّل كل منهم افكار العالم الى مجرى خاص

ان جميع هذه الآراء المتناثرة والمذاهب المتفرقة هو غرضنا من وضع هذا التاريخ ليستفيد منه من رام الاستفادة

القسم الاول

فلسفة العصور القديمة

للفلسفة في العصور القديمة مركزان :

أولها وهو الاقدم وجد في اسيا ودعيت حركته بالفلسفة الشرقية وسنوجز الكلام عنها .

والثاني اتخذ حركته في المستعمرات اليونانية في اسيا الصغرى وايطاليا في نحو عام ٦٠٠ قبل المسيح ثم استمرت في اثينا حتى بدء الميلاد المسيحي ثم في الاسكندرية لغاية سقوط الامبراطورية الغربية سنة ٤٧٦ ودعيت هذه الحركة بالفلسفة اليونانية

الفلسفة الشرقية

قبل ان تظهر فلسفة الاغريق في الوجود وترسل اشعتها على الكون . شاهدت اسيا تكوين كثير من المبادىء الفلسفية ونموها واتخذت مرسحا لها في ارض الفراعنة وبلاد فارس والهند والصين

٧ الفلسفة المصرية

لم تقف على فلسفة مصرية بالمعنى الصحيح في ايام الفراعنة لان الكهنة كانوا يتكتمون عقيدتهم وغاية ما امكنا معرفته ان هرمس مؤسس العقيدة المقدسة وأن في البدء وجد الكائن الذي لا يدرك كنهه وانبثق منه قنيف خالق العالم وهو الذي أوجد جميع الكائنات من عنصرين احدهما مضيء ويرمز اليه بالشمس أو اوزريس والآخر مظلم يدعي ازيس ويرمز اليه بالقمر

والنفس خالدة وخاصيتها التقمص في الاجسام المختلفة والتجول في العالم باشكال متعددة وهي عرضة للمجازاة في العالم الثاني حسب ما قدمته من الافعال

٨ الفلسفة الهندية

ترجع الفلسفة الهندية المتشعبة الى اصلين اساسيين وهما : البرهمي ، والبوذي

الفلسفة البرهمية — يعتقد البراهمة بتعدد الآلهة ولكن الآلهة كانت كلها خاضعة لثلاثة منها عظمى وهذه الثلاثة يهيمن عليها الروح العام

كان « الموجود » قبل الوجود في سباته الالهي واذ استيقظ وجد نفسه وحيداً لا ثاني له . ولم يكن بعد شيء مما هو كائن

لا عالم ولا هواء ولا ماء ولا طير ولا وحش ولا انسان . لم يكن خلود ولا فناء . ولا شمس ولا ضياء . كانت الظلمة تكتنف الظلمة وكان «الكائن قبل الوجود» في فضاء لا نهائي فصاح بشوق ورغبة لو كنت كثيراً . فبقوة ارادته وشوقه خلق العالم وحفظ لنفسه اسم برهمة الخالق . ثم وجد الاله «سيوه» المخرب فيه تجف الاوراق . وتحل الشيخوخة محل الشباب ويبتلع البحر مياه النهر . وتفنى ايام السنة وتنقضي فلو ترك هـذا الاله يعمل باداة التخريب لكان انقضى اجل العالم ، غير ان قوة مجددة تظل حافظة لكيان العالم فهذه القوة هي الاله المخلص المدعو « فشنو »

فبراهم وسيوه وفشنو هم الثالوث الهنـدي المقدس ولكن لا يوجد فرق بينهم بل هم اله واحد ذو ثلاثة اقانيم وثلاث قوى :— خالقة ومخربة ومجددة

كذلك يعتقد الهنود بتنقل النفوس . فلكل ذات في الوجود شكلا وحيزاً تتخذهما بحسب درجة اخلاقيتها و بفضائلها او باثامها كل عمل يعمله الفكر أو القول او الجسد يثمر ثمراً من جنسه خيراً كان او شرا

وهكذا تتفاوت درجات الناس بتفاوت افعالهم وجميع الاضرار البشرية التي تحيق بالانسانية ماهي الا النتيجة الضرورية للضرر الادبي الذي أرتكب في حياة ماضية . والفضل والنقص المعنوي هما سنة هذا الوجود الوحيدة

أما الاخلاق العملية البرهمية ففي ممارسة جميع الفضائل الدينية التي يقصد بها اندماج الانسان في الله كالعبادة بالصلاة والصوم والتواضع والصبر على الآلام والتجاوز عن الاهانة . وكمحبة الضعفاء واحترامهم . ومحبة المرأة واحترامها . وقد جاء في شريعة مانو ما يأتي

« في احترام المرأة رضى الالهة .

ليس في حراسة الرجل للمرأة صيانة لها. انما هي التي تصون نفسها بنفسها اذا ارادت . لا يجب ضرب المرأة حتى ولا بزهرة .

زواج الشاب بالشابة بايجاب وقبول منهما كزواج الملائكة لا يشوبه كدر .

احترام الوالد اجل من احترام مائة معلم . واحترام الوالدة اعظم من احترام الف والد فمن أهمل احترامها ذهبت جميع اعماله الصالحة سدى فاحترام الوالدين اول الواجبات »

وغاية النفس الوصول الى الاتحاد ببرهمة بتجردها من الهيولى فالنفوس الطاهرة تنال هذا القصد . اما الشريرة فتسقط في « ناراكا » لتعذب مائة سنة من سني برهمة . مع ملاحظة ان اليوم البرهمي يوازي ثمانية مليارات وستماية وخمسين مليون سنة شمسية ! !

والنفوس التي كانت وسطا بين الخير والشر فيصير تطهيرها بتقمصها في جسم حيوان او انسان .

ويعاب على اخلاقية البراهمة لنهم لا يساوون بين بني جنسهم

بل جعلوهم عشائر وطوائف متفاوتة الدرجات فالكهنة في المرتبة الاولى لانهم خلقوا من فم برهمة . ثم خلق قطريس رأس المحاربين من ذراعه الايمن . وخلق من فخذه بابيس اب المزارعين . ومن قدمه خرج سودير أب العبيد .

وقد نشأ من هذا الترتيب استبداد الكهنة وتوليهم الشؤون الدينية والسياسية .

فرفع بعض تفر عن كاهلهم هذا التشيع واعلنوا استقلالهم المذهبي

فنادى « كبيلا » بالمذهب الحسي . وامياً الى انكار وجود الله .

واهتم جوتاما بالمنطق وتجديد القوانين الفكرية .

واسس « بتنجالى » مذهبه الصوفي الذي فصله قصائد « مهابهراتا »

(البوذية -) - ولد سقياموني الملقب ببوذا اي العالم . في نحو عام ٦٠٠ قبل الميلاد المسيحي . وكان ابن احد ملوك الهند الوسطى فلما بلغ التاسعة والعشرين من عمره هجر بلاد ابيه وتنسك وبشر « بالحقائق الاربعة السامية » وهي :

(١) الوجود الحسي ضلال وغرور

(٢) الرغبة الناشئة من هذا الوجود . تنتج الالم

(٣) غرور والم الوجود المادي يمكن ملاشاتهما « بنرفانا » اى

بانعدام الوجود المتحرك في قلب الوجود الثابت

(٤) للوصول الى «النرفانا» أي الى هذا الانعدام الحسي يجب انكار الذات وملاشاة كل رغبة . وعن هذه الحقائق الاربعة بنيت اخلاقية بوذا وتنحصر في المساواة بين جميع البشر وتبعية الآداب بالكهنوت واولوية الواجبات الدينية على الواجبات الادبية — الاخاء العام وواجبات المحبة والرأفة والتسامح والتواضع والمسالمة . الخ .

---

٩ الفلسفة الفارسية

كان الفرس يعبدون مبدأ النور والحرارة . مصدر الفكر والحياة . الشمس صورته . والنار رمز اله

أخذ زورا ستر هذه العقيدة وجعلها مذهباً فلسفياً

اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده وربما عاش بين الجيل السابع والجيل الثامن قبل المسيح وبعضهم يزعم انه مات في بلخ والبعض الآخر يقول بوفاته على جبل الترج . وينسبون اليه كتب زند — افستا المقدسة .

اما فلسفته فتدور حول اثنينية الوجود

ما هو هذا الوجود ؟

هو مزيج من عنصرين : الخير والشر — الفكر والمادة — الصواب والخطأ — النور والظلام .

هذان المبدآن المتناقضان موجودان منذ الازل احدهما صالح ويدعى ارموزد . والآخر طالح ويدعى اهريمان

في البدء كان ارموزد مع المعرفة السامية والطهارة . كان مشرقا بنوره ومن كلمته الالهية خلق العالم بما فيه

«والطاهر القدوس ، الابن الكلمه ، كان موجوداً قبل السما قبل اليابسة والهواء . قبل القطعان والاشجار . وقبل النور والنار»

يتقاسم القوة والقدرة كل من ارموزد واهريمان غير ان الاول يعلم كل ماسيحصل قبل وقوعه فيعلم بنتائج ما سيفعل . اما الثاني فلا يعلم بنتائج عمله الا وقت حصوله — وهذا وجه افضلية ارموزد على اهريمان وتغلب الخير على الشر ولو بعد الاف السنين

فالحياة اذن اشبه بمعركة وغايتها انتصار الخير على الشر . ولذلك كان اساس الاخلاق عند الفرس ان يكون الانسان طاهراً كارموزد

وطهارة الفكر تجعل النفس نيرة مضيئة واداتها صدق القول والامتناع عن الكذب

والنفس بعد الموت تحاكم وتنال جزاء ماقدمت في الحياة فاما ثواب واما عقاب

---

١٠ الفلسفة الصينية

تمتاز الشعوب الصينية عن الشعوب الهندية الاوروبية بروح عملية اكثر مما هي نظرية

فالاخلاق والسياسة عندهم خالية من كل صبغة دينية . بل هي تعاليم بشرية معقولة فلسفية بدون مزيج بالنظريات اللاهوتيه

واعظم فيلسوف ظهر في الصين هو بلا جدال كونفسيوش او كنج فوتسو

ولد في سنة ٥٥١ قبل المسيح ومات في سنة ٤٧٩ كان ابن أحد حكام الاقاليم . تزوج في التاسعة والعشرين من عمره وتعين مراقباً عاماً على الحقول والزراعة ولما توفيت والدته اعتزل العالم حداداً عليها ثلاث سنوات وفي اثناء عزلته كان يفكر بالقوانين الادبية ويدرس شرائع الحكماء . ثم طاف في انحاء الامبراطورية الصينية وتتلمذ له في ظرف عشر سنوات ثلاثة الاف تلميذا معظمهم من الحكام والمتعلمين والضباط . فنشروا مذهبه على الملأ الصيني

واذ تولى منصب القاضي العام بدأ عمله بالقضاء على شخص لم تكن تناله يد العقاب لمركزه وغناه .

وتغلب عليه خصومه فعزل من منصبه ونفي فكان يجوب البلاد واذ بلغ الثامنة والستين من عمره عاد الى موطنه ونشر مؤلفه «شوكنج» وهو يبحث في الاخلاق والسياسة وبيّن فيه

علاقة الحاكم بتتبوعيه والوالد باولاده والزوج بزوجته ثم الف كتب «تاهيو» اوالمعرفة الكبرى . وتشنج — ينج او الوسط الغيرمتغير .

اما فلسفته فتتلخص فيما يأتي :

«المعرفة الحقيقية هي ان يعرف الانسان انه يعلم مايعلمه وانه يجهل ما يجهله . وان اهم شيء يجب معرفته هو الواجب لان الشريعة الانسانية الواجب العمل بها كمحيط بغير شاطيء هي المنتجة للكائنات ومبقية عليها . تلامس السماء بارتفاعها . هذه الشريعة هي شريعة العقل فيجب تطبيق عملنا على مبادئها لانها ملزمة لنا وغير متغيرة ولا يمكننا ان نحيد عنها قيد شعرة ٠ هي مطلقة ومقدسة

وغاية الشريعة الادبية كمال الذات البشرية . فالكمال هو القوة المنتجة للسماء والارض . وهو مبدأ وغاية كل موجود . وبغير الكمال ماكان للكائنات وجود .

اما اهم الفضائل الخاصة التي يوصي بها الفيلسوف فهي قوة النفس . والاعتدال . والعدالة والانسانية

وقد سئل الفيلسوف مرة في معنى فضيلة الانسانية فاجاب بانها محبة الناس بكل ما في الوسع . واعتبار كل الناس اخوة

وحذا « منسيوس » حذو ذاك الفيلسوف بعد مئتي سنة وكانت فلسفته السياسية تنحصر في ان الحكام الظالمين كقطاع الطرق ويجب معاملتهم كما تعامل اللصوص . ومن حكمه قوله: من

يسرق من الانسانية شيئاً يدعى لصاً ومن يسرق من العدالة شيئاً يدعى ظالماً ، الشعب اشرف شيء في العالم . كل الناس اخوة فبعضهم يشتغل بفكره والبعض يشتغل بذراعه فالذين يشتغلون بعقولهم يحكمون الناس . والذين يشتغلون باذرعهم محكومون بالناس والذين هم محكومون بالناس هم الذين يطعمون الناس الخ . —

ويوجد في الصين مدرستان آخرتان احداهما حلولية مادية وتدعى مدرسة النابهين وتتبع عقيدة بوذا — والاخرى لامادية وتدعى مدرسة لاوتسو وتقول بالثالوث العددى : ومنه تكونت جميع الاشياء .

١١ الفلسفة اليونانية

الفلسفة بمعناها الحقيقي — البحث الحر — تبتديء من اواخر القرن السابع أو بدء الجيل السادس قبل الميلاد • وليس القصد من ذلك انه لم يسبق هذا التاريخ ارآء دينية وادبية للشعوب التي تتألف منها البشرية ، بل كانت تلك الآراء اجماعية ليست من عمل فرد خاص كما هي الحال في الافكار الفلسفية

ولقد رأينا فيما تقدم آثار تلك الاراء في الوثنيات القديمة المصرية والفارسية والهندية والصينية والتي لم تزل بعض طقوسها ظاهرة الى اليوم وقد كان لها تأثير أيضاً في أفكار الفلاسفة بما اشتملت

عليه من الرموز والاسرار . بيد ان ذلك التأثير كان سلبياً مما دعى هيرودوت المؤرخ ان يقول « لقد وجد الناس منذ زمن ما هو جميل ومنه ينبغي ان يتعلموا »

حكماء اليونان : وأول من دوّن الآراء والافكار الادبية مطبوعة بطابع شخصي هم بضعة أشخاص ذوو عقول مدركة وبصائر نيرة ادهشوا مواطنيهم بمهارتهم في تلخيص مظاهر الحياة بجمل قصيرة شعرية أو نثرية دعيت « حكمة أو مثلا » ولقبوا انفسهم حكماء

ولما كان الابتكار الاغريقي يزخرف كل شيء كان هؤلاء الحكماء موضوع قصص وروايات مختلفة اهمها الرواية التي ذكرت على لسان ديوجينس الكلبي وهي

اجتمع نفر من شبان مدينة « مليطة » على شاطيء البحر وطلبوا من أحد الصيادين ان يلقي شبكته في البحر فيشترون منه أول صيده مهما كان . ففعل ولما اخرج الشبكة وجد بها أثفية «موقدة ذات ثلاث قوائم» فتنازع الشبان عليها فيما بينهم واستقر رأيهم على استشارة وحي الاله دلفيس فاجابهم الوحي بان هذه تعطى لاكثرهم حكمة من الباقين

فاعطوها لطاليس المليطي ، وهذا تواضعاً منه اعطاها لآخر فناولها لغيره وهكذا حتى وصلت « الى صولون الحكيم » فارسلها الى هيكل دلفس قائلا ان الآلهة أعظم الكل حكمة ! »

وظل لقب الحكيم يطلق على كل نابغة حتى جاء فيثاغورس، وقال ما حكيم الا الله وحده وما أنا الا فيلسوف أي محب الحكمة ومؤثرها .

واختلف الرواة في أسماء أولئك الحكماء الاقدمين مع اجماعهم على ان عددهم سبعة . وهذه هي أسماؤهم بحسب ما ذكرها افلاطون في كتابه « پروتغوراس »

طاليس المليطي

بتاكوس من مدينة مثلينا بجزيرة لسبوس

بياس من مدينة پرييتا بين افسس ومليطه

صولون من مدينه اثينا

كليوبول من مدينة لنده بجزيرة رودس

ميسون من الشين بلاكونيا

شيلون من لكاديمونا وهو أول من قال الجملة المشهورة «اعرف نفسك بنفسك» هذه منسوبة لسقراط

ومما لا شك فيه ان طاليس أول فيلسوف جدير بهذا الاسم وهو مؤسس المدرسة الايونيه

١٢ اقسام العصر الاول

تشتمل الفلسفة اليونانية على قسمين (الاول) يتضمن الفلسفة اليونانية ويحتوي على اربعة مدد :

المدة الاولى (قبل سقراط) وتبتديء من طاليس المليطي في الجيل السابع الى سنة ٤٧٠ قبل الميلاد . وكان عالم الطبيعة وظواهره مدار الابحاث الفلسفية .

المدة الثانية (العصر السقراطي) من سنة ٤٠٠ الى ٣٢٢ق م بحثت الفلسفة فيها في المنطق وفيما بعد الطبيعة .

المدة الثالثة (بعد ارسطو) وتبتديء من تاريخ وفاة هذا الفيلسوف سنة ٣٢٢ق م وتنتهي بالمدرسة الافلاطونية الحديثة في الجيل الثالث للميلاد ومباحث الفلسفة علم الاخلاق والخير الاعظم

المدة الرابعة (الافلاطونية الحديثة) من الجيل الثالث الى سنة ٥٢٩ ميلادية حيث أغلقت المدارس الفلسفية بأمر الامبراطور يوستنيانوس . وكانت صبغة الفلسفة دينية وتصوفية .

(والقسم الثاني) يتضمن فلسفة آباء الكنيسة المسيحية وسنذكر مميزات كل مدة في بدء كلامنا عنها

المدة الاولى

١٣ – قبل سقراط

بدأ الفكر الفلسفي ينبثق في بلاد الاغريق حيث نافس الفن والشعر الى ان بلغ شأواً بعيداً ،

فجميع النظريات التي أوحت بها ظواهر هذا الكون الى افهام متعطشة لمعرفتها ، تتابعت وتزاحمت على عقول المفكرين القدماء فأخذ كل واحد يفسر معنى الوجود حسبما يرشده اليه عقله ، متأثراً بالمعتقدات الدينية أو بآراء السلف أو مجرداً ذاته من كل تأثير .

ولقد توصل اليونان الى وضع جميع الفروض الممكن طرحها فأوجدوا بذلك سبيلا لمن أتى ويأتي بعدهم ليصحح خطأ وقعوا فيه أو ليؤيد مذهباً ابتكروه فيصل الانسان منه الى معرفة حقيقة الوجود طفرة واحدة .

ونشأت في هذه المدة التي استغرقت نحو قرنين من الزمان خمس مدارس فلسفية وهي :

١ — المدرسة الايونية

٢ — المدرسة الايلياثية

٣ — المدرسة الفيثاغورسية

٤ — مدرسة الذرات أو الجواهر الفردية

٥ — مدرسة السفسطائيين

فهذه المدارس ما عدا الاخيرة ، كانت تنظر الى العالم كما يظهر لنا ، أي كمجموع موجودات قد تكون من عمل الفكر ليس لها حقيقة واقعية

الا ان جميع الفلاسفة القدماء كانوا يشعرون ان هذه الاشياء المتعددة الدائمة التغير ليست هي هي كما تقع تحت حسنا وادراكنا ، ولا وجود لها بذاتها وينبغي البحث في عللها .

فذهبت المدرسة الايونيه الى ان مصدر تلك الاشياء شيء آخر يخالف ما نألفه والتجربة دليلنا لاستكشاف ذاك المصدر

والفيثاغورسيون استرعت بصائرهم النسبة الموجودة فقالوا ان الاعداد التي توضح تلك النسبات هي الحقيقة الواقعية دون غيرها .

اما الايلياثيون فذهبوا الى ابعد من ذلك : قالوا ان كل متغير لا وجود له الا في الظاهر ، وان الواحد الذي لا يتعدد ولا يتغير هو الموجود فعلا دون سائر الموجودات

وارباب الجوهر الفرد زعموا ان الذرات مصدر الوجود ، وان كانت ابصارنا لا تتناولها . فافهامنا تدركها .

والجميع بدون استثناء كانوا يرون رأياً واحداً وان اختلفت تعابيرهم وتباينت الفاظهم ففلسفتهم طبيعية وغرضهم اكتشاف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التي لا تحصى قد رواها علينا الأخباريون . [illegible]
أن [illegible] في كل الأشياء بدون قيد .

طاهر البلخي Tâhir de Balkh

٣٣٠ هـ أي في الأربعينات الخامسة أو السادسة [illegible]
سنة ٩٤٢ م [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أما من الوجهة الطبيعية فقال ان ماء البحر لو تبخر ارتفع بخاره نحو الشمس والكواكب فتتغذى به . ثم يتخلف بعد البخار راسب يكون اليابسة . كذلك جميع النباتات تحوي في ذاتها على الماء . وهو يتخذ جميع الاشكال ويستحيل الى كل شيء فلو تكاثف صار ارضاً يابسة واذا تمدد تحول الى نار أو هواء

ولم تقتصر فلسفة طاليس على القول بأن الماء هو العنصر الوحيد الذي تصدر عنه جميع الاشياء بل زعم أيضاً ان التغير الذي يحصل لهذه المادة يحدث بتأثير جواهر روحانية مماثلة لروح المغنطيس الذي من خواصه قوة الجذب .

فكان بذلك يؤله تلك الارواح ويجعلها مالئة الوجود وحالة فيه .

هذه الآراء وان كانت في عصرنا الحاضر تعد صبيانية الا انها تدلنا على ان طاليس كان في زمنه عالماً سعى في تعميم الاشياء ، وفيلسوفاً متشبعاً بالخرافات الوثنية وهو أول من حاول تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً عملياً وارجاعها الى عنصر واحد ولو انه أخطأ في حدسه .

انكسيمندر (٦١١ - ٥٣٦ ق م) Anaximandre

صديق طاليس وأصغر منه سناً أول من ألف الكتب ورسم الخرائط الجغرافية . استحضر من بابل الى اليونان «الغنومون»

أي المزولة او الساعة الشمسية ولقد حاول مقاس النجوم فكان القمر على زعمه اكبر من الارض تسعة عشر مرة ، والشمس اكبر منه سبعة وعشرين مرة . والارض اسطوانية الشكل كالعامود وهو واضع المبدأ الشهير أن لا يمكن خلق شيء من لاشيء »

خالف رأي طاليس في عنصر الاشياء فزعم ان المادة التي تكونت منها الموجودات هي العما (chaos) أعني شيء غامض غير محدود ولا معين تختلط فيه جميع الاشياء فلا هو هذا ولا ذاك : عنه تصدر واليه تعود بمقتضى حركة أبدية تدفعها يد القدرة فالسموات والعالم نشأت من هذا الشيء اللامحدود تبعاً لبعض قوانين ثابتة .

ولما كانت الكواكب آلهة سماوية (على زعمه) فيظن بانه جعلها أيضاً خاضعة لتلك القوانين .

والذي يدهشنا كثيراً ان هذا الفيلسوف قال بنظرية التطور (مذهب النشؤ والارتقاء) حيث ذهب الى ان الحيوانات كانت كلها مائية فلما تركت فيما بعد في الجفاف تطبعت بحالتها الجديدة ثم أخذت في التطور حتى تشكلت نهائياً باشكالها الحالية . والانسان على رأيه تسلسل من سمكة !

فمن هذه النظريات يمكن القول ان ما من رأي جديد في العالم الا ان من يرى مثلا ضفدعة تعوم على سطح الماء فيفترض لها

افتراضات تخمينية شيء ، وتأسيس نظريات جديدة بأن تعد مذهباً صحيحاً (كما فعل دارون) شيء آخر

ومع ذلك فانكسيمندر كان ذا فكر ممتاز وعقل راجح : استعار انكسغوراس وأمبيدوكلس بعض ارائه . ويخيل الينا أيضاً ان التمييز الذي جعله ارسطو بين القوة والفعل . أو الممكن والواقع ما هو الا تكرار هذا الشيء اللانهائي الذي انبعثت منه جميع الاشياء .

انكسيمين (٥٤٨ - ٤٨٠) ق م Anaximene

ولد في مليطه وتتلمذ لانكسيمندر فدرس علم الفلك على مثال من تقدمه . وهو أول من رأى ان حرارة الشمس ناشئة عن سرعة الحركة مما يدل على انه كان ملماً بعلم الميكانيكة

اما فيما يختص بالاساس الذي تكونت منه الاشياء فليس الماء كما ادعى طاليس ولا العماً كما زعم انكسيمندر بل هو (الهواء) لانه ضروري للحياة

وحذا أيضاً حذو أنكسيمندر فقال بحركة ازلية يحصل بها تحول تلك المادة الى الموجودات المختلفة . واذا صدقنا ما يروى عنه — لان كتبه لم تتصل الينا — فزعم ان الهواء هو الله اذ به اتخذت الاشياء وجودها واشكالها بالتكاثف تارة وبالتمدد طوراً

فنتج منه الماء فالارض فالنار ثم تكونت جميع الاشياء من هذه العناصر الاربعة

وذهب ديوجنس الابولوني (Diogene d'Apollonie) تلميذه مذهبه في ان الهواء مادة الاشياء كلها فهو روحها ومادتها وهو الامتداد والفكر وبذلك كان واضع مبدأ المتناقضات وتوحيدها ذلك المبدأ الذي سيأخذ به هيجل في أوائل الجيل التاسع عشر

هرقليطس Héraclite

ولد في افسس (Ephese) ولم يعرف تاريخ ميلاده والمحقق انه اشتهر في الجيل الخامس ق م وقيل انه أول متشائم يسيء الظن بالحوادث فلم يكن يرى الا باكياً !

كانت فلسفته غامضة حتى ان سقراط قال انه لم يفهم منها الا نصفها .

اما العنصر الذي تكونت منه الاشياء فهو على زعمه (النار) اذ انها رمز للحركة الدائمة . وجوهر الاشياء لا يثبت على حالة واحدة : الكل يمر وينقضي ولا يبقى شيء . والانسان لا يستحم مرتين في النهر ذاته لان أمواجه تتعاقب بغير انقطاع

فالتعدد أو التغير الذي قال هيجل انه « المصير » بغير غاية أو تهادن هو جوهر موجودات هذا العالم فتجتمع وتتفرق تارة

علي وفاق وطوراً على شقاق كأنها في حرب وفي سلم وهـذا هو سبب التحول الدائم .

وكان يسلم بوجود حكمة الهية لاتناسب بينها وبين حكمة أعقل انسان في العالم . وهي تظهر في الكون بما تدبره من حياتنا الفردية والاجتماعية . وان أعظم خير في هذه الحياة هو صدق العزيمة وحسن الخلق

اننا لو أمكننا الحكم — مع بعد الزمن — على هرقليطس . لقلنا انه أقرب من غيره في التفكير المستقيم ولذلك لا يدهشنا ان افلاطون الذي كان تلميذاً لقراتيل أحد تلامذة هرقليطس استعار منه بعض الآراء

وقال سقراط عنه « جيد كل ما امكنني فهمه من نظرياته ويجب ان يكون أيضاً حسن مالم استطع فهمه »

أنكسغوراس (٥٠٠ ـ ٥٢٨ ق م) Anaxagore

ولد في كلازومينا من بلاد أيونيا . ترك موطنه في نحو الخامسة والعشرين من عمره وقصد أثينا مركز التمدن في ذلك الوقت وحيث تلقى العلوم الفلسفية ثم صار معلما فيها . وقيل ان تيمستوكلس واوريبدس وبركليس الشهير تتلمذوا له والاخير صار له صديقا حميماً وهو الذي أواه وسهل له الالتجاء الى مدينة لمباسك عندما حُكم عليه لطعنه في آلهـة المدينة ومات بالغا من العمر اثنين

وسبعين عاما

درس الفلك واكتشف ان القمر مظلم بذاته ويستمد نوره من الشمس وشرح كيفية الخسوف ومتى يحصل ، الا انه أخطأ ـ كما كانت الحال في ذلك الزمن ـ في مقاس الكواكب وطبائعها

اما نظرياته الفلسفية فهي كثيرة الشبه بفلسفة انكسيمندر اذ يقول بان كل شيء كان في البدء مختلطا ببعضه في حالة التشويش ثم تفرقت الاشياء وانضمت الاجزاء التي من جنس واحد الى بعضها فتألفت منها الانواع التي نراها الآن في العالم وأمكن تعيين كل جنس على حدة .

ولكن كيف أمكن اتحاد هذه الاجزاء المتجانسة ،

يسلم انكسغوراس بأصلين أحدهما . المادة مؤلفة من ذرات غير محدودة بسيطة ولا تقبل التجزئة. فدعاها Homeomories وثانيهما عنصر آخر يخالف جوهره الطبيعة دعاه العقل (نوس) فهو الدافع لذاك الاتحاد للاشياء التي كانت في حالة الاختلاط والامتزاج .

واكتفى الفيلسوف المذكور بان جعل ذاك العقل يتدخل مرة واحدة في التكوين المشار اليه ثم ترك فيما بعد للقوانين الطبيعية أمر ترتيب وتنظيم الاشياء طبقا للسنة التي شرعها لها .

وأثرت نظرية انكسغوراس هذه تأثيراً كبيراً في الفلاسفة الذين اتوا بعده ونقلها ارخلاوس تلميذه الى سقراط .

١٥ – المدرسة الايليائية

كانت مدينة إلياء (Elée) تابعة لبلاد الاغريق الكبرى وهي كائنة على شاطىء بحر صور عند ما رحل اليها كزينوفان بالغا اكثر من ثمانين عاما وأسس فيها مدرسته الفلسفية

كزينوفانه (٦٢٠ – ٥١٩ق‌م) Xenophane

ولد في نحو العام الستماية والعشرين قبل الميلاد في مدينة كولوفون بالقرب من أفسس . فهو معاصر لأنكسيمندر وعاش جيلا من الزمان .

ترك وطنه منفيا — وقيل اختياريا — وهو في الثمانين من عمره فهاجر الى زنكل (مسينا) ثم رحل الى كتانيا وأخيراً أقام في إلياء .

اما مذهبه الفلسفي فضمنه كتابه « في الطبيعة » ويؤخذ منه انه يسلم باربعة عناصر وهي الماء . والارض المتولدة منه . والنار والهواء — ولم يشارك العامة في معتقداتهم بالتأنس (anthropomorphisme) أي بأن للآلهة شكل الادميين وصفاتهم وعيوبهم كما جاء في اشعار هوميرس وهزيود . فنفى كل مشابهة بين الالهة والناس سواء كان في الجسم أو في الشكل

أو في العقل

وقال لو كان للثيران أو الاسود أو الجياد أياد وتعرف التصوير لكانت رسمت لنا الالهة على اشكالها ثيرانا او اسوداً او جياداً وهل جرم اعظم من نسبة السرقة والزنا وسائر المفاسد الى الالهة !

وقد عارض الايونيين في اعتقادهم بتعدد الالهة فلم يعترف الا باله واحد يرى ويفكر ويسمع دون غيره الا ان نتائج براهينه تجاوزت مقدماته : بما ان الله كامل الذات والصفات والوجود فكل شيء لا وجود له الا به وفيه . فكأنه يقول بالحلول المادي ويؤله الكون.

ومن رأيه ان الارض اسطوانية تمتد قاعدتها الى مالانهاية له. ويحيط بجوها الهواء وفيه انتثرت النجوم .

ولما كان في ايطاليا اطلع على مذهب فيثاغورس فاخذ عنه الوحدة وبنى عليها منطقه ليثبت ان الله واحد ازلي . وان من الالحاد الاعتقاد بولادة الالهة كما جاء في الوثنيات القديمة لان كل ما يولد مصيره للهلاك والله سرمدي باق الى الابد

برمنيدس (٥٢٩ – ؟) Parmenide

ولد في إلياء ولم يتعلم الا على الفيثاغورسيين وعلى كزينوفان .

ونظراً لوجاهة عائلته وغناها كرس وقته للدرس فحاز شهرة عظيمة ثم قصد مع تلميذه زينون الاليائي (خلاف زينون الرواقي) مدينة اثينا سنة ٤٥٤ أثناء الاعياد البناتينية (Panathenees) التي كان الاثينيون يحتفلون بها اكراماً للآلهة منرفا ابنة جوبتير.

وكان ذا مهابة ووقار اثرا في نفس سقراط الشاب. وقال افلاطون عنه « انه كان وقوراً ورهيباً في آن واحد » ولقبه أيضاً بالعظيم.

اوضح پرمنيدس مذهبه في مؤلف له يدعى « الطبيعة » ينقسم الى جزأين يتضمن الاول ماهية الحقيقة المجردة. والثاني يحتوي على ارائه في ظواهر الوجود.

ومن أقواله: الموجود — موجود هو، واللاموجود ليس له وجود. والكائن ازلي اذ لا يمكن ان يوجد من العدم وهو واحد بذاته لا يقبل التغير بل ثابت وواجب الوجود فليس له مصير. هو واحد في الكل. والكل في الواحد »

اما فيما يختص بالعالم المحسوس الذي ليس له وجود بذاته فپرمنيدس يرى فيه تناقضا فسره بما يأتي:

نتج العالم من مبدائين متعارضين وهما الظلام أو البرودة والنور أو الحرارة وما العالم المحسوس بموجود فعلاً انما يظهر لنا كحركات دائرية تتجمع في نقطة مركزية

وكانت نظرياته على نقيض نظريات الفلسفة الايونية التي ساقر

الى اثينا خصيصا لدحضها وهو متقدم في السن

زينون الاليائي (٤٨٧ — ؟) Zenon d'Elee

اذا كان پرمنيدس شاعر الفلسفة الايليائية فزينون رسوله او جنديه قاوم تعاليم الايونيين مقاومة شديدة بعارضة قوية وحسن بيان.

ولكي يثبت وحدة « الكائن » اوضح ان المادة والزمن والحركة ما هي الا ظواهر

اذا كانت المادة موجودة فاما أن تنحل الى ذرات ممتدة او لا تنحل فان ردت الى ذرات غير ممتدة فالجزيئات تكوّن امتداداً وان لم ترد الى ذرات غير ممتدة فيستحيل وجود ذرات لان الذرة الممتدة قابلة للقسمة والتجزؤ دائما — هذا فيما يختص بالفضاء والمادة.

اما ما يختص بالزمن: فالتغير ليس ما كان ولا ما سيكون لاننا لو قلنا ان هذا الشيء الحاضر هو كما كان فلامعنى للتغير وان قلنا انه نفس ما سيكون فيستحيل وجود التغير.

اما فيما يتعلق بالحركة. فمثل اخيل والسلحفاة اعجز الايونيين قال زينون ان اخيل السريع الركض اذا تعقب السلحفاة البطيئة الحركة فلا يلحقها اذا كان المكان ينقسم الى ما لا حد له. وينبغي

لتفهم الحركة اي الانتقال من نقطة لاخرى التسليم بادراك اللانهائي، وهذا مستحيل .

كذلك تقسيم الزمان الى اقسام لا حد لها يناقض الحركة . ويثبت ذلك السهم المنطلق من كنانته :

فالجسم يكون ساكنا في وقت ما وفي حيز معلوم . ولما كان السهم المنطلق يحتل في كل آونة حيزاً معلوما فهو يكون ساكنا ومتحركا في آن واحد وهذا محال اذ كيف يكون في المحل الذي انطلق منه وفي المكان المنطلق اليه .

كل هذه الادلة لم يكن في استطاعة الايونيين نقضها طالما كانوا يعتقدون بوجود الاجسام في مكان وفي زمان ما ولم يدركوا ان هذه الاجسام ليس لها وجود ذاتي بل هي بنات ادراكنا الحسي وما المكان الا تصورا والزمان مجرد اصطلاح .

بيد ان زينون كان زكيا تبعا لعصره وشجاعا حتى مماته فقد روى ديوجنس اللايرثي ان زينون لكي يحرر بلده ايلياء ، تآمر ضد حاكمها نيارك Nearque فقبض عليه هذا وعذبه عذابا شديدا ليدل على شركائه المتآمرين معه فلم يكن من زينون الا ان ذكر اسماء اصدقاء ذلك الطاغية واسم هذا الاخير أيضا ثم قطع لسانه باسنانه ورماه في وجه معذبه .

وقيل ان زينون مات مدقوقا في جرن بأمر ذلك الحاكم .

١٦ - المدرسة الفيثاغورسية

كانت هذه المدرسه والمدرسة الايليائية معاصرتين للمدرسة الايونية التي تأثرت بفلسفتها دون ان تؤثر عليها .

ومؤسسها فيثاغورس (Pythagore)

قيل انه ولد في الجيل السادس قبل المسيح ولم يعرف بالتدقيق سنة ولادته التي كانت في جزيرة ساموس بالقرب من شاطيء افسس على بحر ايجي

رحل في صباه الى مصر وفنيقيا والكلدان ولما عاد الى وطنه وجده تحت حكم الطاغية بوليقراطس فهاجر الى كروتونا بايطاليا حيث شرع في تنفيذ ارائه الدينية والفلسفية والاجتماعية فأسس جمعية سياسية دينية فلسفية تعهد أعضاؤها باعتناق مذهبه وكانت تضم عدداً كبيراً من النساء بينهن زوجته ثيانو وبناته الثلاث. ومن شروطهم الصمت المطلق نحو الخمس سنوات . وكانت الاموال والمقتنيات مشاعة بين الجميع ورابطة الود مستحكمة .

الا ان الروح الديموقراطية تنبهت فحصل من جرا ذلك اضطرابات شديدة قضت قضاءاً مبرماً على الجمهوريات الفيثاغورسية

ويقال ان فيثاغورس نفسه وكثيراً من تلاميذه هلكوا في ثورة في متابونت غير ان التعليم الفيثاغوري ظل زاهراً في اليونان الكبرى على عهد افلاطون ثم ادخله فيما بعد الشاعر أنيوس في روما .

لم يكتب فيثاغورس شيئاً ولم نستدل على فلسفته الا من فيلولاوس الذي تلقى العلم في كروتونا وطنه على اريزاس تلميذ فيثاغورس . وأيضاً كتب ارسطو عن المذهب الفيثاغوري واليك خلاصته مأخوذة من هذين المصدرين وعلى الخصوص من كتاب الباخوسيين (Les Bacchantes) لمؤلفه فيلولاوس المذكور :

كان الفيثاغورسيون علماء في الرياضة وفي فن الموسيقي وكانوا يوفقون بين العلم والفن المذكورين فقالوا ان العدد مبدأ الموجودات ومادتها والاعداد اما فردية واما زوجية . فالزوجي غير محدود والفردي محدود اما لانه يضع حداً للقسمة على اثنين واما لانه اذا اضيف على الواحد مجموع الاعداد الفردية نحصل على مربع تام . وجميع الاعداد التي تزيد عن عشرة ماهي الا تكرار للعشرة الاول التي هي مصدر الكل ويدعوها فيلولاوس اصل وملكة الحياة الالهية والسمائية والبشرية

فالواحد هو الجوهر الاول الذي يتضمن في ذاته العددين الزوجي والفردي . والاثنين أول الاعداد الزوجية كما ان الثلاثة أول الاعداد الفردية. واربعة أول المربعات كما ان العشرة مؤلفة

من الاربعة أعداد الاولى

وبما ان العدد يؤلف كل شيء كذلك كل شيء يتضمن في ذاته اركان العدد أي الفردي والزوجي أو المحدود والغير المحدود .

فالفردي والمحدود أحسن الاشياء واكملها والزوجي والغير محدود بعكس ذلك

ولذلك تتجزأ الاشياء الى مجموعتين متعارضتين :

الاولى تتضمن الخير والمحدود . والثانية الشر والغير محدود وهذا بيان العشرتين المتقابلتين

١ً — محدود وغير محدود . ٢ً فرد وزوج . ٣ً وحدة وكثرة . ٤ً يمين ويسار . ٥ً ذكر وانثى . ٦ً سكون وحركة . ٧ً معتدل ومنحن . ٨ً مربع ومستطيل . ٩ً نور وظلام . ١٠ً حسن ورديء

وقال فيلولاوس ان في البدء كانت توجد نار في وسط الكون وبقوة الجذب تجمعت أجزاء الغير محدود القريبة من مركز تلك النار وتكون منها المحدود أي العالم .

والعالم كروي الشكل . وتتحرك حول النار المركزية عشرة كواكب سماوية وهذا ترتيبها بحسب بعدها عن المركز

١ً سماء الكواكب الثابتة

٢ً خمسة سيارات مرتكزة على دوائر شفافه

٣ الشمس

٤َ القمر

٥َ الارض

٦َ عكس الارض وبذلك تكمل العشرة أعداد .

والارض توجه دائماً الى عكس الارض والنار المركزية ، الجهة المقابلة للتي نسكنها ولذلك لا تصل الينا أشعة هذه النار مباشرة بل بواسطة الشمس . ويكون الوقت نهاراً اذا وجدت الارض مع الشمس في نفس الجهة المركزية . والشمس والقمر والارض كلها كروية الشكل الا ان الاولين شفافتان كالزجاج بحيث انهما تعكسان النور والحرارة

والنفوس أجزاء من الشمس . وتوجد شياطين بين الآلهة والناس وهي التي تسبب لهؤلاء الاحلام وغيرها من الهواجس .

والارواح لا تفنى غير انها تسير في أثير الجو الى ان تصادف جسماً أياً كان فتدخل فيه . واذا خرجت من جسد انسان يتفق ان تدخل في جسم حيوان آخر ولذلك كان فيثاغورس يحرم ذبح الحيوانات واكلها . وان المادة تبقى ولا يعتريها الفناء بل التغير فقط في الشكل .

والغرض من الحياة التشبه بالآلهة واطاعة ارادتها — والحياة تجربة فليس للانسان حق في التخلص منها بالانتحار كما ان الجندي لا يحق له التخلي عن مركزه

وقد أوصى بالعبادة واحترام الوالدين والوفاء بعهد الصداقة

والرفق والاحسان للضعفاء والاعتدال في طلب الغنى . وفحص الضمير يومياً مع المواظبة على الصلاة وتجنب الموبقات والامتناع عن أكل الرجاسات وخضوع الشبان للشيوخ واحترام القوانين والسلطة . والتفاني في خدمة الوطن .

وأشهر تلاميذ فيثاغورس اثنان

فيلولاوس (٥٠٠ — ٤٢٠ ق م) ولد في كروتونا بايطاليا وهو الذي شرح مذهب استاذه في كتابه الباخوسيين نسبة الى الاله باخوس

وأرخيتاس . ولد في تارنتا ومات غرقاً في جهة ابوليا وكان فلكياً ورياضياً ومن ضمن اختراعاته البرغي والبكرة .

---

١٧ — أمبيدوكل او امبزقليس Empedocole

افردنا فصلاً خاصاً لهذا الفيلسوف لان فلسفته مزيج من مذاهب انكسيمندر وهرقليطس وفيثاغورس والالياثيين

ولد في اجريجنتا بجزيرة صقيليا سنة ٤٥٠ ق م وكان كاهناً للآلهة وشاعراً وفيلسوفاً وساحراً فافتخر بانه يأمر الرياح فتطيعه

والعواصف فتسكن لصوته ويخاطب الارواح ويشفي جميع الامراض. وكان مع وفرة غناه يبذل ماله في الاعمال النافعة الشريفة

ذهب الى بلاد اليونان في اواخر حياته وعلم في اثينا ولم يتمكن من العودة الى بلاده لان خصوم الديموقراطية استولوا على زمام الاحكام فيها فمات في احدى مدن بليبونيز

قال ان كل شيء كان في البدء مختلطا وممتزجا بالوحدة .

ماهي هذه الوحدة ؟ أكانت « الموجود » الذي لا نهاية له ولا تغيير أي الاحدية المطلقة التي ذكرها كزينوفان وبرمنيدس وزينون .

نظن انها كانت الواحد والمتعدد كما زعم فيثاغورس . بيد ان الوحدة والتعدد لم تكونا في نظر امبيدوكل هـذا العالم المجرد بل هيولى الكون الازلية الكروية الشكل المساوية لذاتها . ثابتة فسيحة فدعاها (سفيروس) وجميع العناصر مثبتة في هذا السفيروس بقوة سائدة هي الحب

وتخلي الحب بقوة اضطرارية عن سيادته الى الشقاق الذي أوجد الحركة والانقسام في السفيروس (الكرة)

فالعناصر التي كانت مختلطة ببعضها البعض تفرقت وكان أولها الهواء ، ولما ضغط الهواء تولدت عنه النار . أما الماء واليابسة فقد انفصلا عن ذلك الاختلاط بحركة ذاتية

فكأن امبيدوكل بهذه النظرية ينتمي الى مذهب ديموقريطس

أو الى المذهب المادي الطبيعي الذي عامت به المدرسة الايونية

وأنشأ امبيدوكل من تلك العناصر الاربعة ديانته فقال ان النار هي الالهة زفس ، والهواء هيرا ، والارض اركوس ، والماء نستيس ، وعند ما يبكي هـذا الاله تتساقط دموعه على الارض وهذه الدموع هي الندى

وقال ان الكائنات تتكون وتتبدل باختلاط العناصر ببعضها أو بانفصالها بدون ان ينعدم منها شيء لان المادة لا تفنى ولا تنعدم

ويعتقد بوجود آلهة كثيرة ، وملائكة أصدقاء للناس ، وشياطين أعداء لهم تحرضهم على فعل الشر ويعتقد أيضا بخلود النفس وتناسخ الارواح Metempsycose في اجسام الحيوانات والنباتات وتعيش فيها على التعاقب الى ان تعود أخيراً الى الآلهة فتعيش معها عيشة رغيدة سعيدة .

والمبدأ الثابت في ذهن هذا الفيلسوف ان الحب — مبدأ وغاية كل موجود — هو الذات الالهية وان الفهم المدبر لجميع الموجودات هو العقل

١٨ مدرسة الذرات

تختلف هذه المدرسة عن المدرسة الايليائية تمام الاختلاف ويشبه مذهبها من بعض الوجوه مذهب المدرسة الايونية

اما زعيماها فهما لوسيبس وديموقريطس وكلاهما ولد في ابدير بتراقيا . فاتفق الاثنان مولداومذهباً وسيقتصر كلامنا على الثاني منهما لاننا نجهل تاريخ حياة الاول

اشتهر ديموقريطس (٦٢٠ — ٤٤٠) Democrite بالطروب لانه ماكان يرى الا ضاحكاً على نقيض هرقليطس المتشائم الباكي وكان غنياً ميالاً الى السفر . جوّاباً للاقطار . اذ قال عن نفسه في كتاب حفظ لنا بعض شذرات منه القديس اكليمنضس الاسكندري ما يأتي :

« زرت اكثر البلاد وطفت الافاق البعيدة وشاهدت أغلب »
« الشعوب وتخاطبت مع معظم حكماء عصري ولم يفقني أحد في »
« بيان الخطوط (الهندسة) حتى ولا المصريون

والمحقق انه كانت له علاقة بالفلاسفة برمنيدس وزينون وانكسغوراس وبروتغراس وغيرهم . وقد اكسبته حميته وشوقه للعلوم معارف اكثر مما عرفه المتقدمون والمعاصرون والف كتباً عديدة ذكرها ديوجنس اللايرثي

ويظهر ان مذهب الذرات موجه على الاخص ضد المذهب الايليائي الذي انكر وجود الفضاء وبالتالي وجود الذرات اذ لا يمكن وجود ذرات بدون فاصل أي فضاء بينها . وخاصة الفضاء هي وجود امتداد غير متناه تحصل فيه حركة الكائنات وتعددها

اما لوسيب وديمقريطس فأثبتا بالعكس وجود الفضاء بادلة بعضها يستعمله الآن علماؤنا

قالا : لا يمكن وجود حركة بدون فضاء وبدون جواهر فردة والدليل على هذا الوجود ضغط الاجسام وامكان صب ماء في اناء مملوء بالرماد بنفس المقدار الذي يمكن صبه تقريباً لو كان الاناء فارغاً . ووجود الفضاء ضروري في اجسام الحيوانات اذ لولاه لما امكن ادخال الاغذية فيها . اما الذرات فهي العناصر الممتدة الغير قابلة للتجزئة ومنها تتشكل المادةوهي غير متناهية العدد ولها ثلاث خواص جوهرية الصلابة والشكل والحركة

ثم قالا ، قسموا الجسم الى اجزاء مهما بلغ مقدارها فاما ان يبقى شيء أو لا يبقى . فان لم يبق شيء فكأن الجسم يأتي من العدم وهذا مستحيل ، وان بقي شيءفاماان يكون له امتداد أو لا يكون . فاذا كان له امتداد ثبت وجود الجزيئات (الجواهر الفردية) وان لم يكن له امتداد رجعنا الى القول بعدم بقاء شيء من الجسم وهذا محال

فالاجسام اذن مؤلفة من ذرات (جواهر فردية) تتحرك بذاتها فتتجمع أو تتفرق وبذلك تشكلت الاجسام باشكال مختلفة وهذه الذرات لا تحصى وازلية الوجود

والنفوس مكونة من ذرات روحية سريعة الحركة كالتي تشاهد في شعاع الشمس المنبثق من كوة الى داخل غرفة مظلمة

اما المعرفة فمصدرها الحواس لان الاجسام يصدر عنها أثير يتغلغل في اعضائنا فيسبب احساساتنا ويتسلط على المخ فيكوّن صور الأشياء وهذه الصور لا تدل على جواهر تلك الاشياء الظاهرة بل على التأثيرات المختلفة الناشئة عنها .

والآلهة كالناس تتركب من تلك الذرات الا انها منظمة باحسن ترتيب ولهذا السبب تعمر طويلاً اكثر مما يعيش الانسان

ويهيمن فوق الكل ضرورة تحكم السماء والارض . والسعادة في طاعتها طاعة عمياء

اما مترودور من (كيو) وتلميذ ديمقريطس فقد ادت به نظرية صور المعاني الى الوقوع في مذهب اللاادرية المطلق فكان يقول « لا اعرف شيئاً حتى ولا ادري اني لا ادري »

وقد تتلمذ له انكسارك الذي صار استاذاً لبيرون

١٩ - السفسطائيون (المغالطون)

حكى شيشرون في كتابه «بروتوس» انه بعد سقوط طغاة صقيليا . رفع الاهالي الدعاوي أمام المحاكم ليستردوا ممتلكاتهم التي اغتصبها أولئك الطغاة . فانتشر حينذاك المحامون وتباروا في الفصاحة والخطابة لاقامة الحجة والدليل على صحة دعاويهم . وأعظم من اشتهر منهم كوراكس وتسياس اللذين كانا أول من فكرا بتدوين الخطب في القرطاس . وحذا حذوهما بروتغوراس وجورجياس فاعدا محلات عمومية يعلمان فيها الخطابة نظير أجر معلوم واتخذا لقب «سوفوس» مع نعتها «سوفست» أي الانسان الحكيم الماهر في كل علم اذ ان من شروط المحامي ان يكون ملماً بالمعارف المتعددة

بيد ان لقب سوفست (أي السفسطة) تحول من معناه الحقيقي واصبح علماً على كل مغالط أو مكابر في الحق . لان المهنة التي اتخذها أولئك السفسطائيون كان من امرها ان تدافع عن كل دعوى سواء كانت صحيحة أو باطلة . والمحامي في استطاعته ان يأتي بالبراهين ليقنع خصمه بصحة أمر ما ، ثم يمكنه ان يدافع ضد ذلك الامر ببراهين أخرى . وقد نشأ عن ذلك ان تخلل الشك والارتياب افئدتهم فلم يعترفوا بحقيقة ما ، ولما كانوا اقوياء الحجة

قام في وجوههم خصوم اكفاء لهم كسقراط وافلاطون وارسطو
ولقد شبه المؤرخون الجيل الخامس قبل الميلاد بالجيل الثامن عشر المسيحي ، والسفسطائيين بالانسكلوبديين

بروتغوراس (٤٨٥ — ٤١١ ق م) Protagoras

ولد في مدينة ابدير بتراقيا وبعد ان تمرن على الخطابة في وطنه على أستاذه ديمقريطس قصد أثينا حيث أخذ بالتعليم فيها فاشتهر ومن ثم أثرى من الاجر الذى كان يتناوله من المتعلمين ثم رحل الى صقيليا وايطاليا وعلّم فيهما وبعد ذلك عادالى اثينا ثانية الا انه نفي منها نظرا لما ذكره في كتابه (بيري ثيون) اي الخاص بالله فاحرقت كتبه في الميادين العمومية لاتهامه بالكفر والالحاد اذ انكر وجود الله حيث قال « لا أستطيع ان أعرف هل توجد آلهة أم لا »

أما مذهبه فدوّنه افلاطون في محاورتي « بروتغوراس وتيتيتس » وحكاه ارسطو في مؤلفه «ما بعدالطبيعة» ويتلخص هذا المذهب فيما يأتي : « الانسان مقياس جميع الاشياء »
وهو على رأي هرقليطس فيما يتعلق بالعالم المادي . من ان الحواس دليل كل شيء وأصل المعارف البشرية . كما ان الاحساس لاحد لتغيره . وكل انسان يحكم بما يعرفه وحكمه حق

ولما كانت أحكام الناس تختلف في الشيء الواحد . فما يراه هذا

صواباً يراه الآخر خطأ ويشك آخر في صحته وفي خطائه . فكل واحد مخطيء ومصيب في آن واحد لان الحقيقة تابعة للشعور الوقتي الذي نحس به وما صدق الشيء وكذبه الا حسبما يستحضره الانسان صدقاً أو كذباً

أما الخير الخلقي فهو كل ما يسر . ولا يوجد ركن خاص لتعريف العدل والظلم او القداسة والنجاسة

جورجياس (٤٨٥ — ٣٨٠) ق م Gorgias

ولد في ليونتيني بصقيليا وتتلمذ لزينون الإليائي وبعد ان زار بلاد اليونان أقام زمناً في تساليا . وفي سنة ٤٢٧ ق م انتدبه مواطنوه سفيراً في أثينا ليستميلها الى المساعدة ضد سيراقوسه .

وفتح مدرسة تعلم فيها البلاغة فأثرى واشتهر من مهنته ويقال انه مات معمراً نحو المائة عام في مدينة لاريسه بتساليا

وأهم مؤلفاته كتاب اللاوجود أو الطبيعة فشرح افلاطون هذا المذهب وانتقده في كتابه « جورجياس وهبياس »

كان جورجياس إليائياً ومن قوله « لا يوجد شيء ، وان وجد فلا تمكن معرفته . وان وجد شيء وأمكن معرفته فلا يمكننا تعريفه للآخرين »

أما برهانه على ذلك فكما يأتي

اذا كان للموجود وجود فيكون ابدياً وبالتالي لا نهائيا .
واللانهائي لا يمكنه ان يحتوي على شيء . فلا المحتوي هو ذات المحتوى عليه . ولا هومتضمن في شيء آخر لانه لانهائي . فليس هو شيء ما فاذن لا وجود له

وان أمكن معرفة شيء فهو والعقل واحد والعقل لا يصير ابيض لمجرد معرفته البياض

حواسنا لا تدرك الا ما يتعلق بها : البصر يدرك الالوان والسمع يدرك الاصوات وهلم جراً

واننا عند ما نتكلم لتعليم غيرنا ما نعتقد معرفته فآذان السامعين تدرك الاصوات وليس التصورات التي يفكر بها المتكلم والا لكانت التصورات والكلام شيئاً واحداً اذن لا يمكننا تعريف الآخرين ما نظن ان نعرفه

هذه الادلة مغالطات قام بنقضها سقراط وافلاطون وارسطو منذ زمن

ويؤخذ مما تقدم ان بروتغوراس وجورجياس كانا ينكران حقيقة المعرفة

ونجم عن السفسطة تأسيس علم المنطق ووضع قواعد ثابتة له .

أما باقي السفسطائيين فكانوا أقل شهرة من الاثنين اللذين ذكرناهما ونكتفي بذكر أسمائهم دون تعليق وهم :

بولوس الاجريجنتي . وتراسياك الخليكدوني تلميذي جورجياس ثم كريتياس أحد الطغاة الثلاثين . وهبياس . وأوثديمس ومترودور . وپروديكوس .

وهذا الاخير كان يعلم بثلاثين وبخمسين فضة وكان يصرف على ملذاته كل ما يكتسبه وقد حكم عليه بان يتجرع شراب الشوكران المسموم لانه قال ان الآلهة من مخترعات افكارنا .
وكان يري ان الفضيلة في العمل بحسب ظروف الاحوال

المدة الثانية

العصر السقراطي (٤٠٠ — ٣٢٢ ق م)

جعل سقراط للفلسفة موضوعاً هو الانسان ، وغرضاً : تنظيم الحياة الخلقية والاجتماعية .

ويبحث هـذا العصر في تاريخ حياة كبار الفلاسفة الثلاثة سقراط وافلاطون وارسطو . ثم في المدارس الصغرى المتخلفة عنهم .

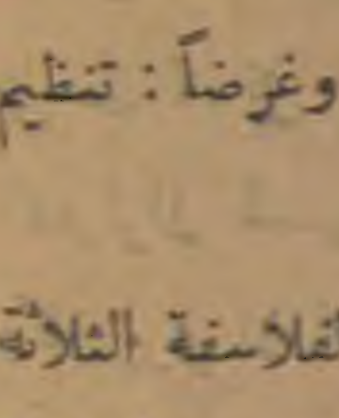

٢٠ — سقراط (٤٧٠ — ٤٠٠ ق م)

Socrate

حياته : ولد في مدينة أثينا وكان أبوه سفرونسك نقاشاً وامه فيناريت مولدة (داية) .

اتخذ في بدء أمره مهنة أبيه ولكنه اتبع فيما بعد رأي صديقه المثري كريتون الذي ابتاع له مؤلفات انكسغوراس فاعتنق الفلسفة وقيل انه تتلمذ لبريكوس . وللمهندس تيودور القوريناي ولارخلاوس الطبيعي . ثم صار معلماً فشرع في تدريس الفلسفة

في محلات أثينا العمومية وبساتينها وكان الشبان يلتفون حوله منجذبين اليه بطيبة سريرته وفصاحة بيانه

ولم تشغله الفلسفة عن تأدية واجباته الوطنية والعسكرية فحارب في بليونيز وخلص حياة « السبياد » في موقعة بوتيديه ، وحياة « كزينوفان » في موقعة دليوم .

أنتخب بالاقتراع عضواً في مجلس الشيوخ وانفرد بالدفاع عن القواد العشرة الاثينيين الذين حاربوا في ارجنيوز . وجاء على وحي لسان الالهة دلفس « انه أعظم الرجال حكمة وعقلاً » وهو نفسه كان يعتقد ان صوتاً خفياً يرشده في جميع ظروف الحياة الخطيرة

وظن ارستوفان ان سقراط من السفسطائيين مع انه الد خصومهم . فهزأ به في كتابه « السحب »

اما اراؤه الاجتماعية والسياسية فلم يرض عنها الحزبان اللذان تنازعا الحكم في المدينة ولذلك كان مبغوضاً لديهما .

ولما دالت دولة الثلاثين طاغياً، اتهم سقراط امام الاريوباغس بأنه لا يكرم آلهة المدينة ويطلب آلهة غيرها ويفسد أخلاق الشبيبة فاتخذ مليتوس وليكون وانيتوس (Melitos, Lycon, Anytos) على عاتقهم رفع الدعوى غير ان المجلس اعتبر التهمة دينية واحال القضية على محكمة الهلياست (Heliastes) وكانت مشكلة من قضاة منتخبين من عامة الشعب بطريق الاقتراع . فبدلاً من ان يدافع سقراط عن نفسه ويدرأ عنه التهمة الموجهة ضده ،

أخذ يتهم هو خصومه ويقيم الحجة على سوء قصدهم بلهجة تهكمية أثارت عليه غضب القضاة فحكموا عليه ان يتجرع شراب الشوكران المسموم سنة ٤٠٠

وقد ذكر افلاطون في محاورة «فيدون» كيف قضى سقراط ايامه الاخيرة في سجنه دون ان تفارقه شجاعته محدثاً تلاميذه عن خلود النفس .

ولم يكتب سقراط شيئاً بيد ان تعاليمه تستخلص مما كتبه تلميذاه زينوفون وافلاطون، فالاول ذكر تاريخ حياته ودحض مطاعن خصومه . والثاني شرح المذهب ولكنه صبغه بافكاره الشخصية ، ويقال ان سقراطا لما اطلع على ماكتبه عنه افلاطون في محاوة « ليست » صاح ما اكثر الاكاذيب التي ينسبها الي هذا الفتى »

طريقته : — لسقراط طريقتان، احداهما جدلية خاصة بالتعليم والثانية نظرية تتعلق بالعلم ذاته

(والاولى) على نوعين : استفهامي وتوليدي (مايوتيكي)

كان يستعمل النوع الاول مع خصومه السفسطائيين ومع تلاميذه الذين لم تكن لهم دالة عليه ويرغب في ان يقتادهم الى أول درجات العلم وهي تجريد ذاته من كل معرفة لان مبدأه « كل ما اعرفه اني لا اعرف شيئاً »

فكان يطرح على مخاطبه قضية من القضايا ومتى اجابه عليها

يناقشه في معنى تلك الاجابة فيلقي السؤال تلو السؤال مأخوذاً من ذات الجواب حتى يؤدي به الى الاعتراف بخطأ الجواب الاول او بتناقض النتائج

(اما النوع الثاني) اي توليد الافكار فقد دعاه كذلك تذكاراً لصناعة امه . فكان يستعمله مع مستمعيه الحسني النية ومع الشبان الذين لهم عليه دالة ويجب ان يساررهم

وينحصر هذا النوع في ان يذكر سقراط لتلامذته رأياً ما ثم يأخذ في تفسيره وشرحه مبتدئاً من البسيط فالمركب حتى يجعل هذا الرأي واضحا لا غموض فيه ولا ابهام واضعا نصب عينيه « ان العقل اساس كل شيء وان التعليم هو معرفة كنه الشيء اي ان التوليد حقيقته »

والاستفهام والتوليد لم يكونا الا صيغ ظاهره لطريقة سقراط اما الجوهر ففي الاستقراء والتحديد وهما نوعا الطريقة الثانية الخاصة بالعلم ذاته . لان سقراط ادرك ان العلم ليس غرضه افراد الاشياء واعراضها بل عمومياتها وجواهرها

مذهبه النفسي : — ميز سقراط بين النفس والجسد وللنفس خاصتان يسترشد بهما للوصول الى المعرفة وهما الحواس والعقل . فالحواس تعرف افراد الاشياء وبالعقل تدرك معانيها العامة

ولسقراط الفضل الاعظم في رد الفلسفة من ابحاث الايونيين النظرية في العالم الطبيعي الى الحقائق الذاتية الانسانية وكانت

آيته التي يتغنى بها على الدوام هي تلك الحكمة المنقوشة على واجهة هيكل دلفس «اعرف نفسك بنفسك» ولذلك قيل انه استنزل الفلسفة من السماء الى الارض

وهو ايضا لم يشك في صدق الحواس ولا في قيمة المبادىء العقلية . اما فيما يختص بالارادة فجعلها خاضعة للقدر فالانسان مسير لا مخير وليس واحد شريراً بالطبع فلا يخطيء الا جهلا منه

مذهبه الخلقي : — يعد سقراط مؤسس علم الاخلاق ومن قوله ان السعادة غاية اعمالنا وميولنا . بيد انه خلط الشيء النافع والخير المطلق. وليست الفضيلة في نظره الا المعرفة فيكفي للانسان معرفته الخير ليؤديه بالطبع . واولى الفضائل التي تحتوي على جميعها هي الحكمة اى تمييز الخير . وهذه الحكمة تبعا لاغراضها ، تدعي شجاعة او اعتدالا اوعدلا او تديناه ويوصي سقراط باحترام المراة والرفق بالعبد ، وبر الابناء بالاباء • وتفضيل الخير العام على الخير الخاص

وميز أيضاً بين السنن الطبيعية الغير المكتوبة لانها من عمل الآلهة وبين الشرائع الوضعية المكتوبة فهذه مشتقة من تلك

وهو نفسه حاز جميع تلك الفضائل فاحتمل توبيخات زوجته «كساتيب Xantippe» بدون ان يظهر تذمراً وهذب ابنه لمبروكلس أحسن تهذيب. وأظهر امتثالا تاماً لحكم «الهلياست» بدون شكوى أو تعذير . وكان كارهاً لثورات الشعوب والحكم

الجمهوري وطالما تهكم على الاثينيين الذين كانوا ينتخبون حكامهم بالاقتراع بالفول — ويرى سقراط ان الجمال جزء من الاخلاق لانه يوجد عند الفنان نسباً يظهره وعند الانسان الكامل في مظاهر الاعتدال والاجلال

مذهبه في مابعد الطبيعة : كان يعتقد بوجود اله واحد ازلي مالىء الكون وهو في العالم كوجود النفس البشرية في الجسم • ووجود الله ثابت بدليل ان لكل معلول علة فلكل فعل فاعل ولكل فاعل غاية .

والسبب الذي خلق الانسان هو سبب عاقل . وكل شيء في العالم خلق على أحسن تقويم فهو من عمل قوة مدركة تام الادراك وكاملة العقل .

وتوجد عناية تنظم الكون طبقاً لشرع العقل أي باخضاع الخاص للعام وبتعاون الاجزاء في العمل لصالح المجموع. والنفس هي جزء من ذلك العقل الكامل كما ان الجسم جزء من المادة . وتلك النفس خالدة .

أما ما دعي انه « شيطان سقراط » أي ذلك الصوت الداخلي الذي كان يوحي اليه بكل ما ينبغي عمله أو تجنبه . فهو الهام تلك العناية الالهية أو بالحري صوت وجدانه الذي كان يملي عليه سلوكه .

وبالاجمال ففضل سقراط عظيم لانه وضع حداً لشذوذ الفلاسفة

الطبيعيين والمغالطين . . وجعل للفلسفة غرضاً سامياً وغاية عظمى وهي اصلاح السلوك للافراد والجماعة —

٢١ – افلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق م) Platon

حياته : ولد في شهر مايو سنة ٤٢٧ ق م واختلف الرواة في مسقط رأسه فقيل في أثينا وقيل في اجينا وهو من عائلة وجيهة ابوه ارستون من نسل قدروس آخر ملوك اثينا القدماء وامه بريكسون من نسل صولون الحكيم

دعاه والده ارستوكلس Aristocles ولكن معلمه الالعاب الرياضية سماه افلاطون أي العريض نظراً لعرض كتفيه او جبينه

تلقى في اثينا العلوم النحوية والرياضية وفن الموسيقى وحفظ كثيراً من اشعار هوميروس وامتاز في الالعاب الرياضية ونال فيها عدة جوائز ، ولم يهمل دراسة الفلسفة فتعلمها على كراتيلس ثم تتلمذ وهو في العشرين من عمره لسقراط وظل ملازماً له نحو العشر سنوات . وعند ما اتهم معلمه سعى كثيراً ليخلصه وتطوع للدفاع بنفسه عنه امام القضاة فلم يرض هؤلاء به .

ولما مات سقراط ظلما وعدوانا سنة ٣٩٩ ق م انتقل افلاطون مع اقليدس الى مدينة مغاري شرقي برزخ قورنثيه ثم رحل منها الى القطر المصري فالقيروان حيث تعرف بتيودور الرياضي ، وقصد بعد ذلك ايطاليا فدرس فيها الفلسفة الفيثاغورسية . ثم توجه الى

جزيرة صقليا حيث تعرف بديون (Dion) صهر دنيسيوس الاكبر طاغية سيراقوسه .

وحاول افلاطون وديون التأثير على ذلك الطاغية ليمنح سيراقوسه حريتها ويجعلها جمهورية يحكمها الفلاسفة على مثال جمهوريات فيثاغورس ، فلم يرق ذلك في عيني دنيسيوس فالقى القبض على صاحب الترجمة وباعه عبداً فافتداه بعض الاصدقاء واعادوه الى اثينا سنة ٣٨٨ ق م .

وفي هذا العام اسس « الاكاديمية » وهي مرجة للالعاب الرياضية بجانب بستان البطل « اكاديموس » تبعد عن اثينا ١١٠٠ متراً

فاخذ يلقي في الاكاديمية على الطلبة تعاليمه ثم يكتبها في محاورات واستمر في ذلك عشرين عاما الى ان استدعاه صديقه ديون الى صقليا للمرة الثانية لان دنيسيوس الاكبر كان مات وخلفه ابنه دنيسيوس الاصغر . فقصد افلاطون سيراقوسه حيث قوبل بالترحاب والحفاوة وفرح به الاهالي ورجال البلاط فرحاً عظيما بالرغم مما كانوا عليه من الخلاعة والفساد .

ولم يطل الحال على دنسيوس فعاد الى متملقيه نابذاً نصائح افلاطون ومقربا اليه الوشاة . فنفى ديون وصرف الفيلسوف الى بلاده حيث عاد الى القاء الدروس في اكاديميته

وبعد عشر سنوات استدعاه ثالثة دنسيوس فلباه على ان يصلح

بينه وبين ديون وفيماهو سائر اليه علم ان ديون أعد جيشا واستولى على العرش بعد ان طرد دنسيوس ولكن هذا عاد أخيرا بعد مقتل ديون في فتنة . وبقي زمنا قصيرا متوليا زمام الاحكام الى ان قامت عليه ثورة فتنازل عن العرش والتجأ الى قورنثيه يدرس فيها علم النحو

اما افلاطون فظل يعلم في مدرسته حتى توفي بالغا من العمر ٨١ عاما فدفن في البستان تحت ظلال شجر الزيتون

وقال عنه شيشرون الخطيب الروماني: ان يمينه لم تترك القلم وفكره لم ينفك عن التأليف حتى آخر نسمة من حياته .

مؤلفاته : تنسب كتب كثيرة الى افلاطون بيد ان اكثرها ليست له .

وكتب مؤلفاته على شبه محاورات على لسان شخص معلوم . وبعض تلك المحاورات يتضمن تعاليم سقراط والبعض يتضمن مذهبه الخاص .

ونحن موردون هنا أسماء الكتب المجمع على انها من تأليفه مرتبة حسب المواضيع التي تناولها بحثه :

١ً المحاورات الجدلية : ـ تبحث فيما بعد الطبيعة وهي : ثيتيتس (في العلم) وقراطيلس (في اللغة) والسفسطة (في الوجود) وبرمنيدس (في المثل او التصورات) وتيماس (في الطبيعة) وفيدون (في خلود النفس) وأوثيديمس (في السفسطة)

٢ً الكتب الاخلاقية والسياسية : فيليب (في اللذة) ومينون (في الفضيلة) وبروتغوراس (في السفسطائيين) وكتاب تقريظ سقراط . وكتب الجمهورية ، وكتب القوانين . ومحاورة كريتون (في طاعة القانون) واتفرون (في علاقة الدين بالاخلاق) وشرميد (في الاعتدال) وليسس (في الصداقة) ولاخيس (في الشجاعة) والبوليطيقي (في الحكومه الملكية)

٣ً ــ المحاورات الخاصة بعلم الجمال : المائدة (في الحب) وفيدر (في الجمال) وجورجياس (في علوم البلاغة) وهبياس (في الجيل) ويون (في القريض)

الصفة العامة للفلسفة الافلاطونية تمتاز هذه الفلسفة بانها مجهود شديد للتوفيق بين آراء الفلاسفة المتقدمين وعلى الخصوص الايونيين والإيليائيين والفيثاغورسيين فجعل منها مذهباً وسطاً على طريقة سقراط المنطقية ومذهبه الخلقي . وظن انه توفق الى هذا التركيب في نظرية المثل أو الصور

وهذه النظرية هي المحور الذي تدور عليه رحى الفلسفة الافلاطونية فيجدر بنا دراستها أولاً قبل البحث في النتائج الصادرة عنها في العلوم «الالهية والنفسية والاخلاقية والسياسية»

نظرية المثل : أورد افلاطون هذه النظرية في الجزء السابع من كتابه «الجمهورية» حيث قال « تصور يا عزيزي جلوكون حالة الطبيعة البشرية بالنسبة للمعرفة والجهل كما سأرمزه لك بكهف عميق يدخل النور اليه من فتحة مستطيلة بطول ذاك الكهف .

وتمثل اناساً مقيدين فيه منذ الطفولية بكيفية لا يستطيعون معها التحرك أو الالتفات الى الوراء بل يبصرون فقط ما يكون امامهم، ووراءهم نار متقدة. فالاشياء التي تمر وراء أولئك الاسرى تقع ظلالها امامهم فيظنونها حقائق وهي ليست كذلك. فاذا حل قيد أحد الاسرى واجبر على الالتفات خلفه الا يخطف بصره تلك النار فلا يميز في بدء أمره الاشياء التي لم ير الاظلالها. فماذا يكون جوابه في تلك البرهة لمن يقول له ان ما رآه سابقا ليس الا ظلاً للشيء الحقيقى الذي يراه الآن. واذا اقتيد خارج الكهف الى الفضاء حيث يسطع نور الشمس وحيث تمر أمامه حقائق الاشياء وليس أشباحها

الا يقتضي له زمن طويل ليميز بين الحقيقة والخيال ويدرك كنه الشيء ويعلم ان النور يعكس الظلال. هكذا حال الانسان من يوم ولادته يتدرج في الرقى العقلي وكذلك المثال ليس مجرد ادراك عقلي بل هو حقيقة واقعية مطلقة ومستقلة عن الاشياء المتمثلة لنا وهو الصورة التي تحتذي الاشياء اشكالها منها ويتصورها العقل كذلك.

فالدائرة مثلا توجد بذاتها قبل ان ترسم في الحيز وقبل ان يضع المهندس لها تعريفاً أو حداً كذلك حال كل الطبائع الحسية والكائنات الحية والصفات والعلاقات الادبية فلكل منها مثال مشخص في العالم العقلي سابق لما هو مشخص في العالم المادى.

وعلى رأي افلاطون ان المُثُل مبدأ المعرفة والوجود ولها صفتان جوهريتان: (الاولى) انها شاملة لكل الموجودات التى من جنس واحد. (الثانية) جوهرية أي موجودة بذاتها وهي أتم واكمل من الموجودات المتشاكلة على شاكلتها

بيد ان تلك المُثُل ليست أجنبية عن بعضها البعض انما هي منظمة بحسب درجة كمالها وفي أولها مثال الخير.

لاهوت افلاطون: والله هو مثال الخير بيد ان هذا المثال حي حقيقي مدرك وله مظاهر ثلاثة:

أولاً — هو الخير او الواحد مصدر الصلاح والحقيقة وغاية كل شيء

ثانياً — هو العقل الاسمى (لوجوس) مركز المُثُل حيث تبقى فيه الى الابد فهو العالم المثالي. وما العالم الحسي الا صورة غير كاملة له.

ثالثاً — الله روح هذا العالم، هو الفاعل صانع المادة ومحركها طبقاً لنماذج المُثُل.

وقد اثبت وجوده بدليل المحرك الاول والعلل الغائية.

اما المادة فهي أيضاً ازلية الوجود. كان كل شيء فيها منذ البدء مختلطاً مضطرباً. وقد اراد صلاح الله ان كل شيء يكون على شبهه بقدر الامكان فكوّن العالم طبقا للمثل التي اختلطت على نوع ما بالمادة العديمة الشكل ولكن لما كانت هذه المادة غير

كاملة فقد بقيت فيها آثار نقص العالم المادي واميال الخلائق الحرة الشريرة .

فالله اذن هو الخير والعقل والروح . خلق العالم بصلاحه لأن من كان صالحاً لا يعمل الا صلاحا . ثم نظمه بعنايته بحسب القوانين العامة للوجود

ولكن توجد نقطة غامضة في فلسفة افلاطون اللاهوتية وهي : كيف خلق الله العالم . فاذا كانت المُثل هي دون غيرها الواقع . فما حقيقة الاشياء المحسوسة ،

قال في كتابه تيماس « Timée » يوجد عنصر ازلي ملازم لله وهذا العنصر هو المادة . والكون نشأ من مشاركة المادة للمُثل بنوع الانكسار كما تتولد الالوان من انكسار الضوء

مذهبه في علم النفس . قال ان النفس البشرية قوة تتحرك بذاتها قد اتحدت بالله قبل ان تظهر في العالم الحسي ثم تسفلت بحلولها في المادة وصارت على شكل جسم ناسية وجودها السابق لكي تكفر عن آثام ارتكبتها في حياة ماضية — وهي واحدة ابدية لا تتغير

وللنفس ثلاث قوى :— النفس العاقلة ومقرها الرأس ، والنفس الغضبية أو السبعية ومركزها القلب ، والنفس الشهوانية او البهيمية ومقرها البطن

فالقوة الاخيرة تنشأ في النفس من اتحادها بالجسم . وهي اساس

الرأي أي المعرفة التبعية للاشياء الحسية وأساس المحبة الارضية التي تربط النفس بالمتاع الدنيوي الظاهري . اما العقل فهو مبدأ المعرفة والمحبة الحقيقية . ويكون مستكنا في النفس ثم يستيقظ ويتنبه تدريجياً حتى يمالك ذاته . والنظر الى ما تتضمنه الاشياء المحسوسة من الحقيقة والكمال تبعث فيه الشوق الى تذكر المثل التي شاهدها سابقا . فالمعرفة تذكر الماضي Reminiscense اما الشجاعة فتوجد بين العقل والاحساس وتتأثر بافعالهما غير ان العقل يغلب الاحساس ، ويستميل القوة المذكورة اليه . ويمكن تشبيه الشجاعة بالقوة الارادية لو كانت حرة . بيد ان افلاطون يذهب كسقراط مذهب « الجبر العقلي » فالانسان يعمل بالضرورة كما يفكر .

وكل غلط خطأ ولا يخطيء الانسان الا لجهله فليس هو شريراً بطبعه .

والنفس لا تموت فهي خالدة كالمُثل ذاتها

مذهبه الخلقي : اتفق افلاطون مع سقراط في مزج الفضيلة بالمعرفة وتوحيدها . بيد ان الفضيلة تكون في معرفة الخير أي في التشبه بالله . ولما كان الله هو الوحدة المنظمة والمرتبة لجواهر الاشياء . فالتشبه به هو تنظيم قوي النفس المختلفة وترقيتها الى ذروة الكمال

ويقابل كل جزء من أجزاء النفس فضيلة :

فالاعتدال فضيلة النفس الشهوية ، والشجاعة فضيلة النفس

الغضبية والحكمة فضيلة النفس العاقلة

ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاثة باعتدالها ونسبة بعضها الى بعض فضيلة أخرى تكمل وتتم بها تلك الفضائل وهي «العدالة» ويجب ان تخضع كل قوة من هذه القوى الى التي اعلى منها، وعلى ذلك ينبغي خضوع القوة الشهوية الى السبعية وهذه الى القوة الملكية الناطقة

والسعادة والفضيلة لا تنفصلان فالذي يبتعد عن النظام ينبغي ان يعود اليه

والافضل تحمل الظلم ولا ارتكابه ولا يجب مقابلة الظلم بمثله ويجب على المجرم ان يسعى في التكفير عن ذنبه ولا يهرب منه والرجل الفاضل يحب الخير بجميع مظاهره

مذهبه في السياسة : السياسة في نظره تطبيق عملي للاخلاق بمعنى ان الغرض منها الوصول بالناس الى الفضيلة والسعادة

وتنحصر مهمة الحكومة في تقرير الفضيلة فالفرد لا يوجد الا للدولة كوجود العضو في الجسم. والدولة اشبه بالانسان لها ثلاث قوى تنطبق على طبقات الناس المكونة للامة :

فتنتمي للقوة الشهوية طبقة الفلاحين والعمال وكل ذي حرفة مادية، وتنتمي للقوة الغضبية طبقة المحاربين الذين يدافعون عن الوطن . اما القوة المدركة العاقلة فينتمي اليها الحكام وهي صفة

هؤلاء الحكماء كما ان الشجاعة صفة الطبقة الثانية، والاعتدال تتصف به الفئة الاولى

وينبغي للفريق الادنى الخضوع للفريق الاعلى منه فتسود العدالة وتستقيم أمور الامة

ويجب الغاء حق التمليك الفردي والعائلة فتكون النساء والمقتنيات مشاعة بين الجميع وتتولى الحكومة توزيع الاموال بين الافراد وتربية الاولاد لانهم ليسوا ابناء زيد أو بكر بل أبناء الدولة وتتبع في التربية الميل الغريزي . واذكياؤهم يتعلمون الحكم ليكونوا فيما بعد حكامها

ويظهر ان افلاطون ادرك خطأه الذي ذكره في كتابه الجمهورية فعدله في كتاب «القوانين»

مذهبه المنطقي : المنطق كسلم مدرجة توصلنا الى العلم . فتكون السلم صاعدة اذا بدأت من الرأي الى العلم ونازلة اذا بدأت من العلم الى الرأي . واول ما يعرف الانسان الاشياء المحسوسة بصورها وبظلالها المنعكسة على الاجسام المصقولة الخ فتدعى هذه المعرفة ظناً او وهماً ثم يتدرج الى معرفة ذوات الاشياء وحقائقها الطبيعية وتدعى المعرفة اعتقاداً، بيد ان هتين الطريقتين لا تؤديان الا الى المعرفة العادية أو الرأي اذ يمكن لحواسنا ان تخطىء فيها

اما المعرفة العقلية فلها درجتان : معرفة رَوية فتكون من عمل العقل المفكر ، ومعرفة اللقانة «تدرك بذاتها» وعن هتين الدرجتين ينشأ العلم بيد ان الرويه تكتفي بالفروض التخمينية اما اللقانة فتصيب مباشرة المثل ذاتها

ويوجد أيضا شعور عقلي. فللمحبة درجتان احداهما خاصة بالعالم المنظور والاخرى بالعالم المعقول

تتعلق المحبة أولاً بالجمال الحسي ثم يلاحظ العقل ان الاشياء المحسوسة هي مظاهر النفس فتميل المحبة الى الجمال الخلقي ذلك الجمال الذي تنم عليه الافعال الحسنة والعواطف الكريمة والافكار السامية ثم يرتقي العقل من الجمال الخلقي الذي رؤي في النفس الى الجمال التام الذي يتحد بالخير المطلق اي بالله فهو الحد الذي تقف عنده جميع ميولنا وتشتاق اليه نفوسنا . ولا يمكن للفكر الوصول الى ذلك الخير الاعظم بغير المحبة فيجب على الانسان ان يقصد الحق والخير بكل نفسه

رأيه في الجمال — هو أول من وضع اساس علم الجمال .

وعلى رأيه ان النفوس الجميله يجب ان ترتبط بمعنى الخير . ولا يسلم بان الشعر والفصاحة لايقتصران على انبساط الناس بل يجب ان تكون اغراضها ادبية وتميل الي الجمال المثالي ويجب ملاشتها من الجمهورية اذا كانت اغراضها الحض على التهييج والثورة

٢٢ - ارسطوطاليس ٣٨٤-٣٢٢ ق م

Aristote

حياته : ولد ارسطو في استاغيرا «stagire» من بلاد مقدونيا على خليج ستريمون بالقرب من جبل اتوس . وكان ابوه نقوماخس طبيبا لامينطس ملك مقدونيا والد فيليب وجد الأسكندر الأكبر وبعد وفاة والده كفله وصيه «پروكسين» ثم ارسله وهو في الثامنة عشر من عمره الى اثينا مدينة الحكمة فمكث فيها عشرين عاماً متلمذا لافلاطون وامتاز على اقرانه فلقبوه « بالقاريء » ودعاه افلاطون « عقل المدرسة »

ولما مات افلاطون سنة ٣٤٧ ق م ترك ارسطو اثينا وقصد مدينة « اترنه » حيث نزل ضيفا على هرمياس حاكمها (وقد كان تعرف به أيام كان تلميذا معه لافلاطون) فازوجه هـذا « بثياس » ابنة اخيه وبعد ثلاث سنوات غادر ارسطو اترنه على أثر مقتل هرمياس بيد أحد مأجوري الفرس . فالتجأ الى مدينة متلين قصبة جزيرة لسبوس ومكث فيها سنتين ومن هناك استدعاه فيلبس الملك الى مكدونيا ليكون معلما لابنه الاسكندر الذي لم يكن تجاوز الثالثة عشر من عمره . وبعد اربع سنوات أي في

سنة ٣٣٥ استعد الاسكندر الى غزو اسيا فعاد ارسطو الى أثينا بعد ان غاب عنها نحو الاثنى عشر عاما اكتسب في خلالها معارف كثيرة

وكانت ادارة مدرسة افلاطون آلت بعد وفاته الى ابن اخيه سبوسيبس ثم توفى هذا وخلفه كزينوقراطس

فأنشأ ارسطو حينذاك مدرسته على ارض تابعة لهيكل ابولون اللقيني أو قاتل الذئاب ولذلك دعيت المدرسة الارسطوطاليسية باسم ليقيه او ليسيه « Lycee » ولما كان ارسطو يلقي دروسه على تلاميذه وهو ماش اطلق على هؤلاء لقب « المشائين » Peripateticiens

وكان اسكندر المقدونى يرسل اليه من اسيا اموالاً طائلة ونماذج الحيوانات النادرة . والنظم السياسيه للبلاد المحتلة .

ومات اسكندر الاكبر سنه ٣٢٣ ق م فنقضت اليونان عنها النير المقدونى فاضطر ارسطو لمغادرة اثينا وانسحب الى خلسيس حيث توفى في السنة التالية (سنة ٣٢٢) موتا طبيعيا بعكس ما أشيع • وترك ادارة مدرسته الى تيوفراست

مؤلفاته : تعتبر مؤلفات ارسطو كدائرة معارف تتناول جميع العلوم البشرية التى كانت معروفة في الجيل الرابع قبل الميلاد فوضع لكل علم كتابا خاصاً ما عدا العلوم الرياضية

وتنقسم هذه المؤلفات الى ثلاثة أقسام:

١ — العلوم النظرية أو العلمية ومؤلفاته فيها : كتاب السماء والاجرام السماوية . . والطبيعة . والنباتات . وتاريخ الحيوانات وكتاب النفس ويلحق به نبذ في الاجناس والذاكرة والنوم . والشباب والهرم . والحياة والموت . ثم كتاب الفلسفة الاولى أو ما وراء المادة .

٢ — العلوم العملية او الادبية : وله فيها كتب «الاخلاق (لينيقوماخ» والتدبير المنزلي (وبعضه ينسب الى تيوفراست) والسياسة المدنية .

٣ — العلوم العقلية والشعرية ومؤلفاته فيها : الشعر . والخطابة وكتب المنطق (ارجانون) وهى تتضمن : قاطيغوراس (اي المقولات) وبارىمنياس (او العبارة) وانالطيقي الاولى (اي القياس او بنأ السلوجسم) وانالطيقي الثانيـة (او البرهان وتوبيقي (او المواضيع الجدلية) وادلة السفسطائيين (اوالحكم المموهة) والخطابة وقوانينها — ثم له أيضاً كتاب القريض أو نظم الشعر .

مذهبه فى علم النفس : — الانسان ككل الموجودات مركب من مادة ومن صورة : فالجسم هو المادة . والنفس هي الصورة التي يتشكل بها الجسم ويحيا ولذلك لا تنفصل عن

الجسم لانها قوته الفعالة

والنفوس ثلاثة: نفس نباتية وهي مادة الحياة، ونفس احساسية وما يتعلق بها من ادراك وتذكر وتخيل وشهوات واميال غريزية الخ وتكون مشتركة بين الحيوان والانسان . ونفس مفكرة عاقلة وهي خاصة بالانسان ومصدر الافعال العقلية .

ومما لا ريب فيه ان النفوس العالية تحتوي أيضاً على الادنى منها

فالنفس الاحساسية الحيوانية لها القوة النباتية الحيوية والنفس الناطقة العاقلة تحتوي على القوى الثلاث النباتية الحيوية والاحساسية الحيوانية والعاقله المفكرة وبذلك تتم وحدة المركب الانساني بينما يقول افلاطون ان اتحاد النفس بالجسم عرضي

والنفس المتحدة بالجسد لا تدرك الاشياء الا بالحواس. ويقول ارسطو ان الاحساسات وصور الاشياء تكوّن المادة التي يستخلص العقل منها الشيء العام المكوّن فيها وبذلك يكون العقل على نوعين أحدهما منفعل او ممكن ويمكنه ان يصير كل شيء . والآخر فاعل يعطي للمادة صورتها وشكلها فالعقل الفاعل يفعل في الاشياء المتأتية من الحواس ويكوّن منها الاشياء المعقولة وحينئذ يستقبل العقل المنفعل هذه الاشكال التي تحوله من القوة الى الفعل اي تجعله ان يتعرف جواهر الاشياء العامة وعلاقاتها الضرورية

ويدعو ارسطو الارادة « شهوة عقلية » اي رغبته في الحصول على غاية . وبيان السبيل لادراكها .

والارادة حرة ليست مسيرة كما ذهب سقراط وافلاطون لانه اذا كانت السعادة غاية الانسان فهو حر في اختيار أي الطرق الموصلة الى سعادته بتفضيل خير على آخر .

اما رأيه في خلود النفس فغامض . كل ما في النفس وكان متعلقاً بالجسم كالاحساس والتصور والتذكر فهو مائت كالجسم ولا يبقى الا العقل الفعال لانه منفصل عن الجسم . الا ان هذا العقل ليس خالداً بذاته بل بالنسبة لارتباطه بالعقل الازلي اي بالله

مذهبه المنطقي : — يعد ارسطو مؤسس علم المنطق وواضع قواعده وقوانينه مما لم يدع مجالاً لمن اتى بعده لنقضها اولاضافة شيء عليها ولنذكر هنا نظريته في المعرفة والتعليل

نظرية المعرفة : — لايسلم ارسطو بنظرية المثل الافلاطونية من انها منفصلة عن ذوات الاشياء . ولكنه يميز بين التجربة والمعرفة فهو لا يريد ان يكون حاسياً بل وسطا بين المذهبين

للنفس قوة احساسية غير ان هذه الخاصة اذا تجردت عن ذات الشيء فلا توجد الا في حيز القوة ولا تصير بالفعل الا اذا لازمها شيء خارجي وهذا هو معنى تمثل الشيء الخاص ، وصورته تثبت في الذهن بالتذكر ، وبتكرار التذكر تنشأ التجربة .

والتجربة اساس المعرفة ولكنها ليست بذات المعرفة لان خاصية هذه المعرفة ان تدرك الشيء العام

والصور التي تمر بهذه الخاصة التي يدعوها ارسطو « العقل المنفعل »(intellet passif) هي مادة المعاني أو المثل ولكن ليست هذه المثل موجودة الا بالقوة فتصير بالفعل عند ما ينير العقل الفاعل (intellect Actif) ويجرد العام من الخاص

والعقل الفاعل يديره العقل الالهي

نظرية التعليل — : أما الاداة التي بواسطتها تحصل المعرفة فهي التعليل وهذا على نوعين

(استنتاجي) اذا بديء بذكر الامور العامة واستخلص منها النتائج الخاصة

(واستقرائي) اذا جمعت قضايا خاصة وكوّن منها قاعدة عامة

وقد اهتم ارسطو بالنوع الاول وتكلم عن الحدود والقضايا والبرهان والقياس

فالحدود على قسمين . المقولات (catégories) والكليات (catégoremes) والمقولات عشرة وهي: الجوهر والكم والكيف والاضافة والفعل والانفعال ، ومتى والاين والوضع والملك

والكليات خمسة وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام

أما تعاليم ارسطو فيما يختص بالقضايا والقياس والبرهان فهي

معروفة في علم المنطق الحديث ولا حاجة بنا لذكرها هنا

مذهبه الخلقي : — علم الاخلاق متضمن في ثلاثة كتب : (الاثيكي) او علم السلوك في الحياة الفردية . (والاقتصاد) في التدبير المنزلي . (والسياسة) في قواعد الحياة الاجتماعية

فالسعادة هي الخير الاعظم ويريد بالسعادة « تمتع قوى النفس بنظام واهلية . فهي السعادة العقلية ... والفكر اشرف قوة في الانسان — وغاية الحياة السلوك حسب مقتضى العقل

اما الفضيلة فهي المران على عمل الخير • وتكون في اختيار اواسط الامور ، واما الشهوات والميول فحسنة في ذاتها والقانون الخلقي يأمر بتدريبها وليس باهمالها

والعائلة لازمة للجنس البشري وضرورية لكيان المجتمع فهو بهذا الرأي يخالف افلاطون الذي يفكك اواصرها لمصلحة الاجتماع

ويجب معاملة المرأة كذات حرة • بيد انه يرى ضرورة وجود الرقيق مع معاملته بالرفق

مذهبه السياسي : الانسان حيوان اجتماعي فهو مدني بالطبع والغرض من السياسة خير الدولة التي تتأسس على مبدأ المساواة والحرية

اما الحكومة فوظيفتها تقرير الفضيلة بان تقيم العدل بين الناس فيتساوون في الحقوق والواجبات ولا يمتاز الواحد عن الآخر

لا بالكفاءة ، واحسن شكل للحكومة ان تكون جمهورية لانها تضمن النظام والامن والحرية .

مذهب ما بعد الطبيعة : — غرض الفلسفة الاولى « العلم بالموجودات كما هي موجودة » . والموجود الذي تدلنا عليه التجربة ، قابل للتغير ، اي التحول من القوة الى الفعل الذى تصير فيه الحركة . والحركة تستلزم محركا ولذلك تكون الاصول التي تفسر معنى تحول الموجودات (مادة) اي الاساس الغير المحدود الذي تصنع فيه الموجودات . ثم (الصورة) التي تتشكل بها الموجودات وبها تتباين وتتميز عن بعضها . (والعلة الفاعلة) التي تحول المادة من القوة الى الفعل . ثم (العلة الغائيه) التي يقصدها الفاعل عند تشكيله المادة بالصورة التي شكلها بها

مثال ذلك : تمثال من نحاس . فمادته النحاس . وصورته الشخص المتمثل . وصانعه هو العلة الفاعلة . والشهرة او المكسب غايته من عمله

والعالم الحسي يتركب من مادة وصورة والعلاقة بينهما علاقة قوة بفعل

وهذان الاساسان يسبقان كل تغير فهما ازليان ولا يمكن لواحد منهما ان يوجد بغير الآخر بل يتلازمان ويتجاذبان ويتممان بعضها البعض ، وباتحادهما يصير الموجود هو ما هو متميزاً عن

غيره ، وليست المادة عدماً بل هي الوجود في حالة القوة ويتميز بالصورة

فكتلة النحاس تمثال بالقوة . والتمثال : كتلة النحاس تشكلت بالفعل تمثالاً . فاذن تحول القوة الى الفعل هو التغير او الحركة والحركة نقطة الاتصال بين المادة والصورة . ومذهب المشائيين يرجع الى ثلاثة اصول : القوة أو القدرة والحركة والفعل

اما الموجود الاعظم فهو غير خاضع لهذا القانون التركيبي فهو صورة مجردة بدون مادة لان المادة ليست كاملة بذاتها . بينما ان الموجود الاعظم صورة مجردة وفعل مجرد اى غير مختلط بالانفعال ولا بالتحديد

ولقد اصاب ارسطو القول من ان الفعل يسبق القوة ويسبب وجودها . والشيء المقدر لا يمكن تحوله من القوة الى الفعل الا بواسطة واجب الوجود فالناقص لا يمكنه ان يكون موجداً للتام بل هذا مصدر ذاك

اما الحركة الطبيعية فهي ابدية ويشترط لكل متحرك محرك يتحرك بمحرك آخر حتى ينتهي الى محرك لا يتحرك بآخر فهو جوهر وفعل معاً

فهذا المحرك الثابت هو الله مصدر الحركة الابدية التي تتحرك بعلة غائية أي بطريق الجذب نحو العقل الاعظم والشوق اليه

كما يستميلنا الخير ويستهوينا الشيء الجميل بدون دخل لهما في ذلك

وعلى هذا المثال ينجذب عالمي الارواح والاجسام نحو الله بدافع ذاتي

فارسطو لا يعترف بالعناية الالهية كافلاطون الا انه اثنيني مثله فكلاهما يقول بالله والمادة منذ الازل والله على رأيهما لم يخلق المادة بل نظمها فقط

والله جوهر روحاني يتجلى فيه الفعل والحياة باتم مظاهرهما ومتمتع ابداً بالسعادة الكاملة ولانهما كه بمشاهدة ذاته لا يلتفت الى العالم

نظرية الجمال : — الجميل هو الشيء العظيم . والمنظّم وغاية الفنون الجميلة ان ينقاد الانسان بواسطة الجميل الى الخير

٢٣ - المقارنة بين افلاطون وارسطو

أخذ المؤرخون يقابلون بين فلسفة افلاطون وفلسفة ارسطو فالبعض يوفق بينهما وفريق آخر يفرقهما كأنهما على طرفي نقيض يبالغون في نظرية افلاطون المثالية وفي نظرية ارسطو الواقعية ونحن ذاكرون هنا ما اتفق عليه الفيلسوفان وما اختلفا فيه

أولاً — اختلف الاثنان في طريقتيهما فافلاطون شاعر بقدر ما هو فيلسوف يحب المجاز والرموز ويكتب بشكل اختراعي وعلى نمط محاورة لا يظهر فيها رأيه الا بعد اخذ ورد وطريقته استقرائية

اما ارسطو فكتابته منظمة وآراؤه متعادلة وطريقته الملاحظة والبرهان الدقيق ولغته موجزة مع اختصار في التعبير

ثانياً — اتبع الاثنان مبدأ أستاذهما سقراط من ان غرض المعرفة « العموم » وليس « الخصوص » المتغير . وجوهر الوجود على رأي أولهما « المثال » وعلى رأي الثاني « الصوره الظاهرة » فالمُثل الافلاطونية والصور المشائية لها مصدر واحد . بيد ان افلاطون يفصل الخاص عن العام ويرى في هذا الاخير الحقيقة الواقعية . اما ارسطو فبضده يصل العام بالخاص والفرد المكون منهما هو الواقع

وينبني على ذلك ان الحواس وبالتالي الامتحان والتجربة لا دخل لهما في المعرفة — على رأي افلاطون — بعكس ما ذهب اليه ارسطو

والاثنان مصيبان في مذهبيهما لان الشيء العام لا وجود له بصفته هذه بدون الاشخاص التي يتحقق بها . ولانه يجب البحث عن « العموم » بصرف النظر عن الافراد التي لا تتشكل باشكال متماثلة الا بدليل خارج عن تلك الاشخاص ومخالف لجوهرها

ثالثاً — قال الفيلسوفان ان الكمال غاية الوجود . والكامل

هو الاول بذاته اي الفعل السابق للقوة . او المثالي الموجود قبل الواقعي . غير انهما اختلفا في الطريقة الموصلة من الناقص الى التام او من التابع الى المتبوع المطلق

فافلاطون لاحظ التشابه الكائن بين الموجودات فبحث عن النماذج متى تشكلت على مثالها الانواع المختلفة وتدرج في الارتقاء من نموذج لآخر حتى انتهى الى المثال الاعظم انموذج الكمال والجمال

اما ارسطو فلاحظ حركة الموجودات وافعالها فتدرج من محرك لآخر الى ان وصل الى المحرك الذي لا يتحرك اي الى الفعل المجرد مبدأ النظم جميعها والعلة الغائية للطبيعة

وكل من الاثنين قال بالواحد الاحد . الا ان الله في نظر افلاطون منظم العالم بعقل وبصلاح . اما ارسطو فهو يقلل من قيمة الالوهية اذ جعلها مشغولة عن العالم بالتمتع بكمال جوهرها وسعادتها العظمى

رابعاً — يتفضل ارسطو على افلاطون بارائه الاخلاقية والمنطقية والسياسية : فجدليات افلاطون ركيكة . اما الاستاغيري (ارسطو) فقد وضع اساس المنطق واستوفى البرهان

لم ينكر افلاطون الحرية الشخصية صراحة ولكنه يشك فيها بتمثيل الفضيلة بالمعرفة . والرذيلة بالخطأ

اما ارسطو فقد ميز بين العالمين : العقلي والاخلاقي ودحض مذهب «الجبر النفسي» مؤكداً ان الانسان مخير وحر التصرف

لا مسير .

وخلاصة القول ان فلسفة هذين العظيمين أثرت أكبر تأثير في الاحقاب التي تلتهما فلقب افلاطون بالالهي ودعي اوجست كونت «ارسطو الذي لا شبيه له»

السقراطيون الاصاغر

دعي افلاطون وارسطو « السقراطيين الكبيرين لانهما ظلا امينين على جوهر تعاليم سقراط مع اصطباغها بارائهما الشخصية

غير انه وجد بجانبهما بعض الفلاسفة الذين تتلمذوا لسقراط أيضاً وخالفوا مذهبه وحوروه تحويراً كلياً أو جزئياً . فدعاهم المؤرخون « السقراطيين الاصاغر »

فظهرت ثلاث مدارس لاولئك الفلاسفة وهي « المدرسة الميغارية او الجدلية لمؤسسها اقليدس المغاري ، والمدرسة القورينائية وعلى رأسها ارسطبس ، والمدرسة الكلبية لمنشئها انتستينس :

وستفرد لكل منها مبحثاً خاصاً

٢٥ ـ المدرسة الميغارية

ولد اقليدس في مدينة مغارى سنة ٤٤٠ ق م فدرس الفلسفة على برمنيدس الإيليائي . ثم ذهب خفية الى أثينا ليتلقى العلم على سقراط اذ كانت الاقامة في أثينا محرمة على الميغاريين والموت كان قصاصاً للمخالف

فلما توفي سقراط سنة ٣٩٩ ق م عاد اقليدس مع بعض التلاميذ الى وطنه وفتح مدرسته

وله رأيان متناقضان : (الاول) أخذه عن المدرسة الإيليائية من ان الخير هو الواحد الثابت الذي لا يتغير اعني الموجود المطلق . (الثاني) ان الواحد المذكور متعدد الصور فهو حكمة وعقل ومعرفة وفضيلة

وظن اقليدس انه وفق بذلك بين مذهبي برمنيدس وسقراط اما تلاميذه الذين أخلفوه على مدرسته زهاء الجيل وهم اختياس وباسيكل وتراسياك وغيرهم فقد حافظوا على هذين الرأيين الغامضين ودافعوا عنهما بكل الطرق الجدلية ولذلك اطلق عليهم لقب « الجدليين »

ولكي يبينوا عدم امكان اثبات فكرتين ببرهان واحد .

قالوا : الكذاب الذي يتهم نفسه بالكذب هل هو كاذب . فان كان كذلك فهو ليس بكاذب ، وان لم يكن كذلك فهو كاذب

ولكي يثبتوا انه لا ينبغي التسليم بصحة الاشياء المحسوسة ضربوا مثلين : «سفسطة كومة القمح . وسفسطة أصلع الرأس»

كم حبة حنطة تؤلف كومة القمح . وكم شعرة منزوعة من الرأس تجعله أصلع ؟

بالطبع لا الحبة الواحدة . ولا الشعرة الواحدة تكفيان فاذن حبة واحدة . أو شعرة واحدة لو عدت تلو أخرى فأخرى حتى الالف لا ينشأ عنها كومة القمح أو تسبب صلعاً

وهذا مما يثبت ان الاشياء تبقى في تحول أبدي وهي ليست ثابتة

٣٦ — المدرسة القورينائية

اللذة (Hedonisme) مذهب ارسطيبس المولود في قورينا (cyrene المستعمرة اليونانية في افريقيا) سنة ٤٠٠ ق م . وكان سفسطائياً أخذ عن بروتغوراس : ان المعارف تابعة للانسان حسبما يستحضرها هو اما حقيقة واما كاذبة

قال ان اللذة الحسية غاية الحياة، والعاقل من يسعى قبل كل

شيء لاقتناص اللذة الوقتية لانها تزول قريباً أما اللذة المستقبلة فغير محقق حصولها (ولك الساعة التي أنت فيها) وينبغي على الانسان ان يسود نفسه بكيفية تجعله ان يقول اني سيد ولست عبداً

وبعد ان مكث في بلاد اليونان وفي صقيليا زمناً عاد الى قورينا وانشأ مدرسته ولما مات أخلفته عليها ابنته أريتا Arété لانها كانت ذكية ثم أعقبها ابنها ارسطيبس الشاب فتيودور الجاحد • فاقهمير الذي قال ان الآلهة أبطال بشرية تألهت • ثم هيجزياس الذي وجد ان آلام الحياة اكثر من لذاتها فحبذ الانتحار • وحقق قوله بالفعل فمات منتحراً • ثم خلفه أنيسيرس Annicéris الذي مهد طريق الفلسفة الابيقورية

٢٧ – المدرسة الكلبية (cynique)

انتستينوس (Antisthenes) ولد في أثينا سنة ٤٢٢ ق م وتعلم المنطق في مدرسة جورجياس ولكنه سمع تعاليم سقراط فاستميل اليه خصوصاً لما رأى من هذا الفيلسوف احتقاره للثروة وصبره على احتمال آلام الحياة وامتلاكه لنفسه فصمم حينذاك على الاقتداء بهذه الفضائل . غير انه شوهها بالافراط . وكان

فلاطون يتهكم عليه قائلا « ارى كبرياء انتستينوس من خلال خروق ردائه »

وأسس مدرسته في أحد الملاعب الرياضية بأثينا في موضع يقال له « سينوزارج «cynosarge» بالقرب من هيكل هيرقل حيث وقف كلب أبيض اختطف من الهيكل ضحية مقدمة لهذا الاله

ولهذه الذكرى ونظراً لطرق معيشة تلاميذ ذاك الفيلسوف وخلعهم العذار ومخالفتهم المألوف لقبوا بالكلبيين

ومن تعاليمه ان اللذة ألم، والفضيلة أعظم خير وغاية للانسان ولذلك ينبغي التحرز من اللذات الحسية والعقلية . وما الغنى والشرف والعلم والزينة والصحة والفقر والهوان الا أشياء عرضية لا قيمة لها فالعاقل من اكتفى بما هو ضروري ولا يؤبه بالألم أو بالموت ويقلل من الرغبات والحاجات ويقصد الفضيلة لذاتها .

واشتهر فلاسفة هذه المدرسة ديوجينس وكراتيس Dioßene & Crates . أما الاول فولد في سينوب سنة ٤١٣ ق م . نفي من وطنه فجاء الى أثينا ومكث فيها طويلا ثم مات في قورنثيه بالغاً من العمر تسعين عاماً

كان هذا الفيلسوف يعيش في أبسط الحالات يحمل على ظهره

برميلاً ينام فيه . وملعقة كان يشرب بها ثم رماها واستعاض عنها بيديه .

وكان يطوف بالنهار وبيده مصباح يفتش به عن الرجل ودخل يوماً برجليه الملطختين بالوحول مدرسة افلاطون المفروشة بفاخر الاثاث وقال اني ادوس كبرياء افلاطون . فأجابه هذا اجل ولكنك تطأها بكبرياء اعظم .

اما كراتيس فكان من مدينة ثيبه . ذاع صيته في الجيل الخامس ق م واخلف ديوجنس على مدرسة ارسطيبس وباع كل ما يملك وفرق ثمنه على أهل وطنه واكتفى بالقليل

المدة الثالثة

بعد ارسطوطاليس

بعد ان جاد الزمان بسقراط وافلاطون وارسطو . اخذت الطبيعة هدنة ردحاً من الوقت لان خلفاء هؤلاء العظماء لم تكن فيهم روح الابتكار فظلوا متبعين مذاهب معلميهم حتى انهم أيضاً لم يحافظوا عليها كما تسلموها بل ادخلوا عليها ارآ غريبة

سبوسيب اخلف افلاطون على الاكاديمية فأدخل عليها نظرية العدد بدلاً من نظرية المُثُل وارتأى أيضاً ان الخير ليس مبدأً للاشياء بل نتيجة لها . وبعد وفاة سبوسيب تولى بعده كزينوقراطس ادارة المدرسة ثم اعقبه بوليمون فكراتيس فكرانتور الذي قام بطبع مؤلفات افلاطون

اما ارسطو فخلفه على مدرسته تيوفراست وجاء بعده اوديم واستراتون . وكما حدث في مذهب افلاطون حدث أيضاً في المذهب المشائي فلم يحافظ تلامذته على تعاليمه وحوروا في مذهبه فيما وراء الطبيعة وجعلوه واحديا بعد ان كان أثنينيا . وانصرفوا الى العالم الطبيعي فأدى بهم الامر الى المذهب المادي

وكانت نظرية السعادة أو الخير المطلق شغل الفلاسفة الشاغل فاصبح علم الاخلاق أهم ابحاثهم فتباروا في الاجابة على هذا العلم

واشتهر في هذه المدة ثلاث مدارس جديرة بالذكر وهي المدرسة الارتيابية (Ecole Sceptique) والمدرسة الابيقورية Ecole Epicurienne والمدرسة الرواقية (Ecole Stoicienne)

٣٨ – المدرسة الارتيابية

مهدت المدرسة الجدلية سبيلا الى المذهب الارتيابي فكان بروتغوراس ممهداً لبيرون. وقام المذهب الارتيابي يناضل ضد اليقيني المشائي

بيرون (Pyrrhon) ولد في نحو سنة ٣٧٠ ق م في أليس Elis احدى مدن بليبونيز وكان اسكندر الاكبر يشرفه بصداقته فاستصحبه معه في غزواته للهند وبعد عودته الى وطنه فتح مدرسة فلسفية وعمَّر ما يقارب التسعين عاما ومات سنة ٢٧٠ ق م

لم ينتشر مذهبه الا بفضل تلميذه «تيمون» وكان طبيبا قدم أثينا ومات فيها معمرا مما يدل على قيمة مذهبهما العملي فكانا يقولان ان الخلو من الالم مصدر السعادة ولكن لا يمكن الوصول الى ذلك بواسطة نظريات لا طبيعية اذ لا تصلح هذه الا لاضطراب البال والقلق والتحير ولا يمكن ادراك طبيعة الاشياء. فالعاقل الذي يسعى الى هدو البال وراحة الضمير ليكون سعيداً ينبغي عليه ان يوقف حكمه ما امكن ويبقى بين بين فلا

هو بتابع رأي «اليقينيين» الذين يعتقدون امكان الوصول الى حقيقة الاشياء، ولا هو بميال الى عقيدة السفسطائيين الذين يدعون استحالة معرفة تلك الحقيقة: فلا تأكيد قطعي ولا نفي قطعي وهذا هو سر الحصول على الراحة أو السعادة

الاكاديمية الجديدة: لقد تطرق مذهب الشك الى الاكاديمية القديمة بعد زعمائها الثلاثة افلاطون وسبوسيب وكزينوقراط ولذلك دعيت بالاكاديمية الجديدة. وبعض المؤرخون ينعتونها بالاكاديمية الوسطى على عهد ارسيزيلاس والاكاديمية الثالثة على عهد كرنياد وكليتوماك

أرسيزيلاس (٣١٥ — ٢٤٠ ق م) Arcesilas

ولد في بتانيا بيوليا احدى ولايات اسيا الصغرى. تولى ادارة الاكاديمية الافلاطونية بعد كرانتور. وهو أول من سار بالمدرسة في طريق الارتياب معارضا تصديق الرواقيين سواء كان في المنطق أو في العلم الطبيعي وكان على الخصوص ينازع في وجود أي معرفة تتضمن في ذاتها برهان حقيقتها فلم يسلم بما يزعمه الرواقيون من امكان الوصول الى الحقيقة لا بقوة الانفعال (التأثير) ولا بقوة المصادقة فينبغي اذن التوقف عن الحكم

وقيل ان هذا الشك كان يساعده على الدفاع عن تعليم

افلاطون وعلى الخصوص عن الاخلاق الافلاطونية لاننا بحسب رأيه لسنا محتاجين لعلم ثابت للعمل طبقاً للعقل بل الاحتمال يكفي

اما كرنياد القورينائي (٢١٥ — ١٣٠ ق م) (Carneade) كان اكثر جدلاً وأشد احتداماً من ارسيزيلاس ناضل كريسيب في علمي الاخلاق وما بعد الطبيعة

انتدبه الاثينيون الى روما ليسوي مسألة الضرائب ويقول شيشرون في كتابه « الخطيب » ان كرنياد خطب في العدالة خطبة بليغة حتى أعجب به الرومانيون وخشي كاتون بأسه ونفاه من روما . أما رأيه فينحصر في عدم معرفة الاشياء وينبغي الاكتفاء بما هو محتمل التصديق سواء كان في الامور العلمية أو العملية

كلتوماك القرطجني (Clitomaque) ذكر في عدة مؤلفات له وعلى الخصوص في كتاب (توقيف الحكم) مذاهب كرنياد

وادى الحال بالاكاديمية الجديدة الى ان اصطبغت بالمذهب الانتخابي على عهد فيلون اللاريسي وانطيوخس واندرونيكوس وشيشرون وغيرهم حيث امتزجت ببعضها المذاهب الافلاطونية والمشائية والرواقية والاحتمالية (وسنفرد لذلك فصلاً خاصاً)

وفي بدء الجيل المسيحي استرد المذهب الشكي نفوذه. واغلب زعماؤه أصبحوا اطباء فبدلا من المجادلة من الوجهة النظرية كما

فعل ارسيزيلاس وكرنياد كانوا يقيمون الحجة على تناقض الطرق المنطقية بواسطة الشواهد الاختبارية الحسية . وأشهر أولئك الشكاك في هذا الجيل ثلاثة :

١ — أنا سيديم Æné si dème ولد في غنوس بجزيرة اقريطش في أوائل الجيل المسيحي الاول وافتتح مدرسة في الاسكندرية ، ومؤلفاته لم تتصل الينا غير ان فوتيوس بطريرك القسطنطينية حفظ لنا بعض شذرات من مؤلفه الشهير على مذهب بيرون وذكرها سكستوس امبريكوس

فبعد ان شرح العشرة اسباب التي ارتكن عليها مؤسس المذهب لانكار عدم معرفة الحقيقة وهي : الاختلافات في تراكيب الكائنات الحساسة . واختلاف التركيب في الناس وتباين الشعور في الشخص الواحد . واختلاف التأثيرات بحسب الظروف والاحوال الذاتية ـ وتغيرات الموضوعات عند اختلاف وضعها ـ وتباين العلاقات والارتباطات التى تكون بين العناصر — واختلاف صفات العناصر بحسب مقاديرها . وجهلنا لجواهر الاشياء وعدم معرفتنا منها الا ظواهرها . واختلاف الشرائع الوضعية وتأثير العوائد القومية

ويعد اناسيديم ممهداً للفيلسوف « كانت » ومفسحاً الطريق للفيلسوف الاسكتلندي « هيوم »

اما أغريبا A rippa فكان عائشاً في القرن الثاني للميلاد انقص العشرة أسباب المذكورة الى خمسة وعاش في القرن الثالث الميلادي الطبيب سكستوس امبريكوس S xtus Empiricus في مدينة الاسكندرية وهو آخر الارتيابيين اليونان . لم يتصل لنا من مؤلفاته سوى اثنين

ومن رأيه ان العلوم جميعها، بما فيها الحساب والهندسة غير مؤكدة .

والغرض من هذا المذهب سعادة الجنس البشري، والسبيل للوصول الى تلك السعادة التوقف قطعياً عن كل حكم وعلى ذلك يكون العقل الذي لا يميل الى جهة النفي ولا الى جهة التأكيد في غبطة وهذا منتهى السعادة

٢٩ – المدرسة الابيقورية

أخذت المدرسة الابيقورية بمذهب الذرات في ما بعد الطبيعة وبنظرية « الخلو من الألم » للحصول على الخير الاتم في علم الاخلاق اعني ان ابيقور اتبع رأيي ديمقريس وارسطبس القورينائي وعدل فيهما .

حياة ابيقور (٣٤٢ — ٢٧١) ولد ابيقور (Epicure) في جرجنسوس احدى ضواحي أثينا ثم رحل مع والديه الى ساموس

اليونانية . وكان أبوه معلماً وأمه مبصرة ومنجمة فكان يساعدها في خزعبلاتها السحرية

ويقال انه تعلق بالفلسفة عند ما سمع للمرة الاولى أحد النحاة يشرح لتلامذته هذا الشعر اليوناني القديم «في البدء ولد الهباء» فأخذ يفكر في العالم . وقرأ مؤلفات ديمقريطس . ولما بلغ السادسة والثلاثين من عمره جاء الى أثينا وافتتح مدرسته وأخذ يعلم مذهبه

وكان له تأثير كبير ونفوذ عظيم على تلاميذه وألف نحو الثلثمائة كتاباً لم يبق منها سوى شذرات حفظها لنا ديو جين اللايرسي وشيشرون ولوكريس

أما فلسفته فتنقسم الى ثلاثة أقسام : منطقية وطبيعية واخلاقية

مذهبه المنطقي ، الاحساس مصدر المعرفة وما هو الا تأثير عضوي . ويحفظ الاحساس ويستمر في الذاكرة «فالصورة العامة ما هي الا تذكر جملة احساسات متشابهة » وهذا التذكر اذا ثبت في القوة المفكرة باللغة هو (المساعد للانسان على معرفة الاحساسات المستقبلة قياسا على الاحساسات السابقة فينشأ عن ذلك تعميم التجربة الحسية التي تساعد على استدراك المستقبل وهذا ما يدعوه « ابيقور السوابق ». ولما كان التذكر والتصور يستمدان قيمتهما من الاحساس فمنطق ابيقور حسي مجرد . وقد وضع له قواعد عملية منها ان الحواس لا تخطيء أما الرأي فعرضة

للخطأ . ويكون الرأي صحيحاً اذا أيدته الحواس . وخطأ اذا نقته . وهلم جراً . كل مسابقة تصدر عن الحواس وسابقة الشيء الواضح ينبغي ان تستعمل في تبيين مالم يكن واضحا الخ

مذهبه الطبيعي : المادة مصدر كل الاشياء والنفس ذاتها مادية والعالم وكل ما احتوى عليه نشأ عن تركيب الذرات المتعددة الغير مخلوقة والتي لا تفنى فهي تتحرك على الدوام بنفسها في الفضاء .

ولم يكتف ابيقور بنظرية ديمقريطس في تفسير تقابل الذرات وتحركها عاموديا بل قال ان لها قدرة على الانحراف عن العامود وبهذه الكيفيه يمكنها ان تؤلف مجموعات مختلفة

والنفوس مركبة من ذرات أكثر لياقة وتحركاً من الجزيئات التي تؤلف الاجسام ويقول أيضاً بان الاتفاق أو الصدفة تعمل في تركيب الاجسام وتأليفها . أي انه يقول بوجود معلول بدون علة

كما ان جميع الشعوب متفقة على الاعتراف بوجود آلهة تعيش في سعادة تامة في حيز الفضاء أي بين العوالم . والانسان لا يجب عليه ان يخشاها أو يحترمها اذ لا علاقة لها بالعالم ولا ارتباط بينها وبين الناس . كذلك لا يخشى الناس عقاباً ولا يأملون ثواباً في عالم آخر لان النفس مادية تفنى بانحلال الجسم وماالخلود الا وهم باطل

وعلى ذلك يكون الموت لا معنى له فلا هو شر لمن يعيش ولا لمن انتهت حياته . وبذلك تتم السعادة البشرية اذا انتفى كل خوف من حياة أخرى .

مذهبه الخلقي : أراد ابيقور ان يبين أين يوجد الخير الاعظم وما هو السبيل للوصول اليه . وبما ان الاحساس مصدر المعرفة فيجب الاستفهام منه . فما هو جوابه ،

يجيبنا ان الخير في اللذة « فنشعر بها ولا يمكننا التعبير عنها كشعورنا بأن النار حارة والثلج أبيض والعسل حلو » بيد انه يجب التمييز بين نوعين من اللذة (أحدهما) حاد ومتقلب يذهب سريعاً وتكثر عنه الالام وهذا النوع هو لذة جسمية فاذا جعلها الانسان غرضه من الحياة حكم على نفسه بعذاب تنتال (تنتال ملك ليديا أولم للآلهة وليمة واطعمها جسد ابنه فحكم عليه الاله جوبتير بالعذاب الجهنمي : يعطش ولا يجد ماء ويجوع ولا يجد قوتاً فظل الى الأبد ظمآن جائعا !)

(أما النوع الثاني) فهو اللذة الابدية فهي ساكنة ومستديمة ومجردة من كل قلق وهذه هي اللذة العقلية التي لا اضطراب فيها ولا ألم ولا نصب فيبلغ الانسان منتهى السعادة وغاية الحياة أو الخير الاعظم

ولا يصل الانسان الى هذه اللذة الا اذا ميز بين الرغائب التي

يمكن نوالها ، وعددها قليل وضرورية للوجود .

« فبكسرة خبز وقدح ماء يسد جوعه ويروي ظمأه »

والرغائب الطبيعية التي ليست ضرورية يجب التقليل منها بقدر الامكان لانها مجلبة لانشغال البال واضطراب الفكر . كالزواج مثلا والاهتمام بشؤون العائلة

أما الرغائب الكمالية التي ليست بضرورية ولا بطبيعية فيجب نبذها واستئصالها كحبة الغنى والشرف والرياسة فهذه الرغبات لا نهاية لها

والفضيلة أجمل ما يتبع ولكن كواسطة وليست كغاية . فكما ان الانسان يدرس الطب لا حبا في ذات العلم بل ليشفي به الامراض لنوال الصحة . كذلك الفضيلة يمارسها العاقل لا لذاتها بل نظراً للذة التي تنشأ عنها .

والحكمة تجعلنا نميز بين اللذات الصحيحة واللذات الكاذبة والاعتدال يمنعنا من الاسترسال في الشهوات المضطربة . كما ان الشجاعة تقصى عنا الخوف من الموت ومن عذاب الجحيم . أما العدالة فتحفظنا من اعتداء الغير ، والصداقة تعزينا على احتمال التجارب والصبر عليها .

وكتب ابيقور قبل وفاته سنة ٢٧١ الى ايدومنيه أحد تلامذته يقول له « اكتب لك هذه الرسالة في آخر يوم من حياتي وهو أسعد الايام اذ يضع حداً لآلامي فقد بلغت أقصى حدها (وكان

مصابا بالحصوة) غير ان السرور الذي أشعر به عند تذكري محادثاتنا الفلسفية تخفف عني شدة تلك الآلام . اعتن باولاد مترودور الذى أظهر علي غيرة حقيقية واخلاصا شديداً وتعلقا بمذهبي »

أما مترودور هذا فكان تلميذه المفضل ومات قبله واخلف ابيقور هرمركوس على مدرسته التي كانت أشبه بجمعية اصدقاء منها بمدرسة وتعاقب عليها بولسترات فدنيس فباسليدس . فيروترك . فدمتريوس فأبولودور وكان بهذا ختام الجيل الثاني الميلادي . »

وفي هذه الاثناء انتشر المذهب الابيقوري في روما بفضل فيدر استاذ شيشرون الخطيب . وسيرون استاذ فرجيل الشاعر . ولوكريسيوس كاروس الذي كان يؤله ابيقور

غير ان المذهب تدهور وتسفل لان الذين اعتنقوه بعد ان تحرروا من كل اعتقاد ديني لم ترضهم اللذة السلبية فانغمسوا في الملذات والشهوات الايجابية الحادة فوصموا مؤسس مذهبهم بوصمة خزي لا يستحقها

٣٠ المدرسة الرواقية

كان المذهب الرواقي والمذهب الابيقوري على طرفي نقيض. فبينما يضع ابيقور اللذة في الخمول النفسي والجسدي كان زينون مؤسس المذهب الرواقي يقول بوجودها في الاجهاد والنشاط والاشياء تكونت — على رأي ابيقور — بطريق الصدفة. أما الرواقي فذهب الى ان العقل الالهي هو المنظم لجميع الموجودات ومسيرها،

الاول يقول ان الآلهة موجودة بين عالمين. والثاني يتمسك بالحلول المادي

بيد ان غرض المذهبين واحد وهو سعادة الانسان في الحياة الدنيا

مشاهير الرواقيين :

زينون (٣٤٠ — ٢٦٣)

Zenon

مؤسس هذا المذهب ولد في سيتيوم (cittium) بجزيرة قبرص من عائلة فينيقية اشتهرت بالتجارة وكان هو نفسه تاجراً فذهبت ثروته على أثر غرق متاجره بالقرب من بيره. فانصرف

ميله الى الفلسفة وكان عمره وقتئذ ٢١ سنة فتلقى العلم على كراتيس الكلبي ولكنه لما رأى معايب شيعته نبذها واتبع تعاليم ستلبون وديودور المغاريين ثم كزينوقراطس وبوليمون الاكاديميين

وفي نحو العام الثلاثمئة ق م فتح مدرسته في رواق بوسيل (Portique du Pacile) الذي كانت تحفظ فيه التحف الفنية باثينا ولذلك اطلق على هذا الفيلسوف وعلى تابعيه «الرواقيون» (stoicien) واستمر في القاء دروسه زهاء الثلاثين عاما ولما قارب الشيخوخة انتحر سنة ٢٦٣ ق م. محبذاً الانتحار وموصيا به للتخلص من العناء

٢ — كلانتس (٣٣١ — ٢٣٢ ق م)

Cleanthe

اصله من من اسوس بتراوده (assos) كان في بدء أمره مصارعا فترك موطنه أثر ثورة وجاء الى أثينا خالي الوفاض فاشتغل حمالاً فسقاء في الحدائق ثم أجيراً يدوّر الطواحين أثناء النهار. وينكب على الدرس والمذاكرة ليلاً بهمة لايعتريها الكلال

أخذ الفلسفة أولاً على كراتيس الكلبي ثم على زينون الرواقي. وخلف هذا على ادارة مدرسته ومع ذلك لم يكن يغير طرق معيشته.

واتبع وصية استاذه فانتحر لما شعر بالهرم

٣ً كريسيب « ٢٨٠ — ٢١٠ ق م »

Chrysippe

ولد بطرسوس بكليكيا وهو يعتبر المؤسس الثاني للمدرسة الرواقية لانه عدّل وهذب بعض اراء الفلاسفة اسلافه وعلى الخصوص لانه صد غارات محدثي الافلاطونيين المذهبية .

٤ً ديوجين البابلوني

ارسل سفيراً الى روما مع كرنياد وكريتولاوس نحو سنة ١٥٥ ق م وكان تعليمه الرواقي معتدلا

٥ً بناتيوس « ١٨٥ — ١١٠ ق م »

Panatius

أصله من جزيرة رودس جاء الى روما وافتتح فيها مدرسة وعلم المذهب الرواقي غير انه ادخل اليه بعض الآراء الافلاطونية والارسطوطاليسية فهو بذلك يعد ضمن المدرسة الانتخابية (eclectique)

ومن مؤلفاته الكثيرة : كتاب الواجب الذي ترجم شيشرون الروماني معظمه في كتابه (DeOfficius) وكتاب العناية الالهية وآخر في راحة النفس

کتابخانه مجلس شورای ملی

بوسيدونيوس « ١٣٥ — ٥٠ ق م » Possidonius

هو انبغ تلامذة بناتيوس . ولد في اپاميه (Apamee) بسوريا وعمر نحو ٨٥ عاماً . أعجب كأستاذه بفلسفة افلاطون فاستمد منها اكثر الآراء في علم النفس وظل محافظا على نظرية الرواقيين الخاصة بالمعرفة اليقينية واعتقد أيضابالنبوات وحقيقة التنبؤ من بعض الاستدلالات

وفي أواخر أيامه أصيب بمرض النقرس . ورغب بومبيوس الشهير في سماع فصاحته وبلاغته اللتين ضرب بهما المثل في روما فجاء الى رودس ليسمعه

فلم يقعد المرض بوسيدونيوس عن الخطابة امام بومبيوس فطفق يلقي من فمه درراً غوالي وكلما اشتد عليه الالم كان يصيح قائلاً « أيها الالم لا سلطان لك على نفسي ومهما بلغت شدتك فلن أعترف أبداً انك ألم »

الفلسفة الرواقية

بنى الرواقيون مذهبهم الطبيعي عن الايونيين وعلى الخصوص عن هرقليطس . ونظريتهم الخلقية عن انتستينوس وحكمتهم فيها « ان يعيش الانسان طبقا للطبيعة » والخير المطلق يكون في الفضيلة ولا تنال الفضيلة الا بالنصب والاجهاد . اما

رأيهم اللامادي فاخذوه عن ارسطو فنقلوا آراءه في المادة والصورة والحركة والغاية العامة .

ويمكن لنا القول ان اله الرواقيين هو « الطبيعة الارسطوطاليسية » بيد ان طبيعتهم تقوم بذاتها بدون دخل للفعل المجرد .

وبالرغم من اجهاد الرواقيين اليونان في التوفيق بين تلك الاركان المتناثرة وصياغتها في قالب مذهبي موحد فانهم لم يخلوا من الوقوع في التناقض ونشأ عن ذلك اختلاف بين علم الاخلاق وعلم ما بعد الطبيعة ولم يتمكن الرواقيون المتأخرون من تذليل تلك الصعوبة الاختلافية الا بجعل العلم الثاني تابعاً للاول .

المذهب الطبيعي : قسم زينون فلسفته الى ثلاثة أقسام : طبيعية ومنطقية واخلاقية : فهو اذن ادخل ما بعد الطبيعة في العلم الطبيعي .

يقول : ان الوجود مادي .

والشيء الواقع يتألف من عنصرين غير مفترقين أحدهما منفعل وهو المادة . والآخر فاعل وهو القوة التي تحل في المادة وتتغلغل في جميع أجزائها فتشكلها وتحركها فلا مادة بغير قوة ولا قوة بدون مادة

فمثال افلاطون ، والفعل المجرد الذي قال به ارسطو هما

ذاتان مجردتان

اما موجب الاشياء وموحدها فهو موجود فيها وليس خارجاً عنها .

فالقوة التي تحيي بها المادة هي الله حالاً في العالم كحلول النفس في الجسد . والله ليس فقط القوة المحركة بل هو أيضاً الاحساس والعقل والارادة فجعل للكون وجوداً حياحقيقيا جميع اجزائه متآلفة ومتجانسة . وبتأثير فعله تتحرك جميع الموجودات بنظام مستمر طبقا لقوانين ثابتة ولغايات عقلية

وما الانشقاق والصدفة الا ظواهر كاذبة

فكل شيء مقدر لابد من حصوله . وارتباط الوسائط بالغايات كارتباط الاسباب بالنتائج فالقدرة والقدر هما مظهران لاله واحد .

ويذهب الرواقيون الى ان القوة هي مثال نار هرقليطس أي نسمة مفكرة ملتهبة . والى ان المادة هي القوة المنكمشة الهامدة أي النار المنطفئة أو التي على وشك الانطفاء . فالله اذن الجوهر الوحيد الشامل . وهذه النار الالهية بانقباضها وتمددها تبدع الاشياء كلها وتهلكها على التعاقب . فيعود الكون الى الله ثم يصدر عنه من جديد وهكذا الى الابد

المذهب النفسي : جميع الموجودات الخاصة مركبة كالجوهر

من عنصر منفعل عديم الحركة ومن أصل فعال حي. فهذا الاصل يجمع الجزيئات الجمادية بعضها ويجعلها متماسكة، وهو في النبات المادة النطقية التي تنمي البذار وتخرجه عضويا حيا مطابقا لنوعه، وهو في الحيوان النفس الحساسة الراغبة. وفي الانسان يصير ذلك الاصل عقلا عالماً بذاته ومتضمنا أيضا تلك الخواص الموجودة في الجماد والنبات والحيوان ويدعى حينئذ الآنية ويكون العقل عارفا وفاعلاً.

ومادة المعرفة الاحساس حيث تتأثر النفس بالاشياء الخارجية فتنتقش فيها صورها واشكالها. فيتمثلها العقل ويستحضرها في المخيلة. غير ان بعض تلك الصور تنطبع معها حقيقة ذواتها وتدعى الاشكال المفهومة. وتقاس حقيقتها بقوتها او بمفعولها. والعقل يستخلص من جملة أشكال مفهومة رأيا عاما يستبصر به المستقبل ثم تنشأ المعرفة من ترتيب الآراء العامة.

وقد شبه زينون الاحساس الاولي بيد مفتوحة والانفعال بيد نصف مفتوحة، وتفهم الاشياء بيد مقفولة ومضغوط عليها باليد الاخرى، والعقل ذاته هو الذي يتدرج في الحالات الاربعة المذكورة

كذلك يزعم الرواقيون ان الغريزة والارادة والشهوة حالات ثلاثه لمبدأ واحد. وهذا المبدأ هو العقل الفعال وليس العارف.

ففي الغريزة تتنبه القوة المسيرة وتظهر انها تبحث عن ذاتها وفي الارادة تمالك ذاتها وتحكم نفسها. وفي الشهوة تنطلق من عقالها وتضعف

فبينما يقول ارسطو بثلاثة قوى: احساسية وفكرية وارادية. يذهب الرواقيون الى القول بأصل واحد في الانسان وهو العقل مصدر الفعل والادراك والحياة، ومع ان مظاهره متعددة ومختلفة فهو يجتهد دائما في ارجاع تلك الظواهر الى طبيعة واحدة.

المذهب الخلقي: تنحصر اخلاقيات الرواقيين في ان الفضيلة دون غيرها هي الخير الاعظم

وينبني على هذه النظرية النتائج الآتية:

لا تتعلق الفضيلة بغاية اسمى منها ومخالفة لها. فبينما تقول سائر المذاهب ان الفضيلة تتعلق بغرض ما. سواء كان هذا الغرض هو الله على رأي افلاطون أو السعادة على زعم ارسطو أو اللذة كما ارتأى ابيقور. نرى الرواقيين يزعمون ان الفضيلة تتضمن غرضها في ذاتها.

فالرجل الفاضل كالطبيعة العامة يجدان خيرهما في ذات عملهما وليس في غاية خارجة عن الفعل. وعلى ذلك تكون القيمة الاخلاقية للاعمال تبعا لصورتها وليس لماهيتها. وتبعا للنية وليس للنتيجة

فالفضيلة تكون في ارادة الخير وليس في عمل الخير (قال ابكتيتوس خيرنا وشرنا بارادتنا)

واذا كانت الفضيلة دون غيرها هي الخير المطلق فكل ماعداها كالحيوة والصحة والغنى والسمعة والموت والمرض والفقر والعار على حد سوى لا فرق بين الرديء والحسن اذا قصدناها لذاتها « الخير كل الخير في الفضيلة والشر كل الشر في الرزيلة »

تكون الفضيلة في استقامة الارادة وسداد الرأي أي في اتفاقها مع ذاتها . ولذلك تكون واحدة لا تتجزأ وكما ان الخط اما ان يكون مستقيما أو لا ، كذلك الارادة اما ان تكون سديدة أو لا . ولا وسط بين الفضيلة والرزيلة ومن لم يكن حكيما كان مجنونا فلا توجد درجات بينهما .

الاغلاط جميعها متساوية والفضيلة كمجموعة لا تتفرد ، بمعنى ان من كان حائزاً على واحدة منها حاز جميعها نظرا لاتحادها ببعضها ومن لم يحزها كلها ليس بحائز ولا على واحدة منها . فالانسان اما ان يكون فاضلا في كل شيء او لا يكون

والحكيم اذن حاصل على كل كمال وعلى تمام المعرفة فهو كامل الصلاح وتام السعادة فيتساوي مع الآلهة بل يفوقها ويسمو عليها لانه أتم كماله بذاته .

والفضيلة تجد ثوابها في نفسها ولا معنى للمجازاة في حياة أخرى ولا خلود للنفس .

والنفس على رأي الرواقيين جسم لطيف محاط بغلاف سميك ولذلك لا يترتب على انحلال الجسم انحلال النفس بالضرورة . وبما ان نفس الحكيم أكثر نشاطاً وامتداداً فهي تبقى بعد الانحلال البدني متمتعة بنوع من البقاء حتى اذا جاء دور الانحلال العام يسري عليها كما على غيرها قانون الاندماج في النار الالهية الابدية فهذه وحدها المتمتعة بالخلود المطلق

تعديل المذهب الرواقي ، وجد الرواقيون المتأخرون ان هذه النظريات لا يمكن العمل بها فأخذ كل في تعديلها بما عنّ له

فأولاً — وضعوا درجات للاشياء التي لا يؤبه بها : فالصحة والحياة والغنى والسمعة تطابق الغايات البشرية وتتقارب من الخير ومع انها ليست خيرات في حد ذاتها فهي مفضلة على الاشياء المخالفة للغايات الطبيعية كالموت والمرض والفقر والعار .

والاشياء المفضلة بعضها اكثر موافقة للجبلة الانسانية وهي التى دعاها شيشرون وظائف (officia) انسانية كالتغذية والتناسل وتحصيل العلوم وسياسة العائلة والاعتدال والشجاعة

والحكيم من رغب في الاشياء الموافقة ليس حباً بها بل نظراً للجمال والنظام اللذين يتلألأن بتأديتها

والنية تحول «الموافقات» الى خيرات حقيقية وبذلك تعدلت الافعال الخاصة ولم تبق قاصرة على الصورة والنية بل تعدتها

الى المادة .

(ثانياً) كذلك حصل تعديل في الرأي الغريب القائل بالمساواة بين الاغلاط . فلو كانت كذلك لكان العقاب واحداً للكل والواقع يثبت لنا العكس . فغلطة واحدة تتضمن جملة أغلاط خذ مثلا من يقتل اباه فانه يجمع بين القتل والعقوق .

(ثالثاً) تعدلت أيضاً نظرية « من لم يكن عاقلاً فهو مجنون » فجعلوا تفاوتاً بين العقلاء والاغبياء

واجمالاً تتلخص الفضيلة الرواقية في تكييف الحياة كمقتضى العقل « فيحتمل ويمتنع » أي لا يأبه بالالام ولا يتمرمر من المعاكسات الطبيعية ولا يسعى وراء الخيرات التي ليس في وسعه الحصول عليها .

وبذلك يكون حراً وسعيداً لا تتسلط الشهوات عليه

فالناس كلهم اخوة متساوون والرق ظلم ينافي العدالة . والانسانية كعائلة كبيرة يجب على أعضائها التعاون . كما ان العاقل ليس له وطن خاص بل الكون بما اشتمل عليه موطنه

٣١ - الفلسفة اليونانية الرومانية

وصلنا بالتاريخ الى القرن الاخير قبل الميلاد . وكانت الدولة الرومانية باسطة نفوذها على العالم المتمدين وظلت مسيطرة عليه

حتى غزوة البربر . وكانت المذاهب الفلسفية تجاهد في معترك الوجود فاثر بعضها على بعض ونشأ عن هذا النضال مذهب انتخابي اختار زعماؤه ما وافقهم من الاراء المختلفة ونظموه سمطاً واحداً وأشهر أولئك الانتخابيون شيشرون .

وكان أول عهد الرومانيين بالفلسفة . تعاليم ديوجين الرواقي وكريتولاوس المشائي وكرنياد الاكاديمي فالتفت الشبيبة حولهم وارتشفت من منهل فلسفتهم فخشي كاتون تأثير أولئك الفلاسفة فأعاد السفراء الثلاثة المذكورين الى اليونان بلدهم . غير ان المذهب الابيقوري ظل متمثلا في شخص لوكريسيوس ولم يمض زمن على هذا المذهب حتى أخذ في التفكك والانحطاط وصارت تعاليمه منحصرة في هذه الجملة «لنأكل ونشرب لاننا غداً سنفنى»

أما المذهب الرواقي فقد تغلغل في أخلاق الامة الرومانية وفي سياستها ودينها وكان تأثيره أيضاً عظيما في التشريع حتى تشبعت به اراء جايوس وبول والبيان وبابنياس وبينما يذكر أبكتيتوس في كتابه كيف يكون الناس أحراراً حتى في وسط العبودية . نرى مرقس اوريلوس يظهر بمظهر الامبراطور الفيلسوف يكرس افكاره وحياته لسعادة البشرية

Lucrece (٩٥ — ٥٢ ق م)

كان معاصراً لكاتون ولشيشرون . نظم المذهب الابيقووري شعراً بليغاً وديوانه مؤلف من ستة أجزاء وموضوعه خلاص الناس من الخوف من الآلهة ومن الموت . وشرح في الجزء الخامس كيفية انشاء العالم وتكوينه متمثلا بنظرية التطور

شيشرون (١٠٦ — ٤٣ ق م) Ciceron

هو مرقس توليوس شيشرون خطيب روما الشهير . اشتغل بالمحاماة في بدء أمره . ثم حكم وقتاً ما الجمهورية الرومانية بعد ان انقذها من ظلم كاتلينا واستبداده وقد كان له ضلع في جميع المسائل السياسية الكبرى والانشقاقات الحزبية ثم سقط قتيلا بيد جنود انطونيوس

كان يعتقد بوجود اله . وبأزلية الطبيعة وبالحرية وخلود النفس . ولكنه لم يكن في المسائل الفلسفية على رأي ما بل كان يذكر أدلة كل مذهب وردود بعضها على بعض غير انه كان رواقي الاخلاق بعد ان عدله باراء افلاطون وارسطو

ومؤلفاته كثيرة اشهرها كتاب القوانين وكتاب الجمهورية

De Legibus & de Republica حذا فيهما حذو افلاطون وكان يقول ان المبادىء الاخلاقية والتشريعية الاساسية هي ضرورية لبقاء المجتمع مثل الاعتراف بوجود آلهة . وقوانين طبيعية عامة وكرامة البشرية وخلود النفس .

سنيكا (٢ — ٦٦ م) Seneque

ولد في قرطبة باسبانية في السنة الثانية الميلادية وكان استاذا وصديقاً لنيرون ومات ضحيته أيضاً سنة ٦٥ ميلادية بان فصد عروقه في حمام فتصفى دمه .

تلقي العلم على سوتيون الرواقي الاسكندري الذي كان متشبعاً بفلسفة افلاطون وفيثاغورس ومعتقداً بخلود النفس وتناسخ الارواح .

كتب سنيكا مؤلفات كثيرة أشهرها رسائله الى لوسيلوس وتتضمن مباحث أخلاقية تهذيبية وآراء شاذة غريبة كالتساؤل مثلا عما اذا كانت الفضيلة جسماً أم لا : وكان يعتقد بالمادة وحلول الله فيها . والميعاد . وطهارة الاخلاق والمحبة البشرية

ابكتيتوس Epictete

ولد في هيروبوليس بفريجيا من أعمال مصر في الجيل الاول

المدة الرابعة

٣٢ - الافلاطونية الحديثة

ان مدرسة الاسكندرية هي آخر مدرسة للفلسفة اليونانية بدأت في الظهور في أواخر القرن الثاني الميلادي . بيد انها قبل هذا التاريخ بزمن تمهدت بالنظم الفلسفية القديمة

أخذت المدارس الرواقية والمليقية والاكاديمية في التزاحم حتى تكوّن منها مزيجاً غير مستقر الحال ودعي بالمذهب الانتخابي وظل المذهب الابيقوري وحده حافظا تقاليده وتعاليمه .

ومن جهة أخرى ظهر في الاسكندرية فيلسوفان يهوديان هما ارستوبول وفيلون وحاولا التوفيق بين تعاليم موسى وافلاطون ومن رأي فيلون ان الله وحده هو الموجود المجرد . والكلمة (لوجوس) الصادرة من الله هي الوسيط بينه وبين العالم . كان الروح (بنثما) المنبثق من الكلمة هو روح العالم

ونشأت الثورة الفكرية مازجة الدين بالفلسفة فظلت زهاء القرنين الاولين للميلاد

غير ان هذا التثليث لا يتشابه بالثالوث المسيحي الا في اللفظين الاخيرين فقط أي في الكلمة والروح

اما شقة الخلف بين الديانات الوثنية فقد كانت متسعة فيعارض اله اليهود والمسيحيين . اله كزينوفان وافلاطون وارسطو . وقد

حاولوا ان يدمجوا العقيدة الامية لتعدد الآلهة باله واحد في الحلول الفلسفي أي بالقول بوجود اله مجرد الذات يتنوع الى جملة آلهة ثانوية دعاها الغنوثسيون (الادريون) يون (eons)

كذلك المذهب الفيثاغوري نشط من عقاله وقام ابولونيوس يدعو اليه مستعيناً على ذلك بأعمال غير مألوفة

وحوّر المصريون الوثنيون بعض اعتقاداتهم على مثال تحوير اليهود فادخلوا اليها آراءاً افلاطونية

فهذه الثورة الفكرية ظهرت بشكل افلاطونية حديثة وانتقلت بذلك الحركة الفلسفية من أثينا والعالم الغربي الى الاسكندرية مهد الشرق حيث كانت العلوم فيها زاهرة بفضل مكتبتها الشهيرة التي أسسها البطالسه .

لما اعتنق المصريون الديانة المسيحية على يد القديس مرقس الانجيلي سنة ٥٥ ميلادية وأسس لهم المدرسة اللاهوتية دبت الغيرة في قلوب الوثنيين فأنشأ شيخهم آمونيوس السقاص المدرسة الفلسفية الوثنية التي فتحت لها خزائن مكتبة الاسكندرية فعلا شأن تلك المدرسة لاسيما في حكم القيصر يوليانوس الصابي (٣٦١ — ٣٦٣) ثم أخذت في الانحطاط حتى اندثرت في حكم القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩

وقد تولى الزعامة على تلك المدرسة آمونيوس المذكور . فافلوطين (بلوتينوس) ففرفوريوس (بورفيروس) فجامليك

المدة الرابعة

٣٢ - الافلاطونية الحديثة

ان مدرسة الاسكندرية هي آخر مدرسة للفلسفة اليونانية بدأت في الظهور في أواخر القرن الثاني الميلادي . بيد انها قبل هذا التاريخ بزمن مهدت بالنظم الفلسفية القديمة

أخذت المدارس الرواقية والليقية والاكاديمية في التراحم حتى تكوّن منها مزيجاً غيرمستقر الحال ودعي بالمذهب الانتخابي وظل المذهب الابيقوري وحده حافظا تقاليده وتعاليمه .

ومن جهة أخرى ظهر في الاسكندرية فيلسوفان يهوديان هما ارستوبول وفيلون وحاولا التوفيق بين تعاليم موسى وافلاطون ومن رأي فيلون ان الله وحده هو الموجود المجرد . والكلمة (لوجوس) الصادرة من الله هي الوسيط بينه وبين العالم . كما ان الروح (بنئما) المنبثق من الكلمة هو روح العالم

ونشأت الثورة الفكرية مازجة الدين بالفلسفة فظلت زهاء القرنين الاولين للميلاد

غير ان هذا التثليث لا يتشابه بالثالوث المسيحي الا في اللفظين الاخيرين فقط أي في الكلمة والروح

اما شقة الخلف بين الديانات الوثنية فقد كانت متسعة فيعارض اله اليهود والمسيحيين . اله كزينوفان وافلاطون وارسطو . وقد

حاولوا ان يدمجوا العقيدة الامية لتعدد الآلهة باله واحد في الحلول الفلسفي أي بالقول بوجود اله مجرد الذات يتنوع الى جملة آلهة ثانوية دعاها الغنوتسيون (الادريون) يون (eons)

كذلك المذهب الفيثاغوري نشط من عقاله وقام ابولوتيوس يدعو اليه مستعيناً على ذلك بأعمال غير مألوفة

وحوّر المصريون الوثنيون بعض اعتقاداتهم على مثال تحوير اليهود فادخلوا اليها آراءاً افلاطونية

فهذه الثورة الفكرية ظهرت بشكل افلاطونية حديثة وانتقلت بذلك الحركة الفلسفية من أثينا والعالم الغربي الى الاسكندرية مهد الشرق حيث كانت العلوم فيها زاهرة بفضل مكتبتها الشهيرة التي أسسها البطالسه

لما اعتنق المصريون الديانة المسيحية على يد القديس مرقس الانجيلي سنة ٥٥ ميلادية وأسس لهم المدرسة اللاهوتية دبت الغيرة في قلوب الوثنيين فأنشأ شيخهم آمونيوس السقاص المدرسة الفلسفية الوثنية التي فتحت لها خزائن مكتبة الاسكندرية فعلا شأن تلك المدرسة لاسيما في حكم القيصر يوليانوس الصابي (٣٦١ — ٣٦٣) ثم أخذت في الانحطاط حتى اندثرت في حكم القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩

وقد تولى الزعامة على تلك المدرسة آمونيوس المذكور . فافلوطين (بلوتينوس) ففرفوريوس (بورفيريوس) فجامليك

قبروكلوس وهذه نبذة في ترجمة كل منهم :

آمنيوس السقاص Ammonios Saccas

تربى في أحضان المسيحية ثم جحدها . ومات سنة ٢٤١ م

وكلمة السقاص مشتقة من كلمة ساكي اليونانية وتعريبها (كيس) اشارة الى العتالة صناعته القديمة

درس الفلسفة الافلاطونية وتعمق فيها ومن رأيه ان النفس منتشرة في كل جزء من أجزاء البدن

ومن تلاميذه اريجانس الوثني (وهو خلاف المسيحي) ولونجين الانتقادي وهرينيوس . وأشهرهم افلوطين

افلوطين (بلوتينوس Plotin) (٢٠٥—٢٧٠ م)

ولد في ليكوبوليس بالوجه القبلي بمصر في بدء الجيل الثالث ومات في روما سنة ٢٧٠ ميلادية وسافر بصحبة الامبراطور غرديان في تجريدة حربية ضد بلاد فارس

كان عمره ستة وعشرين عاماً عندما بدأ يتلقى العلم على امونيوس واذ رأى تعاليمه صاح « هذا هو الرجل الذي ابحث عنه » ثم بعد أحد عشر عاماً سافر الى بلاد فارس والهند ليقف على المذاهب الشرقية ثم رحل في الاربعين من عمره الى روما حيث أسس مدرسة وعلم فيها زهاء الخمسة وعشرين سنة

أما مؤلفاته فطبعها تلميذه بورفيروس (فرفريوس) في ستة مجلدات كل مجلد يحتوي على تسعة كتب دعاها التاسوع (أنيده Enneades)

فرفريوس « بورفيرس Porphyre »

ولد في مدينة صور سنة ٢٣٣ م ومات بروما سنة ٣٠٥ ق م

اخلف استاذه افلوطين في ادارة المدرسة الافلاطونية الحديثة وقد جمع اكثر من معلمه بين مذهبي المشائين (الارسطوطاليسيين) والافلاطونيين (الاكاديميين) وقد سببت مطاعنه ضد المسيحيين اضطهادات دموية

أما أشهر مؤلفاته فهي «شجرة برفيريوس . ثم الاساغوجي أي مقدمة كتاب قاطيغوراس في المنطق لارسطو وقد ذكر في هذا الكتاب االكليات التي قام الجدال بشأنها في العصور الوسطى بين « الاسميين » « والواقعيين »

جمبليك « Jamblique »

ولد في كلسيس في النصف الثاني من الجيل الثالث الميلادي ومات سنة ٣٣٣ مسيحية كان اشهر فلاسفة محدثي الافلاطونية التي أصبحت مجموع نظريات لاهوتية خرافية وكان يدعو نفسه

كاهن الاسرار العظيم . ويفتخر بانه يصنع العجايب . ومن خلفائه يوليان الصابي (٣٣١ — ٣٦٣)

٨. بروكلوس Proclos (٤١٢ - ٤٨٥)

ولد في بيزانس سنة ٤١٢ ومات في أثينا سنة ٤٨٥ درس أولاً فلسفة ارسطو في الاسكندرية على اولمبيودور ثم رحل الى بلاد اليونان ليتلقى فلسفة بلوتارك الاثيني مؤسس المدرسة الافلاطونية الحديثة في تلك المدينة ثم أخذ عن سريانوس تعليمه وأخلفه على مدرسته

وكانت فلسفته وسطاً بين فلسفة افلوطين الرومانية وفلسفة جمبليك السورية . وكان يشار اليه بالبنان بعد افلوطين باعتبار انه أحد مشاهير فلاسفة مدرسة الاسكندرية الوثنية

وفي سنة ٥٢٩ صدر أمر الامبراطور يوستينيانوس بغلق المدارس الفلسفية الوثنية فالتجأ المذهب الافلوطوني الحديث الى بلاد فارس . وكان هذا الزمن آخر العهد بتاريخ الفلسفة في العصور القديمة

لما كان افلوطين هو المعتمد عليه في بيان العقيدة الافلوطونية الحديثة . رأينا من المناسب ان نلخص مذهبه في ما بعد الطبيعة وفي علم الاخلاق

المذهب اللاطبيعي : ان الرأي السائد هو القول بالحلول فكل شيء صدر من الله الواحد بطريق الانبثاق وكل شيء اليه يعود بطريق الرجوع

الواحد هو كل الاشياء وليس هو أحد تلك الاشياء . وليس الغرض من قول افلوطين « كل الاشياء » مجموعها بل كمال كل شيء . الواحد مبدأه ويمتزج بكمال الباقي

وتحديد الواحد حصر له فليس هو أحد الاشياء التي تصدر عنه ولا يمكن وصفه بوصف خاص فهو ليس الموجود ولا الجوهر ولا الحياة . انما هو اسمى من كل ذلك ولا يمكن تشكيله بشكل ما فهو فوق كل تعريف ليس هو بفكر ولا بارادة لان الفكر يستلزم شيئين : مفكِّر ومفكَّر فيه . والارادة تستدعي الحالة غير الحالة التي هي فيها . وذلك أمر اثنيني والله واحد ولا نعرف سوى انه واجب الوجود تام الكمال لا يحتاج لشيء خارجي . بل يفيض خيرا وينتشر فتتولد عنه جميع الكائنات التي تختلف كمالاتها بحسب قربها أو بعدها من ذاك الفيض الالهي

وأول نتاج لهذا التوليد هو العقل (نوس) اكمل شيء بعد الواحد وهذا الابن الجميل يستمد من الاب الذي انبثق منه كل كمال ولا ينقص عنه الا قليلا جداً ـ كذلك للعقل قوة الانتاج ولكن بقوة أضعف من قوة ابيه . وانبثقت الروح من العقل وهي أقل كمالاً منه

هذه هي الاقانيم الثلاثة الاسكندرية وهي متحدة ببعضها وفي الوقت نفسه متميزة عن بعضها. فالروح هي كلمة العقل والعقل كلمة الواحد والثلاثة يحبون بعضهم البعض

والنفس تحتوي على العالم الحسي بالقوة ومنها تصدر الموجودات ذوات الأجسام. فهذا هو الانتقال من اللانهائي الى النهائي. فالله والجسم على طرفي درجات الكمال: أي ان الله واحد. والجسم متعدد بيد ان الجسم عليه الطابع الالهي لانه متشكل باشكال الله المنعكسة عليه. والكائنات ذوات الاجسام متركبة من مادة ومن صورة. فالصورة تتضمن حقيقة الموجودات والمادة هي الشيء الذي تكونت منه الاجسام

العودة الى الله: تقابل حركة التسلسل، حركة أخرى رجعية ففي كل شيء صدر من «الواحد» هو ميل قد يكون مبهما أو مدركاً بذاته انه يعود الى ذاك الواحد. وهذا الرجوع الى المصدر الالهي يحصل عن معرفة اذ ان لكل موجود كمال. وبهتين الحركتين «الصدور والنكوص» أو الانبثاق والعودة يتجدد العالم الحسي على التوالي فبحركتي الطرد والعكس تصدر الاشياء من النقص الى الكمال فهي من الله والى الله تعود

أما الاقانيم الثلاثة الالهية فهوذا شأنها: النفس المنبثقة من

العقل تتجه دائما نحوه. والعقل الصادر من الله الواحد يتحول نظره اليه. وقد قال افلوطين في الانيده «التاسوع» الرابع ما يأتي: «تصور نقطة مركزية تحيطها دائرة مضيئة ويطوق هذه الدائرة دائرة أخرى مضيئة ولكن نورها مشتق من النور الاول. ثم يوجد خارجاً عن هتين الدائرتين دائرة أخرى تبعد عنهما ولكنها ليست مضيئة بذاتها بل تستنير بضوء آخر ليس منها.

ويستنتج من نظرية افلوطين ان الكمال أصل الوجود وكل موجود يميل الى الكمال فالعالم وجد للخير. أما الشر الذي نلاحظه في الكون فمصيره الى الزوال شيئاً فشيئاً طبقاً لسنة الترقي من الناقص الى التام

ولما كانت النفوس في مركز متوسط بين «العقل» وبين الاجسام فهي اما ان تحول نظرها نحو «المُثُل» فتعيش عيشة روحية.. أو تظل حائرة مترددة تتجاذبها الروح والمادة. أو ان تتحول شطر المادة فتحل في الاجسام. ولذلك تكون النفوس على ثلاثة انواع. النوع الاول يتألف من النفوس السمائية وهي التي تعيش «للعقل ولله» فتظل على الدوام متمتعة بالسعادة الابدية بمشاهدة المُثُل والله الواحد، والنوع الثاني يتألف من النفوس المكونة للملائكة والشياطين أي المنجذبة الى الخير ـ

والتي انجذبت الى الشر . أما النوع الثالث فهو يؤلف النفوس البشرية التي كانت في المبدأ سمائية ثم سقطت في الاجسام عقاباً لها على كبريائها . بيد ان هذا التجسد عقاب وقتي فاذا نهضت النفس من كبوتها واتجهت بافعالها شطر « الخير » أمكنها ان تحظى بالمشاهدة الالهية . فغاية الحياة اذن السعي للعودة الى هذا التمتع بواسطة تطهير النفس الساقطة ولذلك يجب ان تجرد ذاتها من الشهوات البدنية والاميال الحسية بممارسة الفضائل الاربعة : الاعتدال (العفة) والعدالة و الشجاعة والحكمة . « اغمض عيني جسمك وافتح عيني روحك تشاهد الجمال الازلي وتحظ بالخير المطلق وبواسطة الانخطاف الروحي تتحد النفس بالله الواحد

٣٣ — فلسفة آباء الكنيسة

لم يؤسس المسيح مدرسة فلسفية بل ديناً يفوق الطبيعة البشرية . جاء الى العالم بحقائق لم تكن معروفة وفوق متناول العقل الانساني فثبّت وطهّر الحقائق الكبرى اللامادية التي يستطيع الذهن ادراكها بنوره لو تأمل فيها .غير ان المفكرين القدماء كانوا مترددين فيها

تلك الحقائق هي أحدية الله وتساميه ، والخليقة ، ونهاية العالم والتمييز بين النفس والجسد ، والخلود وما يتبعه من الثواب والعقاب . فنشأ عن ذلك بداهة فلسفة جديدة هي فلسفة آباء ودكاترة الكنيسة المسيحية

بيد ان هذه الفلسفة الروحانية كانت سلاحاً أعد للنضال عن الحقائق الموحى بها فاستعان الآباء به بحسب الظروف والحاجة ليصفّوا العقيدة المسيحية من كل مزيج أو اختلاط بالهرطقات اليهودية والوثنية والبدع الدخيلة

ولهذا السبب لم ينتظر من أقوال ومؤلفات أولئك المسيحيين المفكرين عملاً واحداً منظماً كما كان الحال في العصر المدرسي بل كانت القضايا الفلسفية الصرفة تذكر عرضاً ضمن مؤلفاتهم الدينية

وفي مواضيع متناثرة

وقد استعانوا باقوال الفلاسفة الوثنيين وعلى الخصوص بمؤلفات ارسطو وافلاطون . والافلاطونيين المحدثين .

والآباء طائفتان بعضهم كتب باللغة اليونانية والآخرون باللاتينية

الاباء اليونان : بحث هؤلاء الاباء في القضايا العلمية وأولهم

يوستينوس الشهيد « ١٠٠ — ١٦٨ ق م » ولد في نابلس بفلسطين وتبحر في المذاهب الفلسفية القديمة واعتنق زمنا ما المذهب الافلاطوني ولكنه لم يجد لنفسه راحتها الا في المسيحية فاستنصر سنة ١٣٣ م . بيد انه عاش كفيلسوف أي متنقلا من بلد لآخر بردائه القصير واستقلال الرأي وقد استعان بلقب محب للحكمة ليناضل عن الدين المسيحي ولينشره تارة بخطبه العمومية وطوراً بكتاباته

وانا لنذكر من بين مؤلفاته كتاب مملكة الله فبيّن فيه أحدية الله مستشهداً عليها بالكتاب المقدس وبمؤلفات اليونان الاقدمين وكتاب تقريظ المسيحية الذي أرسله الى الامبراطور انطونيو الورع فدحض فيه المطاعن التي وجهت الى المسيحيين وقرّر دينهم القويم . ثم المحاورة التي دارت بينه وبين تريفون اليهودي امام الجم الغفير في أفسس

ومن ضمن أقواله التي وردت في كتاب التقريظ المذكور

ان المعتقد المسيحي يعلمنا ان المسيح بكر الله فهو الكلمة أو العقل الذي اشترك فيه الجنس البشري فكل من حاز هذه الكلمة وهذا العقل كان مسيحياً ولو عدّه معاصروه جاحداً أو وثنياً كهراقليطس وسقراط

تتيانس Tatein

تلميذ القديس يوستينوس كتب رسالة الى اليونان انحى فيها بالتقريع عليهم مخالفاً في ذلك معلمه وقد تناول لومه حكماء اليونان القدماء . غير أنه انفصل عن الكنيسة بسقوطه في البدعة الغنوسية

أثناغورس Athénagore

أثيني المولد هجر الفلسفة الوثنية واعتنق الدين المسيحي والف كتاب مديح النصرانية وارسله الى الامبراطور مرقس اوريلوس وكومودبوس .

٣٤ ـ الغنوسية Gnosticisime

الغنوسية أو الادرية هي هرطقة الاجيال الاولى المسيحية وغرضها مزج الفلسفة الشرقية واليونانية بالنصرانية واخراج

فلسفة مركبة من هذا المزيج والبحث الذي جعلوه مدارهم هو منشأ العالم . وسبب الشرور التي تظهر فيه . فقال ارباب هذا المذهب ان الانسان يمكنه التوصل الى المعرفة التامة وبها يحل كل القضايا فكلمة (غنوئس gnose) معناها . اعرف أو ادري

واليك خلاصة هذا المذهب :

ان الله أبدي أزلي أي لا ابتداء له ولا انتهاء . وكماله فوق الادراك فلا يحصره وصف . وهو الاب مصدر الخير أما المادة مصدر الشر فهي أيضاً أبدية ووجدت بذاتها والله لا يعمل في المادة مباشرة بل بواسطه قوات عديدة وسيطة بينه وبينها وأعظم تلك القوات واكبرها : الابن الكلمة

والقوات قد تكون متصلة بالله أو منفصلة عنه وهي المعبر عنها في التورارة بالملائكة . وقال افلاطون انها « المُثُل » ودعاها الرواقيون « العلل الفعالة »

وكثير من هذه القوات تدثرت أجساماً بشرية . اما تعارض الواجب والارادة فينشأ من عدم الاتفاق بين الطبيعة الحسية والدثار الجسماني . والفضيلة تكون في قهر التأثيرات الرديئة التي يؤثرها الجسم على الروح

أما الزهد فهو اكبر واسطة للتقوى اذا استعان بالمعرفة .

اذا فارقت الروح الجسد فتلحق بالله في الحياة الاخرى .

اما في هذه الحياة فلا يمكنها ان تتمتع بمشاهدة الله الا باتحاد وقتي

بواسطة الانخطاف الروحي

هذا هو ملخص المذهب الغنوسي الذي انتمت اليه شيع كثيرة متباينة . وجوهر عقيدتها ان المسيح الكلمة جاء ليفتدي الملائكة الذين سقطوا بخطاياهم في الاجسام البشرية وفي هذا الفداء ينالون القربى من الله

وذهب البعض الى انه قام نزاع بين الله المتعالي وبين خالق الكون الذي مانع في عمل الفداء

وانصار هذا المذهب هم فلانتين (Valentin) وباسيليد (Basilide). وكربوكراط (Carpocrate) . فقام لمناوأتهم انداد اشداء في شخص القديس ايريناوس وفلاسفة مدرسة الاسكندرية المسيحية

أما القديس ايريناوس (St. Irénée) اسقف ليون فانه استشهد سنة ٢٠٢ ميلادية . الف سنة ١٨٥ كتابا دحض به المعرفة الكاذبة . وعلى الخصوص مزاعم الشيعة الفلانتينية

---

٣٤ - مدرسة اسكندرية المسيحية

صارت الاسكندرية في عهد الملوك المقدونيين مركزاً للعلوم اليونانية . بفضل مكتبتها ومتحفها الشهيرين

كانت المدارس الفلسفية الوثنية محافظة على تعاليم فيلون وافتتح باسيلدس وكربوقراطس مدارس لتعليم المذهب الغنوسي

فاضطرت الكنيسة للوقوف بازاء تلك المذاهب مناضلة عن التعليم المسيحي كي تحفظ المتنصرين من عدوى الهرطقات التي تفشت . فقام فلاسفة المدرسه اللاهوتية المسيحية واظهروا من البراعة ما افحم خصومهم

ويرجع عهد تأسيس هذه المدرسة الى مرقس الرسول واول مديروها بسطس فاومانيوس فركيانوس وبنتينوس واكليمنضس واوريجانوس وغيرهم الى ان اندرست معالم تلك المدرسة في اواسط القرن الخامس واليك اسماء مشاهير فلاسفتها :

بنتينوس Pantene

أصله من صقيليا كان رواقياً فتنصر ومات سنة ٢٠٠ م وتتلمذ له الاب اكليمنضس

تيطس فلافيوس اكليمنضس T. Flavius Clement

ولد في الاسكندرية سنة ١٥٠ م من ابوين وثنيين ارضعاه لبان الفلسفة الافلاطونية في اثينا غير انه لما لم يجد فيها الحقيقة التي كان يصبو اليها طاف في طلبها بلاد اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى وفلسطين ومصر حيث التقى بالعلامة بنتينوس فتتلمذ له بارشاده واعتنق الديانة المسيحية. وحوالي سنة ١٩٠ سامه الاسقف

ديمتريوس الكرام ، قساً وسلمه ادارة المدرسة اللاهوتية فظل يعلم فيها حتى مات سنة ٢١٥

ولهذا الفيلسوف مؤلفات عديدة اهمها كتاب المربّي وكتاب من هو الغني الذي يخلص . وكتاب المتفرقات

ولم يكن التعليم الديني عند الآباء الاسكندريين قاصراً على استظهاره على الوثنية والهرطقة بل كان أخص أغراضه تهذيب الاخلاق والسير بها في طريق الكمال وكانوا بذلك اكثر علماً ومعرفة وقداسة من غيرهم

أوريجانس (١٨٥ — ٢٥٥ م) Origene

ولد بالاسكندرية من والدين مسيحيين فتلقى مبادىء علومه على ابيه ليونيداس ثم استقرى دقائق الفلسفة ونبغ فيها بعد ان تلقنها عن الفيلسوفين القبطيين تيطس اكليمنضس وآمونيوس السقاص .

القى اليه الاسقف ديمتريوس بابا الاسكندرية الثاني عشر مقاليد المدرسة اللاهوتية فأخذ يدأب في اعلاء شأنها فادخل الرياضة والطبيعة والفلك والموسيقي . ونظراً لشقاق حصل بينه وبين اسقفه في سنة ٢١٥ اضطر الفيلسوف الى هجر وطنه قاصداً قيصرية فلسطين فاستقبله اسقفها بكل اكرام . واسس في فلسطين مدرسة لاهوتية امها الكثيرون من طلاب العلم وتنصر على يديه

خلق كثير بينهم القديس غريغوريوس صانع العجائب

وكان يقضي كل أيامه بالتعليم والارشاد حتى رقد رقاده الاخير سنة ٢٥٥ في مدينة صور بفلسطين تاركا مؤلفات عديدة جزيلة المباحث أهمها كتاب المبادىء ودحض مزاعم كلسوس

وكان عالماً تقياً يتبع أقواله باعماله فيصوم معظم الايام ولا يأكل الا ليدرأ عنه ألم الجوع وينام على العراء بغير غطاء ولا وسادة ويسير حافياً ويقطع نهاره في الوعظ والارشاد وليله في الدرس والعبادة . واذ تسلط عليه الخوف من فقد عفته خصى نفسه فراراً من التجربة

وفي مؤلفاته الفلسفية شرح بجلاء معنى التجلي الالهي وكيفية الخليقة مفنداً آراء افلاطون وارسطو والرواقيين والمحدثين . كذلك فسر روحانية النفس وحرية الارادة

اما باقي الآباء فكانت تغلب عليهم الروح اللاهوتية اكثر من الفلسفية ولذلك نكتفي بذكر بعضهم وهم

القديس اثناسيوس (٢٩٦ — ٣٧٣)

اسقف الاسكندرية

القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ — ٣٧٩)

اسقف قيصرية قبادوكيه

والقديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٨ ٤٨٩)

كان اسقفاً لنزينزه فطرانا للقسطنطينية . والقديس غريغوريوس (٣٣٠ — ٣٩٦) اسقف نيصص بكباودكيا وهو أخو القديس باسيليوس

جميع هؤلاء كانو خصوم الاريوسيين

ثم القديس يوحنا فم الذهب (٣٤٧ — ٤٠٧)

اسقف القسطنطينية صاحب المواعظ الفلسفية الشهيرة

والقديس كيرلس بطريرك الاسكندرية (٣٧٦—٤٤٤)

الذي شجب البدعة النسطورية

ودنيسيوس الاريوباغي الف جملة كتب أخصها كتاب في الاسماء الالهية وكتاب في اللاهوت التصوفي ويستمد فلسفته من الافلاطونية الحديثة وعلى الخصوص من فلسفة بروكلوس ومع انه يؤكد في كثير من الاقوال ان الله مبدع الخلائق فاننا نراه في كثير من الجمل المتفرقة يقول بالحلول المادي

٣٥ – الاباء اللاتين

أشهر هؤلاء الاباء : ترتليانوس ولد في قرطاجنه سنة ١٥٥ كان ملما بالفلسفة والتشريع والخطابة اعتنق الدين المسيحي على أثر مشاهدته صبر الشهداء واحتمالهم العذاب والقديس كبريانوس ولد أيضاً بقطرجنه سنة ٢٠٠ واستشهد سنة ٢٥٨ على عهد الامبراطور فلاريانوس وكان اعتنق النصرانية سنة ٢٤٦ ميلادية ثم لكتنس (٢٥٠ — ٣٢٥) كتب ضد تعدد الآلهة وضد الفلسفة الوثنية — وهيلاريوس اسقف بواتيه بفرنسا (٣٠٠ — ٣٦٦) وامبروسيوس (٣٤٠ — ٣٩٧) أسقف ميلانو بايطاليا

وأشهر هؤلاء الاباء في هذا العصر هو القديس اغسطينوس (٣٥٤ — ٤٣٠) ولد في تاجست بنوميديا (بلاد الجزائر) من أب وثني وأم مسيحية تدعى مونيك

تعلم في قرطاجنه فنبغ غير انه ما لبس ان انغمس في المفاسد ثم ذهب الي روما فيلانو حيث التقى بامبروسيوس فتتلمذ له بعد ان تنصر سنة ٣٨٧ . ثم عاد الى هيونا (واسمها الآن بونا في بلاد الجزائر) حيث سيم قساً على كنيستها فاسقفاً سنة ٣٧٠ واستمر فيها حتى مات

ومؤلفاته على نوعين أحدهما خاص باللاهوت والآخر بالفلسفة وأخص مؤلفاته الفلسفية ثلاثة كتب ضد المذهب الافلاطوني

وكتاب في الحياة السعيدة وكتابين في النظام وآخر في خلود النفس أما كتاب مدينة الله . والاعترافات . وحرية التصرف . فهي مزيج من الفلسفة واللاهوت

كان القديس اغسطينوس متضلعاً في الفلسفة اليونانية وكان يفضل افلاطون على ارسطو . اما اكثر ميله فكان للافلاطونية الحديثة ولافلاطون . وقد أخذ تعليمه عن مدرسة الاسكندرية

وقد طبق المذهب الافلاطوني على العقيدة المسيحية وأحسن التطبيق وبذلك رزّل النظريات الخاصة بالحلول المصدري ، وروح العالم وأبديته ، وتقمص الارواح . وتمسك بنظريات « محبة الحكمة والتعمق فيها » وبصفة الله الغير متناهية وانه مصدر الاشياء كلها باعتبار انه نور عقلي . ومحبته للموجودات بفيض نعمته عليها

وساعدته النظريات الافلاطونية على ادراك معنى الخير والشر وان الاشياء خيرات بالطبع والشر عرضي ، وهو حد للخير

وكان يسعى لمعرفة الحقيقة بذكاء مطبوع ورغبة حقيقية لان الحقيقة في نظره لا تقصد للاستحسان فقط بل لايثارها لذاتها والعمل بها في كل وقت

ولهذا السبب كان المفكرون يعجبون بهذا الفيلسوف ويحبذون نبوغه خصوصاً وانه لم يكن لا متصوفاً صرفاً ولا متطرفاً في ابحاثه فيما وراء المادة ، بل كان وسطاً بين هذا وذاك محكماً عقله

وشعوره باعتدال

فمحبة الله ومحبة الحقيقة شعاره

***

انتشرت الديانة المسيحية انتشاراً عظيماً حتى اعتنقها امبراطرة الرومان وأصبحت ديناً رسمياً للامبراطوريتين الشرقية والغربية وظلت الفلسفة في نزاع وجدال حتى أصدر الامبراطور يوستنيانوس سنة ٥٢٩ م أمره بغلق المدارس الفلسفية

ويعد هذا التاريخ حداً فاصلاً بين الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى التي سنتكلم عنها في القسم التالي

فلسفة العصور الوسطى

من الجيل الثامن الى السادس عشر

٣٦ – مقدمة

اذا كانت الحرية الفكرية شرطا اساسياً للفلسفة فيمكننا ان نقول انه منذ أمر الامبراطور يوستنيانوس سنة ٥٢٩ ميلادية حتى عصر النهضة في الجيل السادس عشر ، كانت الفلسفة في هدنة لان في هذه الفترة كانت البشرية خاضعة في الغرب للمعتقد المسيحي من الوجهة النظرية ، وتابعة من الوجهة الاخلاقية للنظام الكنائسي المؤسس علي ذلك المعتقد

وكان ينبغي في تاريخ الفلسفة تخطي هذه الاجيال والبدء بالبحث مباشرة في الاسباب التي مهدت الطريق للفلسفة الحديثة ولكن من ذا الذي يقتنع بان الفكر الانساني ظل في وسن وهجوع طول هذة المدة ، فلم يبد منه أي يقظة أو نشاط ؟

ان من طبيعة الانسان « التفلسف » أي البحث عن الاشياء وعللها وتفحصها وتفهمها فلا تقدر أي سلطة في الوجود ، حتى الدينية منها ، ان تقيد الفكر وتمنعه عن الانطلاق من عقاله ، هذا الى ان العقايد الدينية المحتمة على الجميع لم تتكون

طفرة واحدة . انما يجب التمييز بين زمن تشكلت فيه وبين الزمن الذي تم فيه تكوينها وتسلطت على العقول والاذهان فحددت دائرة يقينية لا تتعداها معرفة بني الانسان !

ويطلق على فلسفة العصور الوسطى اسم الفلسفة الجدلية أو المدرسية ، لان التعليم كان يقوم به رجال الدين — وكلهم رهبان — في المدارس المتعددة التي أنشأوها بامر الامبراطور شرلمان في سائر انحاء فرنسا . فكانت تدرس فيها المذاهب الفلسفية التي كان مقرها بيزنطة وبغداد وقرطبة

وكان يطلق في القرون الوسطى لقب مدرس (Scholasticus) على كل أستاذ كان يعلم في مدرسة (Schola) وانتهى الامر الى اطلاق لفظ « مدرسي » على التعليمين اللاهوتي والفلسفي فقط

وكانت أهم الصفات المميزة لفلسفة هذا العصر هي :

١ — ترتيبية : فكانت المذاهب الفلسفية الكبرى تطرح للنقد بحرية وتوضع لها الاجوبة بنظام

٢ — دينية : بمعنى انها كانت تستعين بالعقل والدين لتبين ان العقيدة الدينية الموحى بها تتفق تماماً مع الحقائق البديهية العقلية ، ولهذا السبب دعيت الفلسفة خادمة للدين Philosophia Ancilla Theologiæ

الا ان خضوع الفلسفة للدين لم يكن قاصراً عليه بل بحثت الفلسفة المدرسية في جملة مسائل لا علاقة لها مباشرة

بالدين المسيحي

٣ — خاضعة للسلطة : ذلك لان الحقائق الدينية فوق متناول العقل ولا يمكن معرفتها الا بوحي الهي فيجب اذن التسليم بصدقها بغير جدال لان الموحي بها هو الله المعصوم عن الخطأ

بيد ان المدرسيين كانوا يأتون بالبراهين العقلية المثبتة صحة الوحي وصدقه ، وقد قال القديس توما الاكويني . لا يعتقد المؤمن الا اذا علم ما ينبغي ان يؤمن به

***

تمكن الانحطاط الاجتماعي والاخلاقي من الدولة الرومانية ايما تمكن فاخذ الوهن يدب فيها في أوائل القرن الخامس للميلاد فاتخذت الامم المتبربرة فرصة هذا الضعف وغزت تلك الامبراطورية الغربية العظيمة فطغى عليها سيل القوط والوندال والسويفيين والمغول والهون وغيرهم

وامتدت الغزوة حتى اطراف البلقان ، وظلت الامبراطورية الشرقية قائمة وسط هذا المعترك تتنازعها الانقسامات الداخلية زهاء عشرة أجيال حتى جاء دور اضمحلالها فسقطت تحت ضربات محمد الثاني العثماني سنة ١٤٥٣ ميلادية

وفي هذه الاثناء أخذت تتكون أمم جديدة فظهرت في أوربا دول فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا واسبانيا من هذا الاختلاط والاضطراب

بيد اننا نتكلم الآن عن العصور الوسطى اذ كانت الحروب منتشبة والممالك متفككة الاوصال والاقطاعيات مختلفة ومتعددة والحروب الصليبية متتابعة والمجهودات مبذولة لتكوين الدول

بينما كل ذلك يجرى في العصور الوسطى بقيت قوة واحدة قائمة في هذا المعترك ، تلك القوة المعنوية التي اعترفت بها أوروبا وخضعت لها الامم المتبربرة على التعاقب هي (الكنيسة) اذ حافظت على التقاليد الرومانية كما احتفظت في الاديرة والمدارس الاسقفية على التعليم الفلسفي القديم مع ما لحقه من المسخ والتحريف

غير ان ذلك لم يمنع من مجيء اليوم الذي صار فيه احياء ذلك التعليم والنهوض به الى ذروة المعرفة والنظر الصحيح

وانا لذاكرون من اشتهر من الفلاسفة الذين مهدوا السبيل الى الفلسفة المدرسية وفتحوا لها الباب الذي ولجت منه

بوس (٤٨٠ — ٥٢٥ م) Boece

كان قنصلاً رومانياً فوزيراً للملك تيودوريك ملك القوط ولكن بعض حساده اتهموه ظلماً بالتآمر ضد الملك فأمر هذا بسجنه

كان منذ شبابه يتردد على مدارس أثينا الفلسفية فتضلع فيها كما يفهم من مؤلفاته التي كانت مصدراً غزيراً استقى منه الفلاسفة المدرسيون معرفة الآراء المشائية والافلاطونية والرواقية

والفيثاغورسية والاغسطينية

وقد ترجم كتابي اساغوجي لفرفوريوس ، وارغانون في المنطق لارسطو . وألف كتاب الوحدة والواحد وكتاب التعازي الفلسفية وهذا الاخير ألفه وهو في سجن تسنوم ويتضمن مبحث في العناية الربانية والصلاح الالهي

كسيودور (٤٨٠ — ٥٧٥ م) Cassiodore

كان أيضاً قنصلاً فوزيراً لتيودريك الملك ونائلاً رضاه وبواسطته تمكن من الاطلاع على العلوم الادبية والعقلية

ولما بلغ الستين من عمره رحل الى وطنه كلابريا وانشأ دير قبيه الذي صار تحت ادارته موئلاً للعلوم وعلى نسقه أنشئت جملة أديرة يرجع اليها الفضل في نشر المؤلفات الوثنية والكنائسية

وله عدا عن مؤلفاته التاريخية واللاهوتية كتاب في النفس استمد آراءه فيها من مذهب القديس اغسطينوس ، ثم كتابان أحدهما يدعى الثالوث (Trivium) ويبحث في النحو والمنطق وعلوم البلاغة والثاني دعاه الرابوع (Quadrivium) ويتضمن الحساب والموسيقي والهندسة والفلك

أيزيدور (٥٧٠ — ٦٣٦ م) Isidore

ولد باشبيليا احدى مدن الاندلس وهو والاثنان السابق

ذكرهما يعدون معلمي الغرب في ذلك العصر

وأشهر مؤلفاته كتاب جامع لشتات العلوم المعروفة في ذلك العهد . وقد أنشأ في اشبيليا مدرسة كانت مثالا للكثير غيرها

***

٣٧ تقسيم هذا العصر : ينقسم تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى الى اربعة مدد :

﴿ المدة الاولى ﴾ تكوين الفلسفة الفلسفية من الجيل الثامن الى الجيل الثاني عشر

﴿ المدة الثانية ﴾ العصر الذهبي المدرسي في الجيل الثالث عشر

﴿ المدة الثالثة ﴾ انحطاط الفلسفة المدرسية من بدء الجيل الرابع عشر الى منتصف الجيل الخامس عشر

﴿ المدة الرابعة ﴾ عصر النهضة من نصف الجيل الخامس عشر الى آخر الجيل السادس عشر

وقد اراد بعض المؤرخين ان يقصر الفلسفة المدرسية على الجدال الذي قام بشأن قضية الكليات الخمسة Les Universaux

وهذا الحصر غير صائب لان الفلسفة المدرسية بحثت في كثير من القضايا التي لا علاقة لها بالكليات

ومما لا جدال فيه ان هذه القضية الاخيرة كانت أهم ابحاث فلاسفة العصور الوسطى وهي جديرة بذلك لانها أصل التكوين الفكري الذي شغل الفلاسفة المتقدمين تحت نظرية « المثل » ثم عادت الى بساط البحث في العصور الحديثة تحت اسم « قيمة المعرفة »

المدة الاولى

٣٨ — تكوين المدرسة الفلسفية

توصف هذه المدة بانها مجهود كبير لتوضيح المذاهب التي تكونت منها فلسفة الجيل الثالث عشر ، فقد دارت ابحاث كثيرة شاقة لتمهيد واعداد هـذا العمل التكويني العظيم . فظهرت اثار الاراء الفيثاغورسية والرواقية والابيقورية والافلاطونية الحديثة والفلسفة العربية في هذه المدة مدة الاختبار

ولكن النظريات الافلاطونية والاغسطينية كانت اكثر المذاهب تأثيراً ماعدا المنطق فكان فيه لارسطو القدح المعلي

وكانت المسائل الدينية سبباً في ظهور كثير من القضايا الفلسفية

مرت بعض أجيال والجهل متفش والافكار جامدة غير ان الفلسفة وجدت من نفخ فيها روح الحياة من جديد . فلما أمر الامبراطور شرلمان بتأسيس المدارس وصرح للقساوسة بالتعليم في الاديرة ، قام الكوين Alcuin (٧٣٥ — ٨٠٥) وشمر عن ساعد الجد وأخذ يلقي دروسه في دير يورك أولاً ثم في دير سان مرتين بطورس . وهو الذي أحيى الفلسفة في فرنسا والمانيا

ثم جاء بعده تلميذه رابان مور (٧٧٦ — ٨٣٦) Raban Maur فسار على مثال أستاذه وبدأ حياته التعليمية في دير فُلد ثم عين رئيساً لهذا الدير فمطراناً لمدينة ماينس

أما مصنفه De Universo (الجامع) فكان عبارة عن دائرة معارف القرون الوسطى

أخذ عن لوكريس نظرية « الجوهر الفرد » وطبقها على الدين المسيحي وعلم بمذهب الاختيار معارضاً بذلك مذهب الراهب جتشلك Gottschalk الذي يقول ان الانسان مجبور في كل شيء وانه مسخر في الخير والشر بالقضاء والقدر

ولكن أعظم أولئك الفلاسفة واكبرهم شهرة هو بلا مراء

سكوت اريجانس J. Scot Erigene

ولد في أوائل الجيل التاسع وربما كان ذلك في أرلندا أو في احدى الجزر البريطانية

استدعاه الي فرنسا الملك شارل الثاني ليكون مديراً لمدرسة قصره وأخذه تحت رعايته ودفع عنه الخطرات التي كانت تعرضه لها اراؤه الحرة

واغلب مؤلفاته فقدت على اننا نفهم من كتابه انقسام الطبيعة Divisione Naturæ الفلسفة القديمة وعلى الخصوص الافلاطونية

الحديثة

لم يكن هذا الفيلسوف ملماً باللغة اللاتينية فقط بل وباليونانية وربما بالعربية أيضاً . وقد استقى تعليمه من كتب الفلاسفة القدماء .

فالله في نظره مبدأ وغاية كل موجود . وكل شيء يكمل تبعاً لدرجة قربه أو بعده من كمال الله التام الفائق الوصف الذي يحل في الطبيعة بمعنى انها اجزاء منه واليه ستعود

فيظن من ذلك ان مذهبه حلولي تصوفي يماثل مذهب مدرسة الاسكندرية

أما جربرت Gerbert

فانه ولد في اوفرنيا عام ٩٣٥ ،كان مدرساً في بلاط الملك أوتون الاول ثم في مدارس ريمس وباريس . وبعد ان ترقى الى جملة رتب كهنوتية انتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني سنة ٩٩٩

اندهش المعاصرون له من كثرة معارفه وعلومه فلقبوه « البابا الفيلسوف » وقد استقى فلسفته من اسبانيا عندما رافق الكونت دي برشلونه الى تلك البلاد

وكانت في ذلك الوقت جامعات الاندلس وعلى الخصوص جامعة قرطبة زاهرة والعلوم فيها مثمرة والمعارف ناضجة

واليه يرجع الفضل في الحصول على جملة مؤلفات عربية من بلاد الاندلس فترجمها الى اللاتينية وكانت سبباً في اطلاع علماء ذلك العصر على فلسفة ارسطو

ثم ترجم جربرت كتب المقولات العشرة والتأويل ، وفسرها في مدرسة ريمس . ثم له أيضاً شرح كتاب اساغوجي لورفيروس

ولم يكن يهمل شيئاً في التعليم بل كان يحث تلاميذه على درس علوم واداب الاقدمين والتمعن فيها وتفهم معانيها . وظل دائباً على نشر المعارف الى ان انتقل الى جوار ربه عام ١٠٠٣ ميلادية

والذي عرف بعده الاب لنفرنك رئيس دير «بك» بنورمنديا فمطرانا لكنتربري ومات سنة ١٠٨٩

غير ان الذي أخلفه في هذه الرتبة الكهنوتية هو القديس

أنسلم (١٠٣٣ — ١١٠٩) Anselme

فقد اظهر نبوغاً فلسفيا حقيقيا وهو مؤلف « البرهان الكوني لاثبات وجود الله بادلة وجود الكائنات

ولد هذا الفيلسوف في أوست بايطاليا من عائلة شريفة . تلقى العلم على مواطنه لنفرنك وقد رقي مطرانا لكنتربري خلفا لاستاذه سنة ١٠٩٣ ومات سنة ١١٠٩ بعد ان قضى حياة مملوءة

بمجد الاعمال والفضائل

كان من أهم اغراضه توفيق الرابطة بين العقل والايمان واقناع الجهلاء بصحة الدين ببراهين بسيطة جداً وفي أتم الوضوح

وفي كتابه تأملات في العقل بطريق الايمان Monologium sive exemplum Meditandi de ratione fidei أثبت فيها وجود الله باعتبار انه علة كل موجود وهو الكمال الذي يرشدنا اليه نقص هذا الكون

وفي الكتاب أثر من الفلسفة الافلاطونية التى نقلها عن تعليم القديس اغسطينوس . كذلك توجد فيه بعض آراء تشير الى مذهب الحلول بطريقة مبهمة وكانت سببا لاغلاط كثيرين من الفلاسفة في ذلك العصر الذين حاولوا اثبات وجود الله وخلقته للعالم من العدم ex nihilo

وانا لنجد في كتابه الثاني Prosologium برهانه الشهير الذي ظن انه عثر عليه بمثابرته في التأمل وألهمه الله به أيام الصوم الكبير

قال اننا نتصور الله انه اكبر الكائنات واعظمها وجوداً ens realissimum فان لم يكن موجوداً فاي كائن يوجد يكون الاعظم والاكبر وهذا لا يسلم به العقل فينبغى الاعتقاد بوجود الله بدليل تصورنا انه أعظم الموجودات واكبرها

وقد أخذ عنه ديكارت وليبنز في العصور الحديثة هـذا

البرهان ونقحاه بعض التنقيح الى ان جاء كانت الالماني واظهر خطأ هذا البرهان من حيث صيغته

غير انه قبل ان يولد كانت بسبعة أجيال أي في نفس الزمن الذي ظهر فيه الكتاب المذكور ، قام الراهب جونيلون من دير مرموتيه بالقرب من مدينة تورس ودحض ذلك البرهان في كتابه المسمى « كتاب للجاهل » Liber Per insipiente أثبت فيه ان الوجود ليس دليلاً على عظم الشيء ولا هو برهان على ان الموجود أعظم مما ليس موجودا ، اذ لا يوجد ارتباط بين الكائن والمتصور الا كما توجد علاقة بين الوجود والعدم

وكان القديس أنسلم متشيعا لمذهب الواقع في الجدال الذي قام بين انصاره وبين الاسميين

٣٩ - الاسميون والواقعيون

ما هو هـذا الجدال الذي شغل فلاسفة الجيل الثانى عشر ومهد العصر الذهبي للفلسفة المدرسية ودعي في التاريخ باسم جدال الاسميين والواقعيين realisme te ominalisme ؛

ان مقدمة فورفوريوس على كتاب قاطيغورياس (المقولات) التي ترجمها بويس الى اللاتينية كانت الكتاب الوحيد الذي عرفت منه الفلسفة القديمة في ذلك الحين . والمطالع فيها يجد ضمن

سطورها هذه الجملة :

« لست بباحث فيما اذا كان للاجناس والانواع وجود في ذاتها »
« أو هي تصورات مجردة . وفي حالة ما اذا كان لهـا في الواقع »
» وجود ، هل هي أجسام أم لا ، او ان وجودها قائم بذاته »
« بدون توقف على المحسوسات من الاشياء أو متوقف عليها ؟ — »
« فالبحث في ذلك من اصعب الامور ويتطلب مناقشة طويلة »
ليست من أغراض هذا الكتاب ! ! »

وجـد الفلاسفة المدرسيون في هذه الجملة مسألة تشوقوا لحلها . فهم — على غير علم منهم — اعادوا كرة البحث في نفس القضية التي فرقت بين افلاطون وارسطو ، وهي مظهر آخر من الجدال الادبي الذي يوجد الآن بين العقليين والتجريبيين

فالكليات Les Universaux وهي معاني الاجناس والانواع إما ان تدل عليها أسماء عامة أو خاصة وينبغي معرفة ما اذا كانت هذه الاسماء تدل على حقائق واقعية تختفيها الاشياء الخاصة او انها مجرد معان يستنبطها الذهن؟

هل يوجد مثلاً — كما كان يزعم افلاطون والواقعيون مثال انساني في العالم العقلي تنطبق عليه معنى الانسانية والانسان بغير مراعاة الاشخاص الذين يندمجون في هذا المعنى الكلي . أو انه لا يوجد في الواقع سوى أشخاص الناس كزيد وبكر وعمرو ، وبمقارنتهم يتكون في ذهننا معنى الانسان والصورة الانسانية ؟ ؟

لا مراء ان المعرفة غير ممكنة الا اذا كانت هذه المعاني الشاملة توجد من قبل وليس من موضوعها سوى الصفات العامة للموجودات التي تبحث فيها . وان هذه المعرفة لتتوه في تفصيلات لا نهائية اذا بحثت في الافراد مستقلة بذواتها

ولكن هل من الضروري : لكي تكون المعرفة ممكنة ، ان توجـد نماذج (مُثُل) واقعية ؟ الا يكفي ان تتكون في ذهننا صور عامة

يدعي أصحاب مذهب الواقع ان « الكليات » حقائق واقعية وليس للاشخاص الفردية وجود فعلي الا بمشاركتها في الجوهر وبذلك تكون الكليات سابقة للاشياء في الوجود

Universalia ante rem

اما الاسميون فبالعكس يذهبون الى ان الكليات ليست سوى الفاظ مجردة فلا يوجـد حيوان عام او انسان عام بل الانسانية أو الحيوانية لا تدرك الا بعـد وجود افرادها

Universalia Post rem

فوقف التصوريون Conceptualistes بين بين في هذا الجدال وقالوا ليست الكليات لا قبل ولا بعد الاشياء وانما هي موجودة في ذات الاشياء

وحقيقة الامر لا يتميز التصوريون عن الاسميين لان المعاني الكلية اما ان تكون جواهر للاشياء ، وما الافراد الا اعراضا

لها ، واما ان تكون للاشياء صفات متشاركة والفكر يفرق بين افرادها ليكون منها المعنى العام الكلي

هذه هي قضية الموجود التي شغلت الفلاسفة الاقدمين وازدادت صعوبة في العصور الوسطى نظراً لوجود الاديان السماوية فاذا انتمى الفلاسفة الى مذهب الواقع مع كل ما يترتب عنه بداهة ، ادى الحال بهم الى التسليم بالحلول أي بذاك المذهب الذي يمزج الله بالعالم ويؤله الكون معتبرين المخلوقات أعراضاً وصفاتاً للجوهر الالهي . والكنيسة تعد ذاك تجديفاً وتشجب القائلين به .

وأول مؤسس لمذهب الاسميين هو راهب من كومبيان يدعى

روسلين Roscelin

ولد في اواسط الجيل الحادي عشر ومات سنة ١١٢١ ويقال انه علَّم مذهبه في باريس على جبل القديسة جنفياف أو في حظيرة كنيسة نوتردام . ولكننا لا نعلم شيئاً عن تاريخ حياته ولم يبق من كتبه سوى خطاب ارسله الى ابيلاردس

كان يزعم ان الالفاظ « الكلية » لا معنى لها وقد اراد تطبيق نظريته على سر الثالوث فتصدى له القديس انسلم وغليوم دي شمبو وسفها رأيه . وحكم عليه مجمع سواسون الاكليركي بالشجب

سنة ١٠٩٣

اما غليوم دي شمبو G. de Champeaux

فولد بالقرب من ملون سنة ١٠٧٠ وتلقى العلم أولاً على القديس انسلم في لاون ثم على روسلين في كمبيان . وصار استاذاً لكاتدرائية نوتردام سنة ١١٠٣ وأخيراً سيم اسقفاً لمدينة شالون وتوفي بها سنة ١١٢٠

الف جملة كتب منطقية لم يتصل الينا ولا واحد منها ولم نقف على مذهبه الا من مؤلفات تلميذه ابيلاردس وخصوصاً من كتاب « الاجناس والانواع » De Generibus & de Specibus

واليك خلاصة رأيه ملخصة عن ذلك الكتاب

قال : ان لكل جنس جوهراً واحداً متماثلاً في جميع الافراد وما الافراد الا تعديلات عرضية للنوع والنوع تعديل عرضي للجوهر الجنسي . — فمثلاً لا يوجد حقيقة الا حيوان واحد عام .

فقام ابيلاردس ودحض هذه النظرية المؤدية الى الحلول . وقال باستحالتها كما يأتي :

« اذا كان كل انسان هو كل النوع الانساني . فهذا النوع بأكمله يوجد في سقراط الذي في روما ويوجد في افلاطون الكائن بأثينا . فاذن سقراط المحتوي على كل الجوهر البشري يكون

موجودا اينما وجد ذلك الجوهر أي يكون في وقت واحد في روما وفي أثينا وهذا محل

وقد اضطر دي شمبو سنة ١١٠٨ الى التخلي عن وظيفة التدريس في نوتردام . وبعد ان كان يقول بان الواقع يوجد في كل شخص بدون فرق انتمى أخيراً لمذهب مناظره ابيلاردس من ان الجواهر متعددة ولو انها متشابهة في الاشخاص

وبطرس أبيلاردس P. Abelard (١٠٧٩ — ١١٤٢)

ولد في ضواحي نَنت وتلقى العلم على روسلين رئيس حزب الاسميين ثم على غليوم دي شمبو زعيم الواقعيين المتطرفين وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى فتح مدرسة في ميلون سنة ١١٠٢ ثم انتقل الى كوبيل وأخيراً رحل الى باريس ليناظر استاذه دي شمبو المقيم في دير سان فكتور والخمه بحجته حتى عدل عن مذهبه الواقعي

وانشأ مدرسة سنة جنفياف ولكنه تركها بعد قليل من الزمن ويمم شطر «لاون» ليجادل القديس انسلم . بيد ان جرأته هذه لم تجده نفعاً فطرد من لاون فعاد ثانية الى باريس سنة ١١١٣ وكان عمره اذ ذاك ٣٤ عاما فتنظر على مدرسة نوتردام وكانت شهرته ذائعة فالتف حوله عدد عظيم من التلاميذ من كل الجهات الاوروبية حتى ان الفنادق لم تكف لايوائهم . وقد سيم من تلاميذه

أكثر من خمسين اسقفا وتسعة عشر كردينالا وانتخب احدهم حبراً اعظم باسم سلستين الثاني

ولما رأى ابيلاردس ان صيته اشتهر عقد صلة غرامية مع هيلويز ابنة أخي الراهب فلبرت الا ان هذه الحال لم تستمر طويلا اذ حجر على الفتاة في دير ارجنتيل وترهب ابيلاردس في صومعة سان دنيس ثم عاد الى التدريس مخالفاً بعض التعليم المسيحي فحكم عليه مجلس سواسون سنة ١١٢١ وصار يتنقل من دير الى آخر الى ان عاد سنة ١١٣٦ مدرساً في مدرسة القديسة جنفياف كما كان قبلا . ولكن الكنيسة لم ترضَ عن تعليمه فالتأم مجمع اكليركي في سنس عام ١١٤٠ وخطأه في ١٩ مسئلة فاستأنف حكم المجمع امام الحبر الاعظم بروما وبينما هو قاصد اليها ليؤيد دعواه بلغه في الطريق تصديق البابا على الحكم فنكص على اعقابه فاضافه احد الرهبان واستكتبه اقرارا بنبذ التعاليم المضادة للكثلكة وقضى الاشهر الباقية من حياته في عزلة نادماً على خطاياه مستغفراً ربه حتى مات في شهر ابريل سنة ١١٤٢ بالغا من العمر ٦٣ عاما

ومؤلفاته على قسمين : (١) لاهوتية وهي كتاب اللاهوت وكتاب في وحدة الله وآخر في الثالوث ورابع في الايجاب والسلب (Sic & Non)

(٢) فلسفية — منها كتب محاورة بين مجتهد ويهودي ومسيحي وآخر في المنطق . وتعليقات على ارسطو وفرفريوس ثم كتاب في الاجناس والانواع قال فيه : ان المثال العام لا يوجد الا في الذهن كصورة . اما الجوهر ففي الاشياء ذاتها . والخواص المشتركة في جميع اشخاص النوع الواحد هي أصل المثال العام . والفكر لا يبتكر هذه الخواص المتشابهة وانما يجدها في ذات الاشخاص فيستخلصها بتجريدها من صفاتها الذاتية وما يتبقى بعد ذلك يكون المثال العام

وكان في فلسفته يمزج اللاهوت ويحاول اقامة البراهين العقلية على صحة الاسرار المقدسة

وهو الذي رقى الطريقة المدرسية الجدلية وحبب الى الناس دراسة الفلسفة لذاتها . وكان في كل قضية اختلافية يذكر البراهين التي تدحضها والحجج التي تؤيدها بدون ان يستخلص نتيجة تاركاً الحكم لفكر الانسان

ويكفينا ان نختم هذا الفصل باسمي جلبرت دلا

بوريه Gilbert de la Porrée (١٠٧٦ — ١١٥٤)

وبطرس لمبارد Pierre Lombard

فالاول ولد في بواتيه وسيم على هذه المدينة اسقفاً وهو أحد تلاميذ أنسلم وكان حائزا لشهرة جديرة بعالم مثله . كان مذهبه واقعي وقد اراد تفسير العقائد المسيحية تفسيراً فلسفياً فسقط في الخطأ واضطر لتعديل رأيه عملا باشارة القديس برناردس . أما الثاني فكان تلميذاً لابيلاردس ويظهر انه اراد تنقيح كتاب الايجاب والسلب فعدل الجزء الخاص بالايجاب . وقد جمع في كتابه « المواعظ » أهم الحكم التي الفها علماء الكنيسة تقريظا للدين المسيحي وكان هذا الكتاب سبباً في منح لمبارد المذكور لقب استاذ المواعظ . ومصدراً لشهرته حتى انه تعين مدرساً للاهوت في باريس وانتخب اسقفا لهذه المدينة وفيها توفي سنة ١١٦٠ ميلادية

فلاسفة العرب

من الجيل الثامن الى الثاني عشر

- ٤٠ -

خصصنا هذا الفصل لفلاسفة العرب ولم نقل للفلسفة الاسلاميه لأنها ليست سوى استعارة عن اليونان وكل فضل العرب في هذا الصدد انهم كتبوا وترجموا الفلسفة الاغريقيه الى لغة الضاد (يراجع كتاب تاريخ اللغات الساميه للمسيو رينان)

وجاء في دائرة المعارف الفرنساوية الكبرى : ان من يعرف الاسلام حق المعرفه يستبعد وجود الفلسفه بجانب الدين الاسلامي الحنيف لان العلماء الذين اعتنقوا الفلسفه كانوا مضطهدين من رجال الدين والفقهاء وعامه المسلمين . ولذلك يمكننا القول ان الفلسفه لم تظهر في حياة العرب الا كحادث عرضي سريع الزوال

اتهم الفلاسفه بالكفر والزندقه فاضطروا الى التستر وتأليف الجمعيات السرية كجمعيه اخوان الصفاء الذين كان غرضهم منها تطهير الشريعه الاسلاميه مما تدنست به من الجهالات واختلطت بالضلالات ولأن الفلسفه حاوية للحكمه الاعتقادية والمصلحه الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلسفه اليونانيه والشريعة العربية فقد حصل الكمال ! (رسائل اخوان الصفا)

ومع ذلك ففي العصر العباسي وعلى الخصوص في ايام المأمون (٨١٣ - ٨٣٣ م) والمتوكل (٨٤٧ — ٨٦١ م)

أخذ السريان في ترجمه علوم اليونان على اختلاف انواعها وعلى الخصوص كتب الفلسفه فظهرت ترجمات لمؤلفات ارسطو وشروحات لفلسفه الاسكندرية وايساغوجي فرفوريوس ورسائل اسكندر الافروديسي

وكان الخليفه المأمون انشأ سنه ٨٣٢ م مكتبا للترجمه برئاسه حنين ابن اسحق Johannitius

وأول مدرسه عقليه كانت للمعتزلة ظهرت وقتا قصيرا كان أقدم فلاسفه العرب هو يعقوب الكندي ثم اشتهر الفارابي • وابن سينا والغزالى وابن باجه وابن طفيل وابن رشد واليك نبذة عن كل واحد منهم

يعقوب الكندى :

ولد في اواخر الجيل الثامن ويتصل نسبه بملوك كنده وقد دعي فيلسوف العرب لانه عربي صميم وكان معاصرا للمأمون والمعتصم والمتوكل وله عندهم منزلة ساميه

برع في الطب والفلسفه والمنطق والالحان والهندسه

وطبائع الاعداد وعلم النجوم

نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره ، حذا في تآليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة ذكرها كتاب (تاريخ التمدن الاسلامي)

الفارابي (٢٦٠ هـ — ٣٣٩ هـ) Al Farabi

هو ابو نصر محمد بن طرخان ابن اوزلغ ولد بالفاراب من أعمال خراسان حوالى سنة ٢٦٠ هـ (٩٤٩ م) وتوفي بدمشق الشام سنة ٣٣٩ هـ كان في أول امره ناطوراً في بستان بدمشق وكان يشتغل بالحكمة في الليل على ضوء قنديل حارس البستان ثم تلقى على يوحنا ابن جيلان في أيام المقتدر فاخذ عنه المنطق فبرع فيه واستمر كذلك مدة حتى عظم شأنه وظهر فضله فقربه الامير سيف الدولة التغلبي واكرمه كثيراً فعظمت منزلته عنده وكان له مؤثرا

مؤلفاته — كانت اكثر تصانيفه في رقاع ولم يصنف في الكراريس الا القليل . شرح كتاب المجسطي لبطليموس واكثر كتب ارسطو وله كتاب السياسة المدنية والسيرة الفاضلة وكتاب الموسيقي والمبادىء الانسانية

(**فلسفته**) كانت حلولية على مثال محدثي الافلاطونيين .

وهو أول من قال بنظرية العقل الفعال وانه جوهر منفصل عن

المادة — وتجد آراءه الفلسفية في كتاب المدينة الفاضلة . وعيون المسائل

— ٤١ —

ابن سينا (٩٨٠ — ١٠٣٦ م)

ويدعوه الافرنج Avicenne

هو ابو علي الحسين ابن عبد الله بن سينا البخاري المشهور بالشيخ الرئيس ولد في قرية خرميثن سنة ٣٧٠ هـ كان من صغره سريع الذكاء نادرة عصره .

انتقل به ابوه الى بخارى وهي يومئذ حافلة بالعلماء في زمن نوح ابن منصور من ملوك الدولة السامانية .

حفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة من عمره ولم يدرك السادسة عشر حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم وكان يحي الليل في الدرس والبحث .

واتفق ان نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه اليه فبريء على يديه فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة

المثال فاستأذنه في دخولها فاذن له فدرسها ووعى زبدتها .وأخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة وتنقل في بلاد خراسان وهوموضع الاعجاب ومصدر الاستفادة

ومرت به طوارىء مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى من العذاب، والملوك مناظروه او مريدوه . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلاً لكن شهواته البدنية كانت غالبة عليه فاثرت في مزاجه حتى اماتته بهمذان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره .

(مؤلفاته) تربوا عن المائة مصنف اهمها كتابه الطبي القانون وفي الفلسفة كتاب الشفاء ومختصره كتاب النجاة وتوجد مجموعة من كتبه في مكتبتي اكسفورد . وليد .

فلسفته ١ً — في المنطق شرح كتاب ارسطو وكان جل اهتمامه بالتحديد والحكم وقد سار الفلاسفة المدرسيون في الجيل الثالث عشر على طريقته في تقسيم العلوم الفلسفية

٢ً — في علم النفس : قال ان في الانسان خمسة عقول وهي القوة الفكرية المادية التي توصل الانسان للمعرفة المطلقة ، والعقل الممكن المتضمن الحقائق البديهية الاولى ، والعقل المنفعل المستفاد أي الفاعل ، والعقل السليم وهو الخاص بفئة من الناس

يؤدي بهم الي التصوف الديني (يراجع فصل القوة النظرية ومراتبها من كتاب النجاة)

وقد استنكر ابن سينا نظرية التناسخ ولم يسلم بان النفوس لها وجود قبل ان تحل في الاجسام ويسلم بخلود النفس وروحانيتها .

٣ً — فيما بعد الطبيعة : كان جل اهتمامه مسألة منشأ الموجودات فقال بصدورها من الله أي من العقل الكامل (عقل العقول) والخير المطلق وعلة العلل .

والعلة الاولى تعرف انها اول الوجود ويتولد عنها عقل هو الاول الذي يتلوه . ثم يتلوه عقل وعقل وتحت كل عقل فلكا وصورته التي هي النفس وهكذا يصير التدرج نازلا على سلم الافلاك حتى ينتهي الى العقل الفعال الذي يدبر أنفسنا

وبعد ان اوضح ابن سينا كيفية صدور الافلاك شرح أيضاً حركتها بانها أثر للعلة الغائية التي هي الله الخير المحض . فهو مجتذب النفس العاقلة لكل فلك .

والعقل الفعال intellect Agent

هو المصدر الذي تبعث منه ، بواسطة الحركات السماوية ، النفوس البشرية وباقي الصور الجوهرية التي يجب على المادة الارضية ان تقبلها لتحل فيها

والمادة في نظره غير حادثة بل ازلية — وسلم أيضاً بنظرية ارسطو في العلل الاربعة وفي قضية الكليات

ويوجد في فلسفته أثر من آراء محدثي الافلاطونيين الخاصة بالحلول وبالميل الديني

-٤٢-

الغزالي (١٠٤٨ — ١١١١ م) Al Gazali

هو ابو حامد ابن احمد . ولد بطوس من أعمال خراسان سنة ٤٥٠ هـ ومات بها سنة ٥٠٥ هـ أي بالغاً من العمر ٥٣ عاماً بعد ان مثل دوراً مهما في الحركة الدينية والفلسفية في عصره .

بدأ يدرس العلوم الدينية على العلامة احمد الرازقاني واتمها في نيسابور حيث تلقى علم الكلام على امام الحرمين فأتقنه وبرز فيه على اقرانه ولما مات استاذه خرج من نيسابور الى العسكر والتقى بنظام الملك الوزير السلجوقي فاكرمه وسهل له سبل العيش فعينه مدرساً في نظامية بغداد ، وهي الجامعة الشهيرة التي تأسست سنة ١٠٥٧ وكان عمر الغزالي اذذاك ٣٣ سنة. وقد ذكر في كتابه المنقذ انه كان يلقي دروسه على ثلاثمائة طالب

ولما هاله أمر المفكرين الاحرار كتب في الدفاع عن الدين الاسلامي ، مؤلفاته الثلاثة : احياء علوم الدين . ومقاصد الفلاسفة ، وتهافت الفلاسفة

وكان له ميل شديد للتصوف الديني فترك مهنة التدريس

سنة ١٠٩٥ وودع مظاهر المجد والشهرة وظل أحد عشر عاماً متنقلا من مدينة لاخرى فزار دمشق وبيت المقدس والاسكندرية ومكة المكرمة واخيراً عاد الى طوس باحثا عن الحقيقة طالبا الحياة الروحية في التأملات الدينية

وكان يمضي الساعات الطويلة في اعلى منارة مسجد دمشق منفرداً بتأملاته العميقة الا انه لم يجد لنفسه الراحة المبتغاة فعاد الى الحياة العالمية مهتما بتقويم الاخلاق وتمجيد الاسلام حتى انه لقب بزين الدين وحجة الاسلام . — وكان اكبر باعث على على عودته الى العالم العملي الحاح فخر الملوك الذى عرض عليه مهنة التدريس بنظامية نيسابور مظهراً له ان من الخطأ حرمان أبناء المسلمين من المعرفة التي وهبها الله له فقبل الرأي ولكنه لم يبق في التدريس طويلا بل عاد الى طوس واعتزل في منزله حتى انتقل الى جوار ربه

كان ذا عقل ذكي ونفس كريمة فلم ينتم لحزب الدين وجل غرضه اظهار افضلية الدين الاسلامي على سائر الاديان وعلى الفلسفة خصوصاً

(مؤلفاته) ١ ـ احياء علوم الدين Renaissance des Scieoces Religieoses

٢ — مقاصد الفلاسفة ترجم الى اللاتينية بمعرفة بطرس لختنستين باسم Logica et Philosophia Algazalis Arabis وطبع

في فينّا سنة ١٥٠٤

٣ ـ تهافت الفلاسفة Destruction des Philosophes

توجد له ترجمة عبرية خطية في مكتبة فرنسا الوطنية .

٤ — المنقذ من الضلال Preservateur de l'erreur

وقد انتقد هذا الكتاب ابن رشد في مؤلفه الموسوم باسم نبذة على المدارس الفلسفية عندالعرب وعلى الخصوص على مذهب الغزالي . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٣

٥ — كتاب أيها الولد في الاخلاق — ترجمة ڤون هامر برجتل باسم O Kind وطبع في فينا سنة ١٨٣٨

٦ — ميزان العمل Balance des Actions ترجمه الى اللغة العبرية الحاخام ابراهيم ابن جداي . وكذلك ترجم الى اللاتنية بعنوان Compendium doctrinal Ethicæ وطبع في لبزج سنة ١٨٣٩

٧ — الوسيط في الفقه

٨ — معيار العلم

٩ — مشكاة الانوار

ثم كتاب الدرة الفاخرة Perle Precieuse ترجمه جوتييه وطبع في جنيفا سنة ١٨٧٨

(فلسفته) دينية تصوفية حسب شريعة القرآن . فلا يسلم بقدم العالم ولا بالانبثاق الفلكي الذي قال به ابن سينا ويقول

بضرورة العلم وتحكيم العقل في الامور العالمية بشرط ان تتصفى النفوس من ادران الغايات . وان أحسن طريق للحصول على سعادة الدارين ان ينقطع لذكر الله الى ان تفيض عليه الرحمة وينكشف له سر الملكوت

أما علم الاخلاق الذي علم به الغزالي فهو مزيج من العقائد القرآنية واليونانية والمسيحية . والمذهب التصوفي الذي أشير عليه به باعتناقه خليط من المذاهب الهندية ، ومحدثي الافلاطونيين والديانة المسيحية . وان المعرفة العادية تكتسب بواسطة الحواس والعقل اما المعرفة الحكمية فلا تنال الا بالهام الهي بواسطة الايمان والمجاهدة في الوصول الى هذا الانكشاف

***

أخذت الفلسفة عند العرب تتدهور وتتضائل امام طعنات الغزالي وكاد ينمحي أثرها في الشرق بعد ابن سينا ولكنها نهضت في الاندلس وكان لها شأن يذكر مع ابن باجه وابن طفيل وابن رشد .

٤٣ — ابن باجه

هو ابو بكر محمد بن بن يحيى المشهور بابن الصايغ ويدعوه الافرنج Avempace ولد في اسبانيا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري في مدينة سراقوسه ويقال انه مات في مدينة فاس سنة ٥٣٢ على أثر اكله باذنجانة مسمومة قدمها له طبيب حسود

كان وزيراً لابي بكر بن ابراهيم حاكم مرسيا . ثم سافر في طلب الفلسفة الي فلنسية وسراقوسه . ولما استولى الملك الفونس على هذه المدينة اضطر الى الرحيل الى كنيفا ونظراً لان فلسفته كانت مخالفة لروح التعليم الاسلامي طرح في السجن ولم يخرج منه الا بتوسط والد ابن رشد وكان قاضي قضاة المدينة .

يعد ابن باجه أول من ادخل الفلسفة في اسبانيا واثر تأثيراً فعليا على شهرة ابن الغزالى فرد للعقل مكانته السامية . والحكيم في نظره من يعتزل الجمعية البشرية ويعيش عيشة خاصة لان الحكماء هم وارثو الملكوت . وكمال النفس ان يعيش كل شخص بحسب المبادىء التي ذكرها في كتابه تدبير المتوحد Regime du Solitaire وفي رسالة الوداع Epitre d'Adieu وقد الف مؤلفات كثيرة اغلبها شروحات لمؤلفات ارسطو . وكتب أيضاً فصولا في سياسة المدينة والمدن وكتاب التجربتين على ادوية ابن وافد . واتصال الانسان بالعقل الفعال وله كلام في البرهان وبعض هذه الكتب موجود بمكتبة الاسكوريال

وقد عرف الافرنج ابن باجه من كتابة تلميذه ابن رشد عنه

٤٤ - ابن طفيل

هو ابو جعفر محمد بن عبد الملك القيسى ولد في برشنا

Purchena احدى مدن الاندلس في اوائل القرن الثانى عشر للميلاد ومات في مراكش سنة ١١٨٨

درس بجد الطبيعيات والعلوم الادبية وعين سكرتيراً لحاكم غرناطه وأهم مؤلفاته رواية حي ابن يقظان وخلاصتها ان حياً المذكور وجد في جزيرة جرداء فكان يتغذى بلبن ماعز وقد تمكن بملاحظته للظواهر الطبيعية الى اكتساب معارف عالية اتمها بالتأمل والتروي حتى توصل بهما الى اثبات وجود الله

وهذه الرواية ترجمها الى اللاتينية بوكوك باسم Philosophus autodidactus sive epistola abi Joafar Ibn Tofail de Hay ebn Yakzan وترجمها الى الانكليزية س اوكلي S. Ockley وطبعت في لوندره سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٣١ وترجمها الى الالمانية بريلينو وطبعت في فرنكفورت سنة ١٨٣٦ . وترجمها أيضاً أخهرون Eichhorn وطبعت في برلين سنة ١٧٨٢ ثم ترجمه أيضاً الى الفارسية والعبرية

— نج —

ابن رشد « ١١٢٦ — ١١٩٨ »

Averroes

هو ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد ولد في قرطبة من أسرة شهيرة بالاندلس كان جده فوالده قاضي القضاة

درس الفقه والشريعة على الاعشرية ومذهب الامام مالك — حاز شهرة عظيمة في الطب والرياضة والفلسفة وتقلب في عدة وظائف وأسس جملة مدارس وعين قاضي قضاة قرطبة . وقد بلغ أوج مجده على عهد يعقوب المنصور بالله . ولكن حساد شهرته وشوا به بانه يعتنق الفلسفة المخالفة للدين الاسلامي . فعقد المنصور مجلساً من مشاهير قرطبة وحكم عليه بالنفي في مدينة لوسانيا غير ان مدة نفيه لم تطل اذ عفى عنه المنصور ومات في ١٠ ديسمبر سنة ١١٩٨ (٩ صفر سنة ٥٩٥ هـ)

وكان أشهر تلاميذه موسى بن ميمون فيلسوف اليهود

اشتهر ابن رشد في العالم اللاتيني بطبه وفلسفته الارسطوطاليسية غير ان شهرته من الوجهة الثانية كانت الغالبة ولقد تمشى الخطأ زمناً ما من ان ابن رشد مترجم ذلك

الفيلسوف اليوناني لان ترجمات مؤلفات ارسطو كانت معروفة قبل ابن رشد باجيال ثلاثة وقد قام باغلبها العلماء السوريون والكلدانيون واخصهم الاطباء النساطرة

(مؤلفاته) كثيرة ويصعب تعدادها فمن ذلك كتاب الكليات وهو مؤلف طبي ذو سبعة أجزاء . وكتاب مختصر المجسطي . وله أيضاً كتاب ممتع في الفقه . هذا فضلا عن شروحاته لكتب ارسطو وهي على ثلاثة انواع : مطول ووسط ومختصر

وأغلب مؤلفاته مترجمة الى اللغتين العبرية واللاتينية ويندر وجود نصها العربي

(فلسفته) كان الفلاسفة العرب يبذلون عنايتهم في اثبات خلقة المادة وحدوثها من العدم . ووجود اله منفصلا عن الكون ويهيمن عليه بافعاله . وان الذات العلية علة الموجودات كلها

اما ابن رشد فقد خالفهم في حدوث العالم وقال بقدمه أي بازليته . وهذا الكون يتضمن جميع الصور بالقوة فيظهرها للوجود المحرك الاول ولذلك اصبح العالم الذي نرى كائناته الآن نتيجة تلك الحركات . والمحرك الاول يحرك الفلك الاول وهذا يوصل الحركة الى الكواكب السيارة الى ان تنتهي الى فلك القمر الذي يحركه العقل البشري . ولكل فلك عقل . أما العقل البشري

(الفعال والمنفعل) فله صورة واحدة ابدية غير قابلة للفناء ومنفصلة عن الاشخاص . وبواسطته تتصل النفوس البشرية بعقل العقول .

وقد ميز ابن رشد كارسطو بين العقل الفعال والعقل المنفعل فالاول يتجرد عن كل اتصال بالهيولي . والثاني خاص بالاشخاص وقابل للفناء كسائر القوى النفسية المتغيرة والمعرفة لا تدرك الاباشتراك العقلين فالعقل المنفعل يسعى للاتصال بالعقل الفعال كما تستلزم القوة الفعل وكما تحتاج الهيولى للصورة . ومتى تم الاتصال ادرك الانسان معرفة الاشياء وفهمها بالحالة التي هي عليها .

فنظرية الاتصال التي كانت مدار الفلسفة النفسية الشرقية جردها ابن رشد من مظهرها الصوفي الاسلامي . اذ قال ان الاتصال بالله لا يصير الا بالتعليم وبهذا يتزحزح النقاب الذي تتقنع به حقيقة الكائنات وتتجلى له الالوهية بمظهرها الباهر

وتؤدي فلسفة ابن رشد الى المذهب المادي والحلول فينكر البعث والحياة الاخرى ويقول ان الانسان بجسمه يفنى اما الانسانية المطلقة فباقية خالدة .

وهو لا يسلم بان الانسان مسير في افعاله الاخلاقية وان الخير ليس موكولا لارادة الله بل لحرية الانسان والا لما كان للظلم والعدل معنى . وهو لا يعطي للانسان الحرية الكاملة في الارادة والعمل بل جعلها وسطا بين الجبر والاختيار . اي انها من الوجهة النفسية

مطلقة ولكنها مقيدة بالظروف الخارجية والمؤثرات العرضية .

هذا هو رأي الفيلسوف القرطبي ومن الواضح ان مذهبه الديني على نقيض جميع الشرائع السماوية

- ٦ -

الفلسفة اليهودية

كان للمذاهب اليونانية تأثير عظيم على الفلسفة اليهودية وقد انتقل هذا التأثير بواسطة فلاسفة العرب

وأول فيلسوف يهودي عرف في هذا العصر هو سعجه Saadja (٨٩٢ — ٩٤٢) الذي ولد في القطر المصري وألف كتاب الايمان والمعرفة

ولكن لم يتمتع فلاسفة اليهود بحرية الفكر الا في اسبانيا ايام حكم المسلمين. واثنان من أولئك الفلاسفة يستحقان ان ننوه بذكرهما وهما ابن جبرول وموسى ميمون

فالاول يدعى سليمان بن جبرول ويذكره الافرنج باسم Avicebron (١٠٢٠ — ١٠٧٠) امافلسفته فمصبوغة بالافلاطونية الحديثة ومشروحة في مؤلفه « جوهر الحياة » وتتلخص في القول بالحلول وتعدد الصور والهيولى في الكائنات الخاصة

وموسى ابن ميمون (١١٣٥ — ١٢٠٤) ويعرفه الافرنج باسم Maimonides ولد في قرطبة في ٣٠ مارس سنة ١١٣٥ ومات في فسطاط مصر في ١٣ دسمبر سنة ١٢٠٤

كان ابوه قاضياً مشهوراً . ولما اضطهد المسلمون اليهود والمسيحيين مخيرينهم بين اعتناق الاسلام أو المهاجرة اضطر موسى لان يعتنق الاسلام في الظاهر زهاء ستة عشر عاماً وعند ما بلغ الثلاثين من عمره رحل الى افريقيا فاقام في فاس سنة ١٢٦٠ وفي فلسطين سنة ١٢٦٥ ثم جاءالى الفسطاط (مصر القديمة) واستوطنها وكان يتاجر في الاحجار الكريمة . ثم فتح مدرسة يعلم فيها اللاهوت والفلسفة والطب وكان طبيباً محبوباً لدي الفاطميين محترماً من اليهود والعرب معاً

(مؤلفاته) اكثرها طبية وقد فقدت أما أهم كتبه الفلسفية فهو كتاب « دليل الحائرين » كتبه بالعربية . وترجمه صمويل بن تيرون الي العبرية باسم «موريه نبوخيم » وطبع سنة ١٤٨٠ ثم ترجمه جاك منتينو الى اللاتينية

أما النص العربي فقد طبع للمرة الاولى مع ترجمته الفرنساوية وتعليقات عليه بمعرفة مونك باسم Guide des egares

لم يكن موسي بن ميمون مبتكراً بل فضله في حثه ابناء جلدته لدراسة فلسفة ارسطو وبواسطتهم نقلوا العلوم العربية

الى أوربا المسيحية

وكتابه دليل الحائرين ألفه لاولئك الذين لم يستطيعوا ان يوفقوا بين نصوص التوراة والحقائق العقلية وفيه يشير الى ترك تفسير الكتاب الحرفي ويعتقد ان الله خلق هيولى وصورة العالم من العدم . اما تحديد الالوهية فغير مستطاع لان الله فعل مجرد ارقى من كل الكمالات التي نصفه بها

ورأيه الخلقي . ان الانسان يريد الخير والشر بحرية كاملة وهو انما يعمل الخير لمنفعته ولان ذلك أيضاً يرضي الله وزلفى اليه . اما مسألة البعث فموكولة للايمان الديني لان العقل لايستطيع انكاره او اثباته

ويرجع اليه الفضل في تحرير عقول اليهود من التمسك بترجمة التوراة والتلمود ترجمة حرفية

المدة الثانية

العصر المدرسي الذهبي

الجيل الثالث عشر

- ١ -

كان الجيل الثالث عشر العصر الذهبي للفلسفة المدرسية اذ فيه بلغت اوجها . ويرجع ذلك الى اسباب كثيرة منها :

أولاً : الاطلاع على المؤلفات اليونانية والعربية وترجمتها الى اللاتينية . واشتهر بين المترجمين هنري دي برابنت وغليوم دي مربيك كما ان المطران رايمون افتتح في « توليدا » مدرسة للترجمة فنقلت من العربية الى اللاتينية مؤلفات ارسطو والكتب العلمية امثال مؤلفات بطليموس وجالينوس كذلك مؤلفات فلاسفة العرب السابق ذكرهم في المدة الاولى

وقد سببت هذه المؤلفات اضطراباً في الافكار ، وعلى الخصوص بعض كتب ارسطو لانهم كانوا ينظرون اليها بعين لا تتلاءم مع الدين المسيحي فقرر مجمع باريس سنة ١٢١٠ منع تدريس العلم النظري وشروحات ابن رشد وقرر هذا الحرمان القاصد الرسولي روبرت دي كورسون سنة ١٢١٥ ولكن لم يمض زمن حتى تعدلت الافكار بخصوص الفلسفة المشائية فسقطت

تلك التحريمات وقررت كلية الفنون رسمياً سنة ١٢٥٥ تدريس العلم الطبيعي وعلم ما وراء المادة .

ثانياً : انشاء الجامعات فتأسست جامعة باريس في اوائل الجيل الثالث عشر وضمت تحت لوائها جميع مدارس العاصمة وتفرعت الى اربع كليات (١) اللاهوت (٢) الفلسفة والفنون (٣) الطب (٤) الحقوق . وفي أواسط ذاك الجيل ارسلت الجامعة من قبلها مدرسين لجامعة اكسفورد وسنّت لها نظامها

ثالثا : تنظيم التعليم فكان على ثلاثة درجات (١) بكالوريا (٢) ليسانس (٣) أستاذ

وكان التعليم على نوعين : محاضرات يلقيها الاستاذ ويشرح ما غمض منها . أو المناقشة على طريقة السؤال والجواب

وكان التعليم حراً وللطالب ان يختار الاستاذ الذي يريد تلقي العلم والانتساب اليه

رابعا : انشأ الجمعيات الدينية فتأسست في باريس رهبنة الدومنيكان سنة ١٢١٨ ورهبنة الفرنسكان ١٢١٩ وقد توصلت الرهبنتان الى الحصول على وظائف التدريس في الجامعة واتسع نفوذهما شيئاً فشيئاً حتى اصبح ثلاثة ارباع المدرسين منهم وتخرج على ايديهم اشهر دكاترة الجيل الثالث عشر

خامسا : (السوربون) . لقد أنشئت عدة مدارس أهلية على مثال الجامعات الرسمية . واشهر تلك المدارس تلك التي أنشأها

روبرت سوربون سنة ١٢٥٣ لتخريج رجال الدين والوعاظ ومفسري الكتاب المقدس ، وكانت ابواب الكلية مفتوحة للجمهور .

وبين الذين اشتهروا من فلاسفة هذا الجيل

اسكندر دوهاليس Alexandre de Hales

لم نعلم شيئا عن سني حياته الاولى وهو انكليزي الاصل قدم باريس ليتلقى فيها العلم ثم انتظم في سلك الرهبان الفرنسكان سنة ١٢٢٢ وعين استاذاً للفلسفة في الجامعة سنة ١٢٣١ وكان يلقب بالمعلم الذي لا يعارض . وفي تعليمه كان يمزج الفلسفة باللاهوت والف كتابا سماه « المجموع » مقسم الى اربعة أقسام تكلم في الاول عن الله ، وفي الثاني عن المخلوقات ، وفي الثالث عن الكنيسة وفي الرابع عن الغايات الاخيرة

واغلب المؤلفين في الجيل الثالث عشر كانوا يتبعون هذا التقسيم في مؤلفاتهم .

وكانت طريقته الجدلية لا غبار عليها . فيذكر في كل قضية الادلة المؤيدة لها والتي تنفيها ثم يستخلص الحل الذي يجمع الكل عليه انه الصحيح

وكانت الفلسفة المشائية عمدته في ارائه كما انه لم يهمل الاخذ

بشروحات العرب واخصها شروحات ابن سينا وكان ميالا الى التسليم بالمذهب الواقعي بدون ان يلتفت الى نتائجه المضرة .

ومات دوهاليس في ١٥ أغسطس سنة ١٢٤٥

غليوم دوفرني Guillaume d'Auvergne

كان اسقفاً لباريس سنة ١٢٢٨ واستمر فيها حتى وفاته سنة ١٢٤٨ والف كتاباً مشابهاً « لمجموع » دوهاليس أظهر فيه كل حكمة وتروي قضت بهما ضرورة هذا الجيل الفكرية . ولذلك كان يحبذ مذهب ارسطو ببعض تحفظ . ودرس أيضاً مؤلفات العرب وساعد في نشرها واطلاع الباحثين عليها . غير انه كان يقع في التناقض أحيانا عند ما دافع عن حرية الانسان ضد المذهب الجبري

اما الراهب الدومنيكاني فنسان دي بوفيه الذي كان تابعا للملك لويس التاسع فلم يكن فيلسوفا بالمعنى الصحيح وانما يعزى اليه انه قسم العلوم الى ثلاثة اقسام : العلم الطبيعي ، والعلم النظري والعلم التاريخي

وهو الذي اثبت ان ارسطو كان تصوريا أي وسطا بين الاسميين والواقعيين وترجم أيضا بعض الاصطلاحات الفلسفية

التي وردت في المذهب المشائي . ومات سنة ١٢٦٤

٤٨

البير الكبير (١٢٠٥ — ١٢٨٠) Albert Le Grand

هو الابن البكري للكونت دي بولستاد صديق الامبراطور فريدريك الثاني

ولد في لنجين احدى مدن دوقية سواب بجرمانيا وارسله ابوه لتلقي العلم في بدوا بايطاليا ثم انتظم في سلك الرهبان الدومنيكان سنة ١٢٢٣ وقام بالتعليم الديني في عدة مدن منها كولونيا وراتسبون وستراسبورغ ثم قدم باريس مع تلميذه القديس توما ومكث فيها ثلاثة سنوات من سنة ١٢٣٥ الى سنة ١٢٤٨ وقد دعي لان يسام اسقفا لراتسبون فرفض حتى لا تشغله الرتبة الكهنوتية عن العلم ولبث في ديره ولم يتركه سوى مرة واحدة عام ١٢٧٧ حيث قصد باريس ليناضل عن تلميذه القديس توما ضد بعض منتقديه . ومات سنة ١٢٨٠ بالغا من العمر ٧٤ عاما وقد طوبته الكنيسة الكاثوليكية في ٢٧ نوفمبر سنة ١٦٢٢

كان البير الكبير واسع العلم كثير الاطلاع حتى عد ساحراً

كجربرت وكان خبيراً بجميع المعارف كالفلك وتخطيط البلدان وطبقات الارض وعلم المعادن والكيمياء والطب . ومطلعا على الكتب الفلسفية اللاتينية والعربية من متن وشرح ، وترك لنا مؤلفات كثيرة جمة وجمع معلوماته كلها في دائرة معارف مرتبة ومبوبة في ثلاثة ابواب : العلوم المنطقية والطبيعية والادبية

كان مذهبه واقعيا وفلسفته مشائية وتمكن من ادخالها في المدارس بقوة نفوذه وتأثيره .

يرى ان النفس جوهر الجسم أي القوة الفاعلة فيه وعنصره الحيوي • ولم يبد فكره فيما اذا كانت النفس اتحدت بالجسم مباشرة أو بالواسطة . وقد ميز بين القوى وقسمها الى ثلاثة أنواع (١) القوة النباتية للتغذية والنمو والتناسل (٢) القوة الاحساسية • و (٣) القوة الفكرية . ويعتقد بخلود النفس • ولكنه لم يفصل القوة الفكرية كارسطو • ولا القوة الارادية كأغسطينوس • اما في العلم النظري والطبيعي فيرى ان الهيولي الاولي لا تنفعل انفعالاً مجرداً بل تتضمن في ذاتها بذور التوليد على اشكال غير تامة تتحد بها بالتفاعل الطبيعي فتكون من ذلك الاجسام — وفي قضية الكليات يميل الى المذهب الواقعي المعتدل ويقول ان الملائكة مكونة من صورة خاصة ومن جوهر واحد يدعوه (fundamentum) وهو يميل الى الرأي القائل بان الخليقة حدثت من العدم — ويدحض نظرية « الصدور »

لابن جبرول

٤٩

القديس توما الاكويني (١٢٢٧ — ١٢٤٥)

St.Thomas d'Aquin

أما حكمنا على اشهر تلاميذ البير الكبير فيجب التحفظ فيه . ذلك لان حياته واعماله جديرة بالاعجاب العظيم . ويصعب تصور كيف امكنه في وقت وجيز ان يسطر المؤلفات العديدة في شتى المواضيع التي عالجها بدقة نظر وفهم صحيح ، بيد ان عجبنا ليزول اذا نظرنا الى ما آتاه فلاسفة العرب من الشروحات المطولة والمؤلفات الكثيرة التي دبجوها والجلد العظيم الذى اظهروه في كتابة المجلدات الضخمة .

ولد توما حوالي سنة ١٢٢٧ في بلدة اكوينو بضواحي نابلي من عائلة شريفة وتلقى علومه على الرهبان البنادكتيين وفي جامعة نابولى ثم اندمج في سلك الرهبان الدومنيكان سنة ١٢٣٣ بالرغم من معارضة والده الشديدة فارسله رئيس الرهبنة للدرس في كولونيا حيث تتلمذ لالبير الكبير من سنة ١٢٤٥ الى سنة ١٢٥١

ثم قصد باريس فنال من جامعتها درجة بكالوريوس وصار يعطي دروساً عمومية .

وكانت الجامعة في ذلك الحين في جدال حاد مع المدارس الدينية المزاحمة لها ، فاخذ البير الكبير والقديس توما وبونثنتورا يناضلون ضد سنتامور رئيس الجامعة واستمر الجدال سجالا فتداخل البابا اسكندر الرابع في الامر وطوعا لرغبته منحت الجامعة في ٢٣ اكتوبر سنة ١٢٥٧ لقب استاذ لكل من القديسين بونافنتورا وتوما

وبعد ان علَّم صاحب الترجمة عدة سنين في مدارس ايطاليا عاد الى فرنسا وعلَّم فيها اللاهوت زهاء العامين وكان عضدا قوياً للحركة التي قامت ضد تعاليم بن رشد التي ادخلها دي برابنت في المدارس الباريسية

وفي يناير سنة ١٢٥٤ دعاه البابا جريجوار العاشر ليشترك في مجمع ليون وفيما هو ذاهب اليه اعتراه مرض اقعده عن متابعة سيره ولم يأت يوم ٧ مارس من السنة المذكورة حتى وافاه القدر المحتوم بالغا من العمر ٤٨ سنة

وقد منحه البابا يوحنا الثاني والعشرين لقب قديس سنة ١٣٢٣ ولقبه البابا بيوس الخامس سنة ١٥٦٧ « المعلم الملائكي »

(فلسفته) ان فلسفة القديس توما كفلسفة البير الكبير صورة منقولة عن فلسفة ارسطوا كما فهمها من الترجمات اللاتينية للترجمة العربية وهذه الفلسفة مبينة في مؤلفاته وعلى الخصوص في مجموعتيه : (المجموعة ضد الامم) والمجموعة اللاهوتية وهذا الكتاب الاخير منقسم الى ثلاثة أجزاء تبحث في الله ، وفي الانسان والوسيط ، والمسيح عيسى

اهتم أولا بالتوفيق بين العقل والايمان فيقول ان الحقيقة التي هي غرض المعرفة اما ان تكون فوق متناول العقل البشري فلا تدرك الا بالهام لاطبيعي اي بالايمان . واما ان تكون مناسبة لكفاءة الانسان الطبيعية فيكون للعقل وحده قوة ادراكها كوجود الله وأحديته وصفاته والخليقة من العدم . وحرية النفس البشرية وروحانيتها وخلودها

وارتباط الفلسفة باللاهوت متباين لان غرض الاولى الحقائق المادية التي يدركها العقل وطريقه اليها البرهان . اما غرض الثاني فالحقائق النظرية الفائقة الطبيعة وهي الموحى بها من الله وطريقها التسليم بالوحى

كذلك يجب ان لا تخالف الفلسفة الدين في المواد المشتركة بينهما كوجود الله وأحديته وروحانية النفس الخ فهي مسائل موحى بها ويستطيع العقل حلها طبقا للوحي لان مصدرهما واحد وهو

الله موجد العقل ومانح الوحي ومن المحال الظن بخطأ الله

كذلك سائر نظريات ارسطو فهو يسلم بها كاثبات وجود الله من الحركة . ويقول ان كل موجود مؤلف من صورة وهيولي فصورة أي فرد انساني تختص بالجنس البشري وتتخذ منه الصفات العامة . واذا طبقنا هذه الصورة على أي مادة معينة وقلنا عن أي جسم مؤلف خاصة بكيفية دون أخرى ان هذا المركب ليس هو الانسان على وجه التعميم بل هو زيد أو بكر بالتخصيص

ولكن قد يعترض بان هذ الجسم لا يمكن تخصيصه الا اذا تميز بصورته والا لما صار زيداً أو بكراً من الناس بل هيولي بكل معنى الكلمة بدون ان تتميز الصورة وبذلك لن تحل مسألة التخصيص الشخصي individuation

فاجاب القديس توما على هذا الاعتراض بان تميز الاشخاص هو اثر من الخلقة أي من ارادة الله الذي شكل المادة بالاشكال المتكون منها العالم . فكأن التخصيص نشأ من الصور التي تعين للمادة ان تتشكل بها

بقي معرفة ما اذا كانت المادة يمكنها قبول هذه التخصيصات أو ان التعيين المذكور موجود في ذاتها ومضطرة للتشكل به

هذه مسألة شغلت الفلسفه ولا زالت ولن تزل شغلها

اما في علم الاخلاق فالقديس توما يذهب الى ان الله هو الخير الاعظم . والحرية التي أوجدها الله في الانسان تسمح له ان

يعمل بتعقل للاقتراب والدنو من ذاك الخير في هذا العالم

ويظهر من ذلك ان هذا القديس جعل لنا كفائة لعمل الخير أكثر مما تصرح به النظرية الفسطينية وهو في الوقت نفسه جعل للحرية الالهية حداً ولقد قام الجدال بهذا الشأن بين انصار القديس توما وبين انصار دنس سكوت أي بين الدومنيكان والفرنسكان .

٥٠

دنس سكوت (J. Duns Sco)

ولد في البلاد الانكليزية في السنة التي توفي فيها القديس توما أي عام ١٢٧٤ ومات في كولونيا سنة ١٣٠٨ بالغا من العمر ٣٤ عاماً .كان راهبا فرنسكانيا اشتهر بتعليمه في جامعة اكسفورد ثم شخص الى باريس لينال من جامعتها اجازة الدكتوراة في اللاهوت سنة ١٣٠٤

وبواسطته عاد مذهب الواقع الى الظهور بشدة ولكنه لم يقع في نتائجه الحلولية بفضل تمسكه بالايمان اليقيني . وبالرغم عن قصر حياته فانه كتب عدة مجلدات باللغة اللاتينية

وقد كانت فلسفته مخالفة في كثير من المواضع لفلسفة البير

الكبير والقديس توما وبشأنها احتدم الجدال بين رهبنتي الفرنسكان والدومنيكان اذ كانت كل رهبنة تعضد فلسفة زعيمها وتسفه رأي خصمه . وقد كان أهم الخلاف في قيمة العقل فضيق دائرته واعطى الاسبقية للقوة الارادية على القوة الفكرية . ومن رأيه ان العقل لا يستطيع باي حال اثبات خلود النفس ولا يمكنه ان يعرف عن يقين اذا كان الله هو غاية الانسان الطبيعية ولذلك يجب ان تكون الفلسفة خاضعة للدين وان اللاهوت هو قبل كل شيء علم عملي وأخلاقي

اما فلسفته بوجه عام فهي مشائية كفلسفة القديس توما مع اختلاف بينهما في بعض المواضع ويرجع هذا الاختلاف الى الوجهة التفسيرية التي يتخذها كل واحد منهما

٥١

الصوفيون

اشتهر في الجيل الثاني عشر المذهب الصوفي الذي يزعم ان جميع القضايا التي يختص العقل بحلها . يجب تركها للوجدان .

وكان زعيما الصوفيين في ذلك العصر الراهبين هوج وريشار من دير القديس فكتور بباريس فكانا مثال التقوى والتواضع

ولد الاول سنة ١٠٩٦ في هرتنجان بمملكة ساكس تلقى دروسه في أحد الاديرة ثم اضطر لترك مسقط رأسه بسبب الحرب ودخل دير سان فكتور ولم يلبث ان تولى التعليم فيه سنة ١١٢٥

والذي يهمنا من صفاته فلسفته التصوفية. قال ان للنفس قوى ثلاث اصلية : (١) قوة طبيعية ومركزها الكبد و (٢) قوة حيوية ومقرها القلب و (٣) قوة نفسية أو حيوانية ومركزها المخ . وتصدر عن القوة الاخيرة الحركة والاحساس والفكر . ولا يوجد في الانسان سوى عنصر واحد للحياة يسمى الروح اذا نظر اليه مستقلا عن الجسم، ويدعى نفساً باعتبار حلوله في الجسم وسبب الحركة الحيوية — اما النفس والجسد فجوهران مختلفان لكنهما متحدان، ورابطة هذا الاتحاد التخيل والاحساس

وأما ريشار فاسكتلندى الاصل تتلمذ لهوج وقد ولد سنة ١١٣٦ ومات سنة ١١٧٣ كتب جملة مؤلفات في المذهب الصوفي وفي مصادر المعرفة (التجربة والعقل والايمان) وتكلم عن الطبيعة والصفات الالهية

غير ان أشهر الصوفيين هو بلا مراء يوحنا الملقب بالقديس بونافنتورا ولد سنة ١٢٢١ في مقاطعة توسكانا (بايطاليا) واندمج في سلك الرهبنة وهو شاب . ثم قصد باريس سنة ١٢٤٣ ليتعلم اللاهوت على اسكندرد وهاليس وحاز سنة ١٢٤٨ اجازة الليسانس للتدريس وتألفت بينه وبين القديس توما صداقة متينة . ثم انتخب رئيساً للرهبنة سنة ١٢٦٠ ومنح لقب كردينال واسقف البانو سنة ١٢٧٣ ثم مات في السنة التالية اثناء انعقاد مجمع ليون المسكوني . وكان يلقب بالمعلم السرافيني

ألف القديس بونافنتورا مؤلفات كثيرة بعضها فلسفي وبعضها لاهوتي وفلسفي معاً ولكن اهمها كتاب طريقه لمعرفة الله

Itinerarium mentis in Deum

كان متشيعاً لمذهب القديس اغسطينوس وهو يعتبر ان افلاطون كان حكيما . وارسطو عالماً . والقديس اغسطينوس جامعاً بين الحكمة والعلم

ومع تشيعه ذلك، لم يكن متعصباً لفكره بل كان يوفق بين العقيدة الاغسطينية والمذهب المشائي . تاركاً لمعارضيه الحرية الفكرية التي جعلها مبدأ له حيث قال « اني في المسائل الصعبة المشكوك فيها التي لم استطع اكتشاف صحيحها من فاسدها ووجدت الاختلاف بين العلماء بسببها قد اتخذت لي رأيا خاصا بدون ان احتقر أو أسفه رأي الآخرين »

(فلسفته الخاصة) : يرى ان العقل ولو أن متناوله محدود لا يستطيع ادراك الاسرار الدينية الا ان في مقدرته ادراك الحقائق الاولية كوجود الله

وبينما انصار المذهب الاغسطيني لا يفرقون بين النفس وقواها مخالفين في ذلك مذهب القديس توما . نرى القديس بونافنتورا يتخذ رأياً بين المذهبين، ويتبع ارسطو في انكار وجود معاني غريزية من أصل الخلقة . ولكنه يعترف بوجود عادة عقلية

يدعوها Naturale Judicatorium . وينتمي لاغسطنيوس في قوله ان القوة الارادية اشرف من القوة الفكرية . ثم يقول بتعدد الصور الجوهرية في الانسان

كما ان في العلم النظري يميز بين الهيولي والصورة في جميع المخلوقات وحتى في الملائكة أيضاً. وهذه النظرية «الايليمورفيه»(١) أخذها عن ابن جبرول اليهودي

كذلك يرى رأي اسكندردوهاليس في تعدد الصور الجوهرية ليس فقط في الاجسام المختلطة (العضوية والغير عضوية) بل وأيضا في العوامل المكونة للطبيعة فلا يوجد فرق بين الجوهر النوعي والجوهر الفردي . والاصل المميز لشخص عن شخص آخر يصدر عن الهيولى والصورة معا

اما فيما يختص بالمعاني الكلية العامة فهو ينتمي لرأي ارسطو مخالفا افلاطون

٢ح - المنشقون

انشق عن الفلسفة المدرسية التي كانت متبعة في الجيل الثالث

(١) هذه اللفظة مشتقة من كلمتين يونانيتين ايلي أي هيولى . ومورفي أي صورة)

عشر بعض المفكرين الاحرار اذ مزجوها بعقائد متفرقة لا تجانس بينها .

وأشهر من شذ : روجيه باكون . ورايمون لول .

روجيه باكون (١٢١٠ — ١٢٩٤) Roger Bacon

ولد بألشستر بانجلترا وعكف منذ صغره على تعلم اللغات والعلوم في جامعتي اكسفورد وباريس وحاز من هذه الجامعة الاخيرة اجازة الدكتوراه ثم علم فيها سنة ١٢٤٥ وتعرف بعلماء عصره وبعد بضعة سنوات انتظم في الرهبنة . ونظراً لانتقاداته المرة على الفلسفة المدرسية نبه عليه رؤساؤه ان لا ينشر كتاباته في الخارج ولكن لحسن حظه ارتقى صديقه « جي دي فولك » السدة البابوية باسم اكليمنضس الرابع وبعث اليه برسالة حبرية يطلب فيها منه « ان يرسل له صورة من مؤلفه رغما عن كل تنبيه صدر أو يصدر اليه من رؤسائه .

فانتهز باكون هذه الفرصة وكتب مؤلفه « Opus Majus » وارسله الى البابا سنة ١٢٦٧ مع تلميذه يان دي باريس

وما كاد البابا ينتقل الى جوار ربه حتى نال المترجم سخط وغضب رؤسائه الذين لم يعبأ باوامرهم وقيل ان جيروم دسكولي رئيس الرهبان الفرنسكان حكم عليه بالعزلة الانفرادية . ومات في ١١

يونيه سنة ١٢٩٤ في الرابعة والثمانين من عمره

أما مؤلفه Opus Majus فكان مقسما سبعة أقسام تبحث في اسباب الخطأ . وعلاقة الفلسفة بسائر العلوم وعلى الخصوص باللاهوت . وفي اللغات ، والرياضيات والفلسفة الاخلاقية ، والنظرية وغيرها

وكان ينظر الى ارسطو كأمير الفلاسفة على الاطلاق ولكنه كان يرى الترجمات اللاتينية لمؤلفات ذاك الفيلسوف مشوهة بالاغلاط وتمنى لو امكنه ان يحرقها كلها

(مؤلفه) كان جل اهتمام باكون بالرياضيات وعلم الابصار والفلك وتقويم البلدان والكيمياء وعلم اللغات ، وكثيراً ماعاب معاصريه على اهمالهم الملاحظة والاختبار ، وقد اختص بعلم الابصار فشرح العين ووصف تأثيرات الانعكاس والانكسار وعرف خواص العدسات المقعرة والمحدبة ، واظهر فطنة وحذقا في اوجه القمر وسائر الظواهر الجوية وقال خرستوف كلمبوس في تبيان رسالته الى ملك اسبانيا انه انتفع باراء باكون فيما يختص بموضع الهند الغربية وقد ساعدته على اكتشاف امريكا ، ومما يدل على نبوغه وابداعه انه فكر قبل ستة اجيال بالاكتشافات العظيمة وتنبأ بحصولها كالسفن البخارية والسكك الحديدية ، والمناطيد الهوائية ، والنظارة الراصدة (تلسكوب) والنظارة

المكبرة (مكرسكوب) والسفر الجوى والكباري المعلقة الخ كما انه أيضاً كان ملماً باللغات اليونانية والعبرية والكلدانية واللاتينية وقارن بينها . وكان شديد اللهجة في نقده فلم يسلم منه كبار الفلاسفة كاسكندر دوهاليس . والبير الكبير . وغيرهم

(فلسفته) كان يسلم بوجود مادة روحية خاصة بالانفس وبالملائكة ، وبتعدد الصور . فهو بذلك يتفق مع المذهب الاغسطيني ومع الفلسفة المدرسية القديمة . ولكنه يختلف معها في كثير من المسائل فمنها :

١ً — انه يقول ان الصورة لا تعطي الهيولى شكلا . ولا الهيولى هي التي تشكل الصورة . انما هما تختلفان اختلافاً نوعياً وذلك بعكس الاعتقاد السائد من ان الهيولي واحدة بالعدد في سائر الموجودات

٢ً — بينما الفلاسفة المدرسيون يعترفون بفائدة الفلسفة وقيمتها الخاصتين بها مع خضوعها للايمان . كان باكون ينفي عنها أي فائدة ذاتية بل يجعلها خادمة (ancilla) للدين ليس الا ، وخطأ باكون نشأ عن اعتقاده ان الوحي هو الطريق الضروري الذي يوصل الانسان الى المعرفة والفلسفة

٣ً — يميز المدرسيون في القوة الفكرية العقل الفاعل والعقل المنفعل ولكن باكون ينفي ذلك ويقول ان العقل الفعال

ليس جزأ من النفس بل هو جوهر منفصل عنها يهبه الله لكل شخص وتتفاوت درجة استنارته في كل انسان

٤ — كذلك في درجات المعرفة الثلاثة (التقليد والتروي والتجربة) يذهب الى ان التقليد أقل درجة من التروي اذ كثيراً ما يكون مشوهاً بالاغلاط. كذلك التروي الصرف ويدعوه باكون (unda demonstratio) لا يؤدي الى المعرفة اليقينية التامة (non Plene certificat) للحقيقة المجردة اذ لم يستعن بالتجربة. والتجربة على نوعين: خارجية وباطنية. وهذه تنشأ بالهام الهي، ولها سبع درجات

أما ريموند لول (١٢٣٥ — ١٣١٥) Raymond Lulle

فولد في بلما في جزيرة ماجوركه. ونشأ في بلاط جاك الاول ملك اراجون وقضى شبيبته في اللهو ولكنه ماكاد يبلغ الثلاثين من عمره حتى عكف على تعلم العلوم واللغات وعلى الخصوص اللغة العربية ثم اعتنق الرهبنة وسافر جملة اسفار في أوروبا وافريقيا وجل غرضه تعليم اللغة العربية في جميع المدارس المسيحية والقضاء على مذهب بن رشد. وتبشير المسلمين بأنجيل المسيح.

وكثيراً ما جادل علماء المسلمين وقد استشهد بتعذيبهم له سنة ١٣١٥ في تونس.

(آراؤه الفلسفية) كان عدواً لدوداً لمذهب ابن رشد ومعتنقيه من مسلمين ومسيحيين، وبينما هؤلاء يقولون بحقيقتين متباينتين بمعنى ان ما هو حقيقي في الفلسفة يمكن ان يكون خطأ في اللاهوت والعكس بالعكس. فان لول اراد تحكيم العقل في كل شيء حتى في الاسرار الدينية الموحى بها التي اعتبرها المدرسيون فوق متناول العقل ويجب التسليم بها بالايمان ومن رأيه ان الايمان والعقل يتمشيان معاً بدون ان يختلطا كالزيت يطفو فوق الماء ولا يختلط به

كذلك يضيف لول حس سادس على الحواس الخمسة ويدعوه affatus ويستعمل للدلالة على الاشياء. وان الانسان مركب من جسم ونفس وروح • وان السماء ذات لها نفس محركة. وانه توجد صورة أولية مطلقة وعامة تأخذ عنها الاشكال الخاصة صورها، وهي باتحادها بالهيولى الاولى تكون الجوهر العام للعالم.

اما كتابة الفن الاكبر (Ars Magna) فهو عبارة عن آلة للفكر على نمط الآلة الحسابية توضح المعاني بدلاً من الاعداد والارقام . ويمكن للانسان بداهة ان يتبين جميع الصور التي يتخذها الفكر بطريقة صناعية

المدة الثالثة

٣

انحطاط الفلسفة المدرسية

الجيل الرابع عشر ونصف الخامس عشر

تسنمت الفلسفة الجدلية ذروتها في الجيل الثالث عشر ، عصر القديس لويس . ثم اذ بلغت اوجها اخذت تتدرج الى الانحطاط ويرجع ذلك الى الاسباب الآتية :

أولاً — (قلة النبوغ الشخصي) فكان الطلبة يتخرجون من الجامعات ويمنحون اجازاتها بدون عناء متبعين خطة واحدة وهي شرح المذاهب السالفة وتقييد الفكر بها .

ثانياً — (الاسراف في الجدل) فكانت البراهين المنطقية تستعمل في الجدل ليس كواسطة للوصول الى الحقيقة بل كغاية ، واكثر ما كان يدور الجدال في الالفاظ دون النظر الى المعنى المقصود .

ثالثاً — (الحروب المتواصلة) فقد ظلت مائة عام مع وجود الانشقاقات الداخلية وثورات الفلاحين على اصحاب القصور وتفكك اوصال الامبراطورية

ومع ذلك بينما كانت هذه الدلائل السيئة على وشك الظهور والجدال بين انصار دنس سكوت وانصار القديس توما قائما نهض لمناوأة هؤلاء واولئك الانصار : غليوم دوكام وتلميذاه دوران دي سان لورسين ، وبوريدان

غليوم دوكام (١٢٨٠ — ١٣٤٧) Guillaume d'Occam

ولد في أوكام بكونتية سوري (انكلترا) وسيم راهبا فرنسكانيا . تلقى العلم على دنس سكوت في جامعة باريس ثم تعين فيها مدرسا من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٣ ويظهر ان التاريخ يعيد نفسه : فكما انشق ابيلاردس على استاذه دي شمبو كذلك ناوأ اوكام استاذه سكوت . وكان أيضا معارضا للبابا بونيفاس الثامن ومتشيعا للملك فيليب الجميل

ولما كانت فلسفته مخالفة للتقاليد السياسية والدينية والفلسفية استدعي امام مجمع عقد في افنيون سنة ١٣٢٨ فلم يعبأ به والتجأ الى لويس ملك بفاريا وقال له هذه الجملة المشهورة « دافع عني بسيفك فادافع عنك بقلمي »

وكان منتصراً للمذهب « الاسمي » فيسلم بوجود جواهر شخصية . اما المعاني الكلية فليس لها وجود ذاتي بالجوهر

وقد دحض أيضا نظرية الاحساس . التي تذهب الى انه للتوصل الى المعرفة يقتضى وساطة الانواع Especes بين النفس والجسد : فالنوع المؤثر ينطبع على العضو الحساس والنوع المقوَّم هو ذات التأثير أو بالحري الصورة المتأثرة

ويقول ان في الانسان ثلاثة صور متباينة: الصورة الجسمية والنفس أو الصورة الاحساسية وهى ذات هيولى وحيز ، والنفس الاخرى او الصورة الفكرية التي لها مادة ولا حيز لها

وله رأي غير وجيه في السلطتين المدنية والدينية ويعطي التفضيل للاولى وان لها الحق في التداخل في الامور الدينية كما ان لكل واحد الطعن في احكام الرؤساء الدينيين حتى الحبر الاعظم ويمكن تسفيه رأيه اذا وجده ليس على جادة الحق

اما دوران Durand de St. Pourçain الملقب بالمعلم حلال المشكلات نظراً الى مهارته في حل جميع المسائل فكان اسقفاً لبوي ومو . مع انتمائه لآراء دوكام . كذلك بوريدان Jean Buridan الذي ولد في بيثون في أواخر الجيل الثالث عشر فتلقى العلم على دوكام في جامعة باريس ثم علم فيها نحو العشرين عاما ثم صار رئيساً لها سنة ١٣٥٨

ويعزى اليه المثل الشهير : وهو ان حماراً جائعاً وجد بين

حزمتين من العلف احداهما على يمينه والاخرى على يساره على بعدين متساويين فلم يقدر يميز أيهما يأكل وأيهما يريد وظل متردداً حتى مات جوعاً

ولا يتضمن الجيل الرابع عشر من الاسماء ما يستحق ان يدعي فيلسوفاً اللهم اذا استثنينا بيير دبلي **Pierre d'Ailly** (١٣٥٠ — ١٤٢٥) امين جامعة باريس ولقب بنسر فرنسا (**Aquila Franciæ**)

غير انه كان منطقياً بليغاً وانتدب مبعوثاً رسولياً الى المانيا ثم عين اسقفاً وكردينالا وترأس الجلسة الثالثة لمجمع كنستانس الاكليركي والسبب في شهرته عدم وجود انداد له

واخص تلاميذه جرسن (١٣٦٢ — ١٤٢٩) **Gerson** لعب دوراً مهما في ذلك الوقت المضطرب الا انه كان صوفياً كما كان الراهبان ايكار **Eckhart** وتولر **J. Tauler** غير ان تصوف هذين حلولي فاعتقدا ان الله حل فيهما وفي العالم وانهما في الله وقد يصيرا الهاً وان الامل في الحياة الاخرى والتدين والقداسة لا تؤثر على اعمال الانسان وارادته

المدة الرابعة

٥٤

النهضة

من نصف الجيل الخامس عشر الى السادس عشر

يبدأ هذا الزمن من اوائل النصف الاخير من القرن الخامس عشر بانتهاء حرب المائة عام على يد جان دارك وبسقوط المملكة الشرقية وعاصمتها بيزنطيه (القسطنطينية) في يد الاتراك سنة ١٤٥٣

وقد اصاب المؤرخون في اختيار هذا التاريخ حداً فاصلاً بين العصور الوسطى والازمنة الحديثة

فضلا عن ان ممالك أوروبا المختلفة قد تم تكوينها . فان حادثتين آخريين كان لهما تأثير كبير على الفكر الانساني وهما اختراع الطباعة واكتشاف خرستوف كولمبوس لامريكا في ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢

٥٥ - اليونان في ايطاليا

لم تبدأ الفلسفة الحديثة بالظهور الا في اوائل الجيل السابع

عشر بواسطة بيكون الانكليزي وديكارت الفرنساوى ولكن استيلاء العثمانيين على القسطنطينية كان السبب في مهاجرة العدد العظيم من علماء اليونان الى ايطاليا فحملوا اليها مؤلفات افلاطون واطلعوا اوروبا الغربية للمرة الاولى عليها كاملة .

وحقيقة الواقع كانت توجد علاقات بين رومة وبيزنطية قبل هذا التاريخ بزمن غير قصير . فقبل ان تحل الفاجعة بالامبراطورية الشرقية بخمسة عشر سنة حاول مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩ ضم الكنيستين اليونانية واللاتينية فلم يفلح الا ان بعض اليونان الذين جاؤا الى هذا المجمع ظلوا في ايطاليا واستوطنوها وكان بينهم بساريون وبليتون المتشيعان لمذهب افلاطون كما ان ارسطو لم يعدم انصاره من أولئك النزلاء مثل جورج دي تريبذون وتيودور غازا . ولذا قام المذهبان الافلاطوني والمشائي متناظرين في أرض ايطاليا

وكانت فلورنسا مركز النهضة الفلسفية وبعثت اكاديمية أثينا في هذه المدينة الزاهرة واشتهر منها مرسيل فيسين Ficin (١٤٣٣ — ١٤٨٩) وهو الذي ترجم مؤلفات افلاطون الى اللاتينية وشرحها بما ذهب اليه الاسكندريون ثم جان بيك ميراندول Mirandole (١٤٦٣ — ١٤٩٤) الذي كان ذا علم وافر واطلاع غزير ومعرفة باللغات الشرقية والف كثيراً من الكتب . أضف الى هؤلاء فرنسوا بتريتزي Patrizzi (١٥٢٩ — ١٥٩٧)

الذى صار من أشد انصار المذهب الافلاطوني بعد ان كان معجباً بارسطو .

أما المدرسة المشائية فكان ممثلوها اسكندر اشيليني من بولونيا واندرياسيزلبيني (١٥١٩ — ١٦٠٣) الذي شرح مذهب ارسطو على نمط ابن رشد ، وبيير بومبوناس Pomponace (١٤٦٢ — ١٥٢٥) الذي كان يفهم الفلسفة المشائية بحسب تفسير الاسكندريين وكريمونيني Cremonini (١٥٥٠ — ١٦٣١) الذي علم نحو الخمسين عاماً في فرارى وفي بدوا

كذلك المدرسة الفيثاغورية أحياها نقولا دي كوزا (Causa) الكردينال (١٤٠١ — ١٤٦٤) وحاول تفسير علم ما بعد الطبيعة بالاعداد واكد بالطرق العلمية حركة الارض حول الشمس ، اما المدرسة الحلولية فكان لها ممثل شهير وهو الراهب الدومنيكاني جوداني برونو (١٥٤٨ — ١٦٠٠) الذى هجر ديره وطاف في انحاء أوروبا عشر سنوات وقد القي القبض عليه في مدينة البندقية وحكم عليه بان يحرق حياً وتنفذ الحكم في روما سنة ١٦٠٠

وجاك بوهم (Boehm) (١٥٧٥ — ١٦٢٤) كان صانع احذية من مدينة جورلتز وقال ان النعمة الالهية حلت عليه ثلاث مرات وأوحي اليه ان يكشف للبشر سر جميع الاشياء وكان مذهبه حلولياً أورى فيه كيف تصدر جميع الاشياء عن الله واليه تعود

بنفس المعنى الذي شرحه هيجل بعد ذلك بقرنين

٥٦ - الاحرار والشكاك

كان الجيل السادس عشر زمن النهضة والاصلاح وعصر لاختبار حيث يعتبره المؤرخون تمهيداً للازمنة الحديثة وحيث تضاربت فيه الافكار المتباينة من خير وشر . ومن خطأ وصواب . .

وكان زعيما الحركة الدينية والحرية الفكرية لوتير (١٤٨٣ — ١٥٤٦ Luther وكلفين (١٥٠٩ — ١٥٦٤) Calvin فانهما قاوما السلطة الدينية التي كانت متسلطة على العقول والاذهان .

ونفضا عنهما غبار الاستكانة والتقليد . غير ان تاريخهما ليس من اختصاص هذا الكتاب وانما نوهنا بذكرهما هنا لانهما ايقظا الفكر من رقدة الغفلة والخضوع الاعمى . وكان للفلسفة حظا وافراً من هذا النشاط

وحذا حذوهما في حرية الفكر اراسم (١٤٦٧ — ١٥٣٦) في مؤلفه « مديح الجنون » وتوماموروس (١٤٨٠ — ١٥٣٦) في كتابه السياسي الانتقادي « الوهميات » اما راموس او بطرس الرامي (١٥١٥ — ١٥٧٢) فقد ناوأ المشائين ورشقهم بألسنة حداد حتى قام ضده اغلب الرأي العام فقضي عليه في مذبحة سنت برتلمي .

وجاء مونتاني (١٥٣٣ — ١٥٩٢ Montaigne ولخص في جملته « ماذا اعرف » الشك الروحاني في كتبه المشحونة بالحقائق وحذا حذوه صديقه وتلميذه شارون في انكاره معرفة حقائق الاشياء بالرغم عما كتبه في مؤلفه « الحكمة »

أما العلماء فقد ولوا وجوههم شطر الطبيعة ونخص بالذكر برنردينو تليسيو « ١٥٠٨ — ١٥٨٨ » Telesio من كلابريا فقد اوضح بجلاء ما هي الطريقة الحقيقية لدراسة العلوم وكمبنيلا « ١٥٦٨ — ١٦٣٩ » Campanella الذي قضى نحو السبعة وعشرين عاما في سجن نابولى فقد ألف كتاباً في « الفلسفة الحقيقية » تتشابه في التبويب والتنسيق بالمؤلفات الحديثة . وكذلك كتيبه « مدينة السماء « تضمن اراً جديرة بالاعتبار

ولكن اشهر علماء ذلك الزمن هم بلا مراء : كوبرنيك Copernic « ١٤٧٣ — ١٥٤٤ » كان عالماً فلكياً شرح النظرية الحقيقية لحركة الارض

كذلك جليلي « ١٥٦٤ — ١٦٤٢ » Galilée الشهير مخترع قوانين الثقل عضد كوبرنيك وانتصر له فكان جزاؤه الاضطهاد حتى اجبر على الرجوع عن رأيه . ووضعت له الصيغة التي بها يسفه رأيه فقالها ثم لفظ في ختامها هذه الكلمات الشهيرة « ومع ذلك فهي تتحرك » يعني الارض e pur si muove

وفي ذلك الوقت أيضا قام كبلر « ١٥٧١ — ١٦٣٠ » Kebler اشتهر بمؤلفيه عن « قوانين حركات الكواكب السيارة » وكانت ابحاثه في الفلك والطبيعة والميكانيك سائرة على القاعدة الاختبارية التي سيشرح نظريتها باكون في بدء العصور الحديثة

وانا لنختم ذكر هذا الزمن بذكر جان بودين « ١٥٢٠ — ١٥٩٦ » من دلفت بهولندا فالاول مؤسس العلم السياسي وراسم الخطة التي اتبعها مونتسكيو فيما بعد ومؤسس فلسفة التاريخ في كتابه الجمهورية — والآخر أول من كتب في حقوق الملل والدول في السلم والحرب

كل ما تقدم يدل على نضج الافكار ودنو امد جنيها بالرغم عن بقاء الفلسفة والعلوم مختلطة ببعضها زمناً ولكن اقترب العصر الذي انصرفت فيه الميول الى درس الاثار الطبيعية وظواهر الكون بطريقة تجريبية مباشرة مقترنة بالتأمل الفكري الشخصي بدلا من التقييد بالتقليد

القسم الثالث

فلسفة العصور الحديثة

٥٧

تحررت الفلسفة في العصور الحديثة من سلطة القدماء وانفسح امامها مجال التجربة والعقل ، وتاريخها في هذا العصر يبتديء من الجيل السابع عشر ولا يزال متمشياً مع العصر الحالى ، والنضال قائم بين المثاليين او العقليين وبين الحسيين او التجريبيين

ففي الجيل السابع عشر انتصر المذهب العقلي مع ديكارت ولم يكن يمثل الحسيين سوى جاسندى في فرنسا ، وبيكون وهوبز في انكلترا

وفي الجيل الثامن عشر انتقل المذهب الحسي مع فلسفة « لوك » الى فرنسا بواسطة «فولتير» وحل تدريجياً محل الفلسفة الديكارتية العقلية . غير ان هذا المذهب لم يتلاش بل انتقل الى المانيا بواسطة ليبنتز

وفي اواخر ذاك الجيل حصلت حركة رجعية ضد المذهب الحسي قام بها في انكلترا زعماء المدرسة الاسكتلندية « ريدوستوارت ميل وهملتون » ، وفي فرنسا دي بيران وكولاروز عماء المدرسة الانتخابية « كوزين . وجوفروا . وجوتييه » ، وقام بها في المانيا الفلاسفة كانت وفخته وشيلنج وهيجل

واستمرت هذه الحركة حتى منتصف الجيل السابع عشر ثم استعاد المذهب الحسي نفوذه في انكلترا بواسطة داروين وهربرت سبنسر وفي فرنسا بواسطة اوجست كونت ومدرسته الوضعية .

ومع كل ذلك كانت المذاهب المتعارضة تتنازل لبعضها البعض عن قسم من مزاعمها

وتنقسم الفلسفة في هذا الدور الي ثلاثة مدد مطابقة للثلاثة اجيال المذكورة أي السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر

المدرسة التجريبية

٥٨

بيكون (١٥٦٠ — ١٦٢٦) F. Bacon

ولد فرنسيس بيكون في ٢٢ يناير سنة ١٥٦٠ في لندن وكان ابوه اللورد نقولا بيكون وزيراً للعدلية مدة عشرين عاماً على عهد الملكة اليصابات

أتم علومه في السادسة عشر من عمره في كلية كمبردج ثم التحق بالسفارة الانكليزية في فرنسا . ولما مات أبوه ولم يترك له ثروة اضطر الى العودة الي لندن وانتظم في سلك المحاماة وعينته الملكة محامياً لمجلسها الخاص .

وفي سنة ١٥٩٢ أنتخب نائباً عن كونتية مدلكس في مجلس العموم . ولما ارتقى جاك الاول سرير الملك انفرجت ضائقته المالية اذ تمكن من اكتساب عطف الملك فتعين على التعاقب محامياً عن المملكة فدعياً عمومياً فعضواً في المجلس الخاص فوزيراً للحقانية وأخيراً مستشاراً خاصاً وكان ذلك سنة ١٦١٨ وقد منح لقب بارون فيرولام وفيكونت سنتلبان ، ورتبت له المرتبات واصبح ذا جاه ونفوذ ومال .

ماذا حدث حينذاك ؟

سلك سلوكاً عاد عليه وعلى الملك ونديمه بوكنجهام بالفوائد المالية التي أضرت بمصالح الامة . فثار عليه الرأي العام واتهمه امام البرلمان بالارتشاء وبيع المصالح العمومية لبعض المقربين

فحرصاً على شرف الملك لم يشأ المدافعة عن نفسه ولذلك حكم عليه بغرامة قدرها ٤٠٠٠٠ جنيهاً انكليزياً وبالسجن في قلعة لندن سنة ١٦٢١ ولكن الملك عفى عنه متجاوزاً عن السجن وعن الغرامة .

فتخصص بيكون اذ ذاك للبحث الفلسفي وظل الخمس سنوات الباقية من حياته مشتغلا بتأليف كتابه « الاصلاح الكبير » Instauratio Magna ، وكان يقسمه الي ستة أجزاء لم يتم منها سوى اثنين يصف في الجزء الاول أنواع العلوم وترتيبها . ويشرح في الثاني طريقته الجديدة Novum Organum معارضاً به كتاب ارسطو « الاسلوب » أما باقي الاجزاء فلم يتم تأليفها وتوجد شذرات منها خاصة بالعلوم الطبيعية كتاريخ الرياح . وتاريخ الحياة والموت . والكثافة والندورة . والعقل والخفة الخ .

كان بيكون متشرعاً . وسياسياً وخطيبا وكاتبا ومؤرخا وفيلسوفا . ونحن لا نتكلم عنه الا بصفته الاخيرة

فلسفته : أشهر نظريات بيكون ثلاث وهي (١) تقسيم العلوم (٢) اسباب الخطأ ، (٣) موضوع العلوم الطبيعية وطريقتها

(تقسيم العلوم) قسم بيكون المعارف البشرية الى ثلاثة اقسام كبرى وهي التاريخ والشعر والفلسفة . تبعا للقوى الثلاث المتميزة في الانسان وهي الحفظ . والتخيل . والعقل

﴿ فالتاريخ ﴾ ينقسم الى طبيعي والى مدني ، ويتضمن المدني تاريخ الادب والتاريخ الديني .

﴿ اما الشعر ﴾ فيقسمه بيكون الى قصصي ووصفي وحماسي ورمزي .

﴿ والفلسفة ﴾ لها أغراض ثلاثة : الله والطبيعة والانسان غير انه يضع العلم الطبيعي في الصف الاول لان الطبيعة تؤثر على الفكر البشري بشعاع مستقيم . ونعرف الله بشعاع منكسر ، والانسان بشعاع منعكس

فينبغي قبل كل شيء اصلاح الفلسفة الطبيعية أو بالحرى تأسيسها من جديد .

(اسباب الخطأ) اكبر حائل دون رقي العلم الطبيعي هو الاوهام او الاشباح التي يدعوها بيكون (idola) لانها تقف عثرة بين الفكر الانساني وبين حقائق الاشياء . وهي على اربعة انواع اوهام جنسية . ونوعية . وجمهورية . ومسرحية

فالاوهام الجنسية idola tribus هي التي تصدر عن طبيعة الانسان وتكون عامة بين الاسرة أو القبيلة أو النوع الانساني جميعه وبذلك يصدر الانسان حكمه على طبيعة الاشياء بحسب طبيعته هو وليس بحسب طبائعها

والاوهام الخصوصية idola Specus تابعة لكل شخص وما يتصف به من الاخلاق والأميال والشهوات ولكل واحد شبه مغارة فلا يدخل اليها نور الطبيعة الا منكسراً مضطربا

والاوهام العمومية idola fori تنشأ بواسطة الخطب والمنشورات فيظن الفكر انه يتصرف بالكلام مع انه خاضع له . فتارة تكون الالفاظ دالة على الاشياء الغير موجودة وتارة تكون المعاني التي تدل عليها تلك الالفاظ مشوشة مضطربة وقيلت صدفة

أما الاوهام المسرحية idola theatri فهي أوهام أوجدتها المذاهب والنظم الفلسفية المختلفة وقد دعاها بيكون «مسرحية» لانه يشبهها بروايات تمثيلية ابتكرها الفلاسفة ومثلها كل واحد منهم بدوره ، وهي على ثلاثة أنواع : عقلية صرفة ، واختبارية صرفة ، وتصوفية .

(موضوع العلوم الطبيعية) : متى تخلص العقل من جميع أوهامه أمكنه التخصص لدراسة الطبيعة . ولكن ما هو الغرض الذي يجعله نصب عينيه من هذا الدرس وكيف يصل اليه ؟

يتلخص رأي بيكون في ثلاث نبذات :

١ — غاية العلم التسلط على الطبيعة أكثر من تفهمها

٢ — لذلك لا يكون غرض الانسان معرفة العلة الغائية أو العلة الفاعلة ، انما مقصده ان يعرف قوانين الظواهر الطبيعية ي العلة المشكلة للاشياء

٣ — لا يمكن للعلم الوصول الى معرفة تلك القوانين الا بطريقة مغايرة تماما للاستنتاج السلوجسمي أي بطريقة استدلالية تجريبية .

يقصد بيكون بنظريته تأسيس العلم على العمل فيكون قوة وعلما . وبعد ان كانت الفلسفة القديمة غنية فقط بالالفاظ ستكون غنية أيضا بالافعال وتجعل الانسان ليس فقط معبراً عن الطبيعة بل مديراً لها أيضا .

ولكن ما الذي ينبغي معرفته لتسخير الطبيعة والتسلط عليها ؟

يكفي لذلك معرفة النواميس التي تهيمن على الطبيعة . فالمعرفة الحقيقية هي معرفة العلل vere Scire Per causas scire واصدق العلل هي الصورية المشكلة

ولا يوجد في الطبيعة سوى كائنات وظواهر فردية ؛ الا ان لهذه الكائنات صفات عامة وهذه الظواهر تحدث طبقا

لقوانين عمومية

فالمعرفة لا تبحث في الاشخاص انما موضوعها الصور الجوهرية للاشخاص . وليست هذه الصور خارجة عن الاشياء بل هي صفات عمومية ثابتة ، بوجودها أو بنفيها تتعين وجود أو عدم الظواهر المختلفة وخواصها

ولكل مادة صورة ليست الا حداً لمادة أعم منها بمعنى انه كلما كانت المادة الموجودة اسهل واعم كانت الصور المكونة لها بسيطة وعامة ويمكن تخيل صورة واحدة تعم كل الموجودات وتكون بمثابة علة لوجودها ولمادتها العامة

بيد ان بيكون يقول باغلبية وجود عدد من الصور من الدرجة الاولى Prima Classis يقارنها بحروف الهجاء ، وباختلاف تركيبها تتألف جميع الفاظ اللغة

فمعرفة الصور هي خلاصة العلم . وهذه المعرفة دون غيرها تبتكر جميع الموجودات التي يخيل الينا انها مختلفة

ومن رأيه أيضا ان لا معنى للصدفة أو الاتفاق حيث يقول « لا يوجد في العالم الطبيعي كبير أو صغير الا وله سبب ولا يوجد شيء في الوجود أشبه بجزيرة وسط المحيط لا اتصال بينها وبين اليابسة »

والطرق التي يجب ملاحظتها للوصول الى المعرفة ثلاثة

أولاً — الملاحظة والاختبار وقيد الحوادث كما تحصل وهذه

الظواهر المستجمعة هي مايدعوها بيكون instantia naturæ

ثانيا — ترتيب تلك الظواهر في جداول ثلاثة وهي جدول الحضور وجدول الغياب وجدول الدرجات

ومن أقوال بيكون ان العمل هو المقصد الاساسي للعلم وان المعرفة هي القدرة. والحقيقة بنت البحث الزمني وليست وليدة التقليد . وان العصر الذهبي نستقبله دائما لانه امامنا ولم نخلفه وراءنا فيكون العقل في رقي وليس في تقهقر كما ان القليل من الفلسفة يؤدي الى الالحاد ولكن التبحر فيها يعيد الملحد الى التدين .

النقد

مما لا نزاع فيه ان بيكون مؤسس الطريقة الواجب اتباعها فى العلوم الطبيعية ويرجع اليه فضل رقيها

غير ان تلك الطريقة لا يجب تطبيقها على العلوم النظرية وأخطأ بيكون أيضاً في عدم تطبيقه طريقته على العلوم النفسية اذ انه اهمل ملاحظة الظواهر الباطنية

ولا نظن انه انكر وجود الله كما يزعم بعض خصومه بل انه يسلم أيضاً بالوحي

اما تقسيم العلوم بالنظر الى ترتيب قوى النفس فقد طرحت في

زوايا النسيان بعد ان طارت شهرته في الجيل الماضي

ويلحق بمدرسة بيكون التجريبية هوبس وجاصندي ولوك

ويمكن لنا ان نقول ان هؤلاء الرجال الثلاثة نشروا روح بيكون في جميع اقسام الفلسفة وكأنهم تقاسموا فيما بينهم نظريات مدرستهم : فهوبس رجلها الاخلاقي والسياسي ، وجاصندي علاّمتها وطبيعيّها . ولوك عالمها النظري .

٥٩

هوبس (١٥٨٨ — ١٦٧٩) Hobbes

ولد توماس هوبس في مومسبري **Malmesbury** بكونتية ويلث وتلقى العلم في جامعة اكسفورد وكانت له صلة بجاصندي وغليلي وديكارت ولكنه كان قبل كل شيء تلميذاً ومعواناً لبيكون في ابحاثه . وكان يستخدم التعليل الاستنتاجي

أهم مؤلفاته كتاب « الانسان المدني » **De Cive** مؤلف من ثلاثة اقسام تبحث في الحرية والدولة والدين ، وكتاب لفياتان **Leviathan** أو كتاب المدنية طبع سنة ١٨٥١

وألف أيضاً كتاب في الطبيعة البشرية وكتاب في المنطق

مذهبه : ان الحواس مصدر المعرفة . وكل شيء ، ماعدا الجسم ، وهمٌ لا يتناوله الفهم . فالفلسفة على هذا المبدأ هي علم الاجسام ، والاجسام اما طبيعية واما سياسية . فالاولى تتضمن الاجسام نفسها وما ندعوه نحن بالنفوس أيضاً ، والثانية تؤلف الجمعيات البشرية

وقال ان جميع معارفنا تصدر عن الحواس ولكن لا شيء يؤكد لنا ان الاحساسات والمشاعر تطابق اشياء حقيقية موجودة فالحقيقة اذن ليست الا الفاظا والتعليل ماهو الا حساب عمل بناء على علامات لا ثبات لها

وينشأ عن الاحساس الرغبة أو الخوف فهما المحركان الخفيان لكافة أعمال الانسان

والتردد بين الرغبة والكراهة نحو شيء واحد يسمى المداولة . وبعد هذه المداولة اذا تفاضل أحد هذين الدافعين على الآخر دعي التفاضل ارادة . وإمكان تنفيذ هذه الارادة يدعى حرية .

كذلك مصدر الخير والشر يوجد في القوة الاحساسية . فالانسان يعمل خيراً كلما سعى نحو اللذة وكلما ابتعد عن الالم . فعلى رأيه الغاية تبرر الواسطة .

ولقد بنى هوبس مذهبه السياسي على هذه الانانية . قال ان

الانسان للانسان عـدو مبين homo homini Lupus وكل واحد يرغب في كل شيء لنفسه خاصـة ويريد الحصول عليه والاستئثار به دون غيره. ولما كان الجميع يرغبون مثل بعضهم نشأت عن ذلك حالة حرب فيما بينهم Bellum omnium contra omnes فهذه الحالة التي يكون فيها الحق للقوة هي حاله الطبيعة غير انها لا تحتمل. فلكي يوضع لها حد يجب على الناس ان يتنازلوا لبعضهم البعض عن حقوقهم ويؤسسوا سلطة قوية لتضغط على القوات الشخصية وتسيطر عليها

هـذا أساس تأليف الهيئة الاجتماعية فخضعت كل هيئة لسلطان قوي يجب اطاعته مهما عمل

اما الدين فيجب ان يكون تابعا للدولة

وقـد لخص فيكتور كوزين مذهب هوبس فيما يأتي « انه مادي في العلم النظري . احساسي وارتيابي في المنطق قـدري واناني في الاخلاق . وحكم مطلق في السياسة .

٦٠

جاصندي (١٥٩٢ – ١٦٥٦) Gassendi

ولد بطرس جاصندي بالقرب من دني Digne ببروفنـا ويعد زعيم المدرسة التجريبية في فرنسا في الجيل السابع عشر اندمج في سلك الكهنوت وعلم الفلسفة فاللاهوت فالرياضيات ذاع صيته حتى انه عد اكثر الفلاسفة علما . واكثر العلماء فلسفة في الجيل السابع عشر

كان متفقا مع ديكارت على ضرورة استبدال الاسلوب السلوجسي باسلوب آخر . ولـكنه اتخذ فلسفة مناقضة لفلسفة ديكارت وقام بينهما جدال عنيف كان بدء العراك الطويل الذي انتشب بين المـذهب الحسى والمذهب التصورى أو المثالي في العصور الحديثة

كتب مؤلفاته باللاتينية

مذهبه : اراد جاصندي تحبيذ مذهب ابيقور واعتناق مبادئه التى لا تتعارض مع الدين المسيحي ففلسفته توصف بانها ابيقورية مسيحية

وفي المنطق يذهب الى ان المعرفة تصدر عن الحواس . والقوة

الفكرية لا عمل لها الا تحصيل الظواهر التي تأتي بها الحواس . ومقارنتها ببعضها البعض لترتقي من الخاص الى العام .

وفي العلم الطبيعي : يسلم بمبدائي ابيقورو وهما الفضاء والذرات ويبني عليهما جميع النظريات العلمية . بيد انه يعترف ان الله خالق العالم وأول محرك له

اما في الاخلاق : فمع تسليمه بالاصول المسيحية السامية يقول أيضاً « ان الغاية من الحياة نوال المرغوب أي السعادة »

فهو بهذا المبدأ يمهد الطريق لنظرية « المنفعة بمعناها الحقيقي » التي كانت عقيدة الجيلين الثامن عشر والتاسع عشر

٦١

لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) Locke

يعد مؤلف كتاب «مبحث في العقل البشري» الزعيم الحقيقي للمدرسة التجريبية التي انتشر مذهبها في الجيل الثامن عشر في انكلترا وفرنسا وكانت سببا في ظهور مذهب (كانت) الانتقادي

ولد جون لوك في التاسع والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٦٣٢ في مدينة رنجتون Wrington بالقرب من برستول بكونتية سومرست . كان والده من شيعة المطهرين واشترك في الحرب

الاهلية التي انتشبت أيام اضطراب حكم شارل الاول . اما لوك فظل منتمياً للحزب الحر .

تلقى دروسه الثانوية في مدرسة وستمنستر بلندن ثم التحق بجامعة اكسفورد . ولما بلغ السابعة والعشرين من عمره قرأ للمرة الاولى مؤلفات ديكارت فأثرت فيه تأثيراً كبيراً .

ومنذ ذاك الحين عدل عن اعتناق الرهبنة التي كانت مطمح انظاره وعزم على ان يكون طبيباً

رحل الى فرنسا واقام فيها من سنة ١٦٧٢ الى سنة ١٦٧٩ وزار مدينة مونبلييه . ولما عاد الى انكلترا كان موضع ريبة عائلة ستوارت الحاكمة فالتجأ الى هولنده وبقي فيها حتى ثورة عام ١٦٨٨ فعينه غليوم دورانج معتمداً للمملكة على التجارة والمستعمرات . ومات في مدينة وطس oates في ٢٨ اكتوبر سنة ١٧٠٤ بالغاً من العمر اثنين وسبعين سنة

(مؤلفاته) — ترك لوك مؤلفات تتفاوت في القيمة . منها كتاب « فحص رأي ملبرانش في الابصار بالله » ورسالة في التساهل • وكتاب في تربية الاطفال • ومبحث في الحكومة المدنية .

بيد ان مؤلفه الشهير الذي بدأه في اكسفورد وأتمه أثناء نفيه ونشره في لندن سنة ١٦٩٠ هو كتاب « اختبار العقل

البشري Essai sur L'entendement humain ويقصد فيه « ارشادنا الى الوسائل التي بها يدرك العقل معاني الاشياء وما هي حدود المعرفة اليقينية وما هي الاساسات التي تبنى عليها الآراء السائدة بين الناس »

(فلسفته) : تتلخص في نظرياته (١) النفسية والنظرية (٢) نظرياته الاخلاقية والسياسية

اما الاولى فنجدها مشروحة في كتابه « اختبار العقل البشري وهو مقسم الى اربعة كتب تبحث (١) في المعاني الغريزية (٢) في صور الاشياء (٣) في الالفاظ (٤) في المعرفة

(الكتاب الاول) فى المعاني الغريزية :

خصص لوك هذا الكتاب لدحض نظرية الغريزة ، قال ان المعنى الغريزي يجب ان يكون أصلياً وعاماً شاملاً بيد ان الاختبار أظهر لنا ان الاصول الاولى سواء كانت نظرية أو عملية ، ليست أصلية منذ الخليقة بما ان الاطفال غير حاصلين عليها ولا يفهمونها وليست أيضاً عامة شاملة لانها لا توجد عند البلهاء ولا المتوحشين فهي اذن مكتسبة كالصور التي تحتذيها — وقد بين في الكتاب الثاني كيف تكتسب

(الكتاب الثاني) في الصور :

يفترض لوك ان نفسنا في بدئها كلوحة بيضاء خالية من كل

معنى ذهني . اما الصور التي ترتسم عليها فيما بعد فهي ثمرة التجربة ومما لا شك فيه ان تصوراتنا على نوعين تصورات بسيطة وتصورات مركبة

وتشتق التصورات البسيطة من مصدرين وهما الاحساس اذا كان موضوعها الصفات المحسوسة كاللون والسمع وغيره ، والتأمل اذا كانت تتعلق بالنفس كالتفكر والارادة.

اما التصورات المركبة فهى نتيجة مزج او تعميم التصورات البسيطة فهي بهذا الاعتبار تصدر عن الاختبار

وبهذا يفسر لوك معنى العلة والجوهر والسرمدي الخ ويرجعها الى معاني التوارث والتجميع واللامحدود الخ

(الكتاب الثالث) فى الالفاظ :

قال لوك ان المعرفة تتألف من جمل فيحسن اذن قبل كل شيء التكلم عن الالفاظ التي تتكون منها الجمل

وقد تضمن هذا الكتاب مباحث شيقه لاستعمال الكلام وما يؤديه من الخدمات للفكر . غير ان لوك لم ينحرف عن مذهبه الحسي فيقول ان جميع الالفاظ « الاصلية » تدل على معان حسية وان جميع اغلاطنا على وجه التقريب ترجع الى اغلاط لفظية وان جميع الجمل العمومية مجرد اصطلاحات لا ترتبط باي حقيقة واقعية

(الكتاب الرابع) في المعرفة :

تتناول المعرفة العالم المحسوس أو الآنية الشخصية . أو الارواح أو الله .

فنحن لا نعرف العالم الخارجي الا بالتصورات التي نتصوره بها فلذلك لا تكون معرفتنا صحيحة الا اذا كانت تصوراتنا مطابقة لموضوعها . ولحل مسألة مطابقة التصورات على الاشياء تميز لوك بين نوعين من الصفات توجد في الاجسام ، وهي اما صفات أولية ، أو صفات ثانوية . فنحن لا نستطيع معرفة الصفات الثانوية مباشرة . بل الاولى فقط هي التي تنتقش على الذهن بواسطة صورة تماثلها

اما الآنية الشخصية فنعرفها من تلقاء الذات وهذه المعرفة واضحة كوضوح الشمس في رائعة النهار

اما الارواح لا يمكن ان ندركها بذواتنا ولا يمكن تمثيلها بأي صورة، والوحي هو الذي يؤكد لنا وجودها . اما ماهيتها فليس لنا بها علم لأن الله كان في مقدوره ان يعطي المادة قوة التفكير

ومعرفتنا بالله تكون بواسطة البراهين الطبيعية ، أما الدلائل الديكارتية فلا قيمة لها .

نظرياته الاخلاقية والسياسية: يخالف لوك مذهب هوبس في السياسة . ويحبذ مبادىء الحرية فالناس احرار بالطبع ولا

يمكن ان يخضعوا لاي سلطة الا بمحض رغبتهم فيجب اذن ان يكون حصل التعاقد قبل كل اجتماع مدني بيد ان موضوع ذلك العقد هو ضمان الحقوق الطبيعية السابقة لكل حق اجتماعي ويجب على الجمعية البشرية ان تحترمها فحسب بل وتدافع عنها من كل اعتداء

ولما كان الناس متساوين واحراراً فحقهم الاساسي هو انماء حريتهم ويتعلق بالحرية حق الملك وأساسه العمل ، وحق الدفاع عن النفس

والفرد بدخوله في الجمعية البشرية لا يتنازل عن تلك الحقوق انما يترك للسلطة الاجتماعية حق الدفاع عن النفس فيتحول في يدها الي حق العقوبة

والحاكم وكيل الامة التي تستطيع في كل وقت استرداد الوكالة اذا رأته اساء التصرف

كذلك يجب على الحكومة ان تتساهل لجميع المحكومين فيما يختص بمعتقداتهم واديانهم

أما مذهبه الخلقي فيؤول الى نظرية السعادة الذاتية أو

المنفعة لان الخير في نظره كل ما يؤدي الى استحقاق مكافأة والشر ما يستوجب العقاب . فالحرية الخلقية هي لا تتخطى حرية العمل .

النقد تعد فلسفة لوك بدء المقاومة ضد مذهب ديكارت العقلي الذي كان له السيطرة على العقول في الجيل الثامن عشر . ولو ان لوك كان متأثراً اكثر من بيكون بفلسفة ديكارت .

لقد اخطأ الفيلسوف في نظريته في أصل المعرفة وقيمتها اذ جعلها تابعة للتجربة وهي تؤدي بلا شك الى فلسفة بركلي الارتيابية

من الواضح ان افكارنا الحسية لا تتفق في شيء مع المادة نفسها ولو فرضنا ان افكارنا تتشابه مع موضوعاتها فلا يمكننا ان نعرف اذا كانت تلك الافكار تمثل حقيقة الصور الواقعية

اما الحرية فلا تكفي لأنتاج الحق كما ان تراضي الطرفين لا تتولد عنه السلطة

اما نظريته الخلقية والنفسية فقد اثرت على الخصوص على مونتسكيو في كتابه «الحكومة المدنية» وعلى روسو في رسائله في التربية

المدرسة العقلية

٦٢

ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠)

Descartes

في متحف مدينة الهاي La Haye رسم صنعه المصور الشهير رمبرانت سنة ١٦٣٢ يمثل الاستاذ «طولب» يلقى درساً في التشريح على الوف الطلبة المحيطين به المعجبين بعلمه

فهذا الرسم البديع يمثل لنا شهرة ديكارت وتأثير فلسفته على العلماء والمفكرين بالرغم عن كرهه للتظاهر ومحبته للعزلة والانفراد

ولد رينيه ديكارت في ٣١ مارس سنة ١٥٩٦ في مدينة الهاي وكان ابوه مستشاراً في برلمان رينس Rennes أتم دروسه في كلية اليسوعيين في فليش بمقاطعة انجو سنة ١٦١٢ ثم شخص الى باريس في السنة التالية وانكب على درس الرياضيات مع رفيقه في التلمذة الاب مرسين . ثم درس الحقوق وحاز اجازتها سنة ١٦١٦ وكان عمره حينذاك عشرين ربيعاً . وبعد ذلك انتظم

في الجندية كما هي عادة الاشراف في ذلك الوقت وقد وقع اختياره على فرقه مورلس دي ناسو التي كانت معسكرة في بريدا بهولندا فظل فيها عامين ثم حضر تتويج الملك فردينند الثاني في مدينه فرنكفورت في ٩ سبتمبر سنه ١٦١٩ مع انه كان ممنوع دخول الاجانب الى المدينه في ايام الاحتفالات

واخيرا قضى الشتاء في نوبرج على نهر الطونه ويرجع الى خلوته في تلك المدينة اكتشافه « اسلوبه المنطقي » الذي الهمه الله اليه كما يقول . وكان سروره بذلك عظيما حتى انه نذر الحج الى كنيسة العذراء في لوريت وكان قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره

ترك ديكارت جيش مورلس دى ناسو وتطوع في جيش دوق بفاريا فحضر موقعة الجبل الابيض التى استولى فيها الجيش على مدينة براغ . ثم انتقل الى جيش الكونت بوكوا ولما قتل الكونت وانهزم الجيش طلق ديكارت الجندية بعد ان خدم فيها اربع سنوات وعاد الى تحصيل العلوم وقد آل على نفسه « ان لا يطلب من المعرفة الا التي يجدها في نفسه وفي كتاب العالم » وهو لذلك سافر كثيراً وتجول في انحاء مختلفة مجتهدا ان يكون كشاهد اكثر مما يكون كممثل للروايات التى تمثل في العالم »

وبقي ديكارت حتى سنة ١٦٢٩ متردداً في اختيار مهنة له . واعتقد في ذلك الحين « ان لا شيء أحسن له من ان يقضي حياته

في تهذيب عقله والتبحر بقدر امكانه في معرفة الحقيقة » فاقام في هولنده بأمل ان يجد فيها العزلة والحرية اللتين هو في أشد الحاجة اليهما فمكث فيها زهاء العشرين عاماً يكتب مؤلفاته ويتخابر بواسطة الاب مرسين مع جميع علماء زمنه

وفي سنة ٦٤٩ شخص الى ستوكهلم (بالسويد) بناء على دعوة من الملكة كرستيانة الا ان البرد كان قارصاً فرض بذات الرئة وتوفى بها في الحادي عشر من شهر فبراير سنة ١٦٥٠ بالغاً من العمر اربعة وخمسين عاماً . ونقلت رفاته الى فرنسا بعد ستة عشر عاما فدفنت في باريس في كنيسة سانت اتيان دي مونت

(مؤلفاته) كتاب الاسلوب . وشهوات النفس — كتبا وطبعا باللغة الفرنساوية . تأملات في الفلسفة الاولى . ومبادىء الفلسفة كتبا باللاتينية وترجمها بعض اصدقاء المؤلف في حياته كتاب العالم . والانسان والرسائل طبعت بعد موت المؤلف . أضف الى ذلك مصنفاته الكثيرة في الرياضيات والعلم الطبيعي

(فلسفته) تتضمن الفلسفة الديكارتية الغرض الذي قصده والنقطة التى بدأ منها فلسفته . وأسلوبه . ورأيه في النفس . وفي الله وفي العالم . وفي علاقة النفس بالجسد .

فغرضه تشييد بناء المعارف البشرية على أسس جديدة لان المعرفة بالحالة التي كانت عليها في عصره لم ترو غليله فهي غير

مؤكدة بأصولها وعقيمة بنتائجها

فبعد ان ابقى على حدة الحقائق الخاصة بالدين ووضع لنفسه بعض قواعد اخلاقية ليسلك موقتا بمقتضاها « طرح ظهرياً كلما يمكن ان يلحق به ادنى ريب كأنه غير صحيح » فحواسه وذاكرته وعقليته ، تخدعه احياناً وهو يريد الافتراض ان هـذه القوى تخدعه دواما حتى انه افترض أيضاً وجود روح خبيث يسره ان يهيء له الشيء على غير حقيقة . فبدأوه « الشك في كل شيء » انما ارتيابه هذا ليس الا وسيلة يرتقي منها للوصول الى الحقيقة

وهذه الحقيقة ممكن ادراكها وهي تتألف من أصول معدودة واضحة يجدها العقل في ذاته ولا تخرج عن ثلاث تصورات وهي الفكر والامتداد والكمال

اسلوبه يتلخص اسلوبه في اربعة قواعد اساسية وهي

أولاً — (الوضوح) للوصول الى الحقيقة « لا اسلم بصحة أي شيء الا اذا اتضح لي جلياً انه صحيح »

كل خطأ فهو اختياري ، فنحن نخطيء لان الارادة تصدق مالا يدركه الفهم جلياً

ثانياً — (التحليل) تقسيم كل صعوبة تعترض بحثي الى اقصى ما يمكن من الاجزاء لحلها على أحسن وجه

ثالثاً — (التركيب) ترتيب افكاري • مبتدئاً باسهلها معرفة مرتقيا الى الاصعب فالأصعب

رابعا — التجزئه تجزئي الشيء تجزيئاً تاما وفاحصا كل جزء على حدة بحيث لا يفوتني واحدمنها

فهذه القواعد هى ملخص أسلوب المهندسين غيران ديكارت ظن ان في امكانه تطبيقها « على جميع الاشياء التي تتناولها معرفة الناس »

(فلسفة النفسية) بدأ ديكارت يطبق اسلوبه على الآنية أو النفس البشرية فهو اذا شك وارتاب في كل شيء يبقى أمامه شيء واحد لا يتطرق اليه شك وهو الفكر وقد استخلص من التفكير معنى الوجود : قال انا افكر اذن انا موجود

Cogito, ergo Sum

وعلى ذلك يكون الانسان في النفس ، والنفس ليست سوى الفكر لانه اذا فرض ان ما نسميه جسداً لا وجود له في الواقع فالروح مع ذلك تستمر في التفكير والعكس بالعكس اذا بطل التفكير انعدم الوجود حتى لو بقى الجسد في الواقع

فالفكر هو جوهر الوجود بمعنى ان الروح التي بها تظهر هويتي وتتميز آنيتي تخالف الجسم في الجوهر . فهذا مادة وتلك جوهر

وجميع طرق التفكير التي نلاحظها في ذواتنا ترجع الى طريقتين عامتين احداهما الادراك بالفهم . والآخر توجيه الارادة

فالحالة الاولى انفعالية والتغيرات التي تطرأ على الفهم عند ادراك الاشياء تدعي « صوراً idée » وهـذه التصورات على

ثلاثة انواع

(١) عرضية adventice وهى التي تتولد فى النفس من مرآى الاشياء الخارجيه كالالوان والاصوات وغيرها

(٢) صناعية أو تخيلية factices وهي التي توجدها النفس بتحليل أو بتأليف تصورات اخرى بعضها البعض كتصورجبل من ذهب وتوهم نهر من لبن

(٣) غريزية او مطبوعة innées وهي التي تجدها النفس مهيأة في ذاتها من أصل الخلقة ، ومن خاصتها الفكرية كالامتداد والكمال

وتدعى تلك التغيرات أيضاً « شهوات » اذا كانت مظهراً لحركات الاعضاء الباطنية وترجع الى ستة أصلية وهي التعجب أوالدهشة ، والسرور ، والكدر ، والحب ، والبغض ، والرغبة

اما عمل الارادة فعلى نوعين وهما « الحكم » الذي بموجبه نوافق أولا نوافق على عمل ما . وذات الفعل

ويرى ديكارت ان الحكم أثر من اثار الارادة فيقول ان بالعقل وحده لا أثبت ولا أنفى أي شيء انما ادرك به معنى الاشياء التي يتسنى لي اثباتها او نفيها

فالارادة اذن لا رابطة ولا حدلها . بما اننا نستطيع ان نريد أو لانريد . ونؤكد أو ننكر كل شيء

اما العقل فمحدود . والخطأ ينشأ من عدم وجود نسبة بين

هتين القوتين اللتين تتقاسمان طبيعتنا

فالنفس تتجاوز في حكمها الاشياء التي تراها ولذلك تخطيء فلو انها حصرت تأكيداتها في التصورات الظاهرة الجلية الوضوح لما اخطأت مطلقاً

فيكون التسرع الاختيارى في الحكم هو سبب الخطأ . كما ان الارتياب او بالحري التروي الاختياري في الحكم هو التحرز من الخطأ .

والحرية معناها اننا نستطيع ان نعمل الشيء أولا نعمله . بيد ان كمال هذه الحرية في مطابقة العمل على مدركات العقل الواضحة بمعنى ان حرية الانسان تكون في العمل كما يقتضيه الحق

وللارادة الحرة قوة التأثير على نزعات النفس فتسود عليها وتصلحها أو تعدلها . ولذلك يتبرر علم الاخلاق

وقد استعار ديكارت مذهبه الخلقي من مبادىء الرواقيين كما يفهم ذلك من رسائله الى الاميرة اليصابات فالخير المطلق هو ما تستطيع عمله وتصمم على فعله وتجد مسرة في تنفيذه وهذه المسرة تكون في ما نحكم على فعل بانه حسن وتفعله

(فلسفته فى الله) استخلص ديكارت من نفسه وتفكيره وجود الله وأتى ببراهين ثلاثة على وجوده قال :

(١) انا موجود ولست كاملاً . فانا لم أوجد ذاتي فاذن الله

موجدي فهو موجود

(٢) ان ذاتي مدركة للكمال . فالذات الكاملة هي التي اوحت الى بوجودها فالله اذن موجود بكماله لانى لو كنت السبب في وجودي لما تصورت في نقصاً ولأعطيت ذاتي الكمال مع الوجود

(٣) الوجود ملازم للكمال وتصور الكمال يتضمن الوجود الحاضر الذي هو في الكمال فاذن الذات الكاملة موجودة

ولكى نتبين صفات الله يكفى ان نسائل انفسنا عن كل تصور نتصوره : هل من الكمال ان نحوزه أم لا

وبذلك ينتفى من روية الله كل تركيب وبالتالى كل مادة فالله ليس مثلنا مركب من امتداد وفكر انما هو فكر صرف

وأهم صفات الله ثلاثة وهى القدرة او الحرية المطلقة والثبات أو عدم التغير . والصدق

(١) الله مطلق الحرية وقادر على كل شيء لا حصر لارادته وما الصدق والكذب . والخير والشر الا من خليقته • وقد تكون الرياضيات وعلم الاخلاق غير ماهى عليه لو اراد الله ان لا تكون كذلك . . والحقائق المنطقية والرياضية المحتمة علينا ليست الا عرضية بالنسبة له . كذلك كل موجود مرتبط بارادته الحرة وما العالم باق الا لان الله حافظ له وهذا الحفظ كخلقة مستمرة

(٢) اذا كان ينافي الكمال الالهي تعلق الله بقوة خارجة عن ارادته الذاتية كذلك أيضا ينافي كماله الافتراض بانه يمكن ان يغير في اوامره فهو اذن ثابت غير متغير والحقيقة ايضا واحدة لا تتغير • وهذا الثبات الالهي يظهر في العالم بوجود النواميس المنظمة له على حالة واحدة وعلى الخصوص قوانين الحركة العامة التي لا تفارق حركة واحدة

(٣) كذلك أيضاً ينافي كماله الافتراض بانه يريد خداعنا ولذلك تظهر لنا الحقيقة كما هى بغير تبديل لانها مؤسسة علي الصدق الالهى

(العالم الطبيعى) وعلى نظرية الصدق الالهى توصل ديكارت الى اثبات وجود العالم الطبيعي :

فالعالم يتكون من الامتداد . اما جميع الصفات الاخرى كاللون والصوت والرائحة الخ لا توجد فيه بل في نفوسنا لانها في الحقيقة ليست سوى معانى حسية ونتيجة ذلك تفسير العالم بقضية هندسية وميكانيكية

فطريقة ديكارت في الطبيعة طريقة بديهية بها تتولد النتائج عن الاسباب أو المعلولات عن العلل ، فعوضاً عن ملاحظة العالم كما يتراآى لنا . يخلقه من جديد بواسطة الفكر ولا يستخدم التجربة الا لتحقيق الافتراضات التفصيلية

يبعث الله الحركة في الامتداد وباستمرارها تتألف الكواكب وتتحرك وتتوازن . والنباتات والحيوانات تنتظم وتعيش وتنتج انواعها

وليس من الضروري افتراض وجود علل غائية .

فالحركة الاولى بقوانينها الحافظة لها والمهيمنة عليها تكفي لتفسير كل شيء . والكون آلة لا يلتفت النظر الا الى اشكالها وحركاتها . والحياة الظاهرة آلية . وما البهائم الا آلات متحركة بذاتها لا نفوس لها لان ارواحها ليست سوى اجزاء دقيقة من الدم تحركها حرارة القلب

اما أهم المباديء الطبيعية فهي

١ — كل شيء يثبت على الحالة التي هو عليها طالما لا يطرأ عليه شيء آخر يغيره

٢ — كل جسم يتحرك يميل بذاته الى التحرك في اتجاه مستقيم

٣ — كل جسم يصطدم بجسم اقوى منه يفقد اتجاهه وليس حركته

٤ — كل جسم يتقابل بجسم آخر أضعف منه وقادر على تحريكه يفقد من الحركة بقدر ما يعطيه منها لذلك الجسم

٥ — مقدار الحركة تظل كما هي بدون زيادة ولا نقصان

(علاقة النفس بالجسم) يرى ديكارت ان الفرق في الصفات

الجوهرية يستلزم التمييز بين الجواهر . فاذن تتميز النفس عن الجسد الا ان هذين الجوهرين متحدان بالقدرة الالهية . ومستقر النفس في الغدة الصنوبرية الكائنة في وسط المخ . ومنها تتشعع في سائر اجزاء الجسم بواسطة الاعصاب والارواح الحيوية وينطبع عليها ما يأتيها من الخارج من التأثيرات المختلفة التي تنقلها اليها تلك الاعصاب . وليس لاحد الجوهرين تأثير في فعله على الآخر .

(**نقد فلسفته**) ليس من غرض هذا التاريخ نقد جميع النظريات التي قال بها هذا الفيلسوف . ولكننا نكتفي بابداء بعض ملاحظات

(١) ليس ديكارت مرتاباً غير ان شكه الترتيبي غير معقول ومضر .

من المسلم به ان ديكارت لعزمه على ان لا يقبل الا الحقائق التي لا نزاع فيها . نبذ كل معرفة يمكن للعقل ان يرتاب بها . ولكن هل من المعقول ان يشك في صحة قوانا . وان يقول بافتراضه بوجود روح خبيثة تخدع ؟

ان مثل هذا الشك يؤدي حتماً الى السفسطة Scepticisme ومهما كان وضوح قاعدة « انا افكر اذن انا موجود » فلا استطيع التثبت منها اذا كان عقلي مخادعاً

(٢) ان لقاعدة الوضوح التي هي اساس اليقين . موانع خطيرة فالوضوح في نظر ديكارت شيء باطني وبذلك لا يكون اليقين الا تبعياً . بالاضافة الى المفكر . فمن ذا الذي يؤكد لنا مطابقة ذات الشيء على الفكر الخاص به :

يقول الفيلسوف . ان الصدق الالهي هو الضامن لهذه المطابقة فكأنه لا يسلم الا بالوضوح النظري . ويميل الى جعل جميع القضايا الفلسفية مهما كانت الى مسألة علاقة يتعلق أو بالحرى الى ان يطبق الطريقة الهندسية على جميع الموضوعات ويهمل طريقة الاستقراء .

فخطر قاعدة الوضوح كما وصفها ديكارت هي ان يحمل العقل على نبذ كل سلطة فلا يسلم الا بالوضوح الذاتي الشخصي

٣ — جهل ديكارت وحدة المركب الانساني والشخصية البشرية جعلها اثنينية

فيقصر الروح على الفكر . والجسم على الامتداد . جرد هذين الجوهرين من كل عمل شخصي ومهد الطريق للمذهب الحلولي الذي يزعم ان الله دون غيره هو الموجود . وان الله وحده هو الفاعل

كذلك نظرية الحكم والخطأ . ونظرية الافكار الغريزية . وتحرك الحيوانات الآلي . كل هذه اظهر معظم الفلاسفة خطأها غير ان مجد ديكارت في مذهبه الروحاني وفي التكهن

بالقوانين الطبيعية الحديثة كما انه هو أول من طبق الجبر على الهندسة

خلفاء ديكارت

٦٣

ارنو (١٦١٢ — ١٦٩٤) Arnauld

ونيقول (١٦٢٥ — ١٦٩٥) Nicole

هما مؤلفا منطق بورت رويال

فهذا المنطق الذي اختلطت فيه مبادىء ديكارت مع مبادىء ارسطو له شهرة يستحقها ومقسم الى اربعة اقسام تبحث في المعاني وفي الحكم وفي التعليل وفي الاسلوب

بسكال (١٦٢٣ـ١٦٦٢) B. Pascal

ولد في كليرمون وكانت له يد فعالة في النضال الذي اقامه الجانسنت ضد اليسوعيين

وقد اشتهر بسكال بذكائه وفطنته وثاقب فكره . ويجب

ان نميز زمنين في حياته الفلسفيه

ففي المدة الاولى (١٦٢٣ — ١٦٥٤) كان متشيعاً لمذهب ديكارت وكان يفرق بين الايمان وبين العقل وقد مجد العقل وقوته ورقيه

وفي المدة الثانيه (١٦٥٤ — ١٦٦٢) كان متشيعاً لجانسنيوس واوجد باباً للشك • وكان يخفض من قيمه العقل ويشنع بالطبيعه البشرية

•

بوسويه (١٦٢٧ — ١٧٠٤) Bossuet

هو اسقف مو • وقد استعان بنظريات ارسطو والقديس توما وديكارت لتعليم ولي عهد فرنسا واهم كتبه • كتاب حرية الاختيار وكتاب المنطق « ومعرفه الله والنفس »

وهذا الكتاب الاخير يحتوي على خمسه فصول تبحث في النفس وفي الجسم وفي اتحاد النفس بالجسد • وفي الله • والفرق العظيم بين الانسان والحيوان

ولو ان بوسويه متأثر بفلسفة ديكارت الا انه يخالف هذا الاخير في بعض مسائل منها انه يقول باتحاد النفس بالجسد اتحاداً جوهرياً ويشرح شرحاً مستفيضا العلاقات التي بينهما امافي مسألة نفوس الحيوانات فانه يمنحهم نفساً حسيه

فنيلون Fenèlon

هو مطران كمبراى له جملة كتب فلسفية اهمها كتاب «وجود الله وصفاته » قسمه الى قسمين

شرح في القسم الاول أدلة وجود الله من النظام الحسن الذي يسود في العالم . ودحض مذهب ابيقور

واتبع في القسم الثاني اسلوب الشك الترتيبي وابان البراهين على وجود الله من المعاني العقلية ودحض مذهب اسبينوزا الحلولي ثم ختم الكتاب بفصل بليغ في ماهية الله وصفاته

ومن رأي توماس ريد أن شرح فنيلون للاسلوب الشكى الذى ابتكره ديكارت هو أوفي وأظهر شرح

كلارك (١٦٧٥ — ١٧٢٩) Clarske

هو فيلسوف انجليزي تخرج من جامعة كمبردج وكان تلميذا لنيوتن . ومن رأيه ان المكان والزمان من صفات الله واستخلص من هذين المعنيين برهاناً جديداً لاثبات وجود الله . غير ان ليبنز ناقضه في ذلك

٦٤

ملبرانش. (١٦٣٨ — ١٧١٥) Malbranche

ترجمته: ولد نقولا ملبرانش في باريس واندمج في سلك رهبنة اخوية الاوراتوار وعمره اذ ذاك اثنين وعشرين سنة. وكانت قرأته لكتاب ديكارت «في الانسان» الباعث له على اعتناق الفلسفة. وبعد دراسته للعقيدة الديكارتية نحو العشرة سنوات كتب مؤلفاته التي هذب فيها نظريات زعيمه. وأحياناً كان يناقضها.

وطالما جادل علماء عصره نذكر من بينهم بوسويه وارنو.

مؤلفاته: أهم مؤلفاته هي: كتاب الطبيعة والنعمة. وكتاب مباحث في العلم النظري والدين. وكتاب في الاخلاق. ثم كتاب البحث عن الحقيقة مقسما الى ستة أبواب تبحث في الحواس. والتخيل. والعقل. والميول. والاهواء. والاسلوب

وجميع مؤلفاته هذه كتبت بانشاء جزل، وأسلوب راقي، وفكر عال، تؤثر في نفس القاريء كما أثر كتاب الانسان لديكارت في نفس ملبرانش

ويعد ملبرانش فيلسوفاً نظرياً واخلاقياً

أما مذهبه اللاطبيعي فيتلخص في ثلاثة نظريات وهي الابصار في الله. والعلل العرضية. والتفاؤل الحسن

(١) الابصار في الله Vision en Dieu

يقول ملبرانش اننا نعرف اربعة انواع الكائنات وهي الله. ونفسنا. والارواح الاخرى. والجسم

فالله يعرفنا بذاته ونبصره مباشرة لانه لا يوجد أي مثال يمثل ذاته العلية.

ونعرف أنفسنا بالوجدان أو بالشعور الذي نحس به بتغيرات تلك النفس.

ولا نعرف باقي الارواح الا بطريق الظن أو المقارنة. أما الاجسام فنعرفها بمثلها

ولكن يجب التمييز في هذه المثل بين «الشعور» الذي هو حالة من حالات نفسنا وأوجده الله فينا، وبين المثال العرف فمن أين يأتي لنا هذا المثال.

يقول ملبرانش «انه من الضروري حتماً ان هذه المثل اما تأتي من الاشياء المادية. واما ان للنفس قوة لابتكار هذه المثل كما ذهب الى ذلك ديكارت. ولكن يصعب على النفس ان تتخيل صور أشياء مادية لا وجود لها كما ان المصور لا يستطيع ان يرسم على لوحته أشياء لم ترها عينه من قبل

واما ان الله أوجدها في نفسنا وقت خلقنا . بيد انه كيف يسوغ افتراض خلق مُثُل لاعداد لها بينما توجد طريقة ابسط من ذلك تليق بجلال الخالق في ايجاده من العدم تلك المثل

واما انه يوجد هذا المثال في ذات الوقت الذي نفكر فيه بشيء ما — ولكن يجب ان تكون الاشياء التي نفكر بمُثُلها موجودة. واما ان النفس تجد في ذاتها جميع الكمالات التي تراها في هذه الاجسام . وهذا يستحيل لانه لا يوجد تشابه بين كمال النفس وبين جواهر الاجسام

بقي الحل السادس وهو ان النفس متحدة بذات كاملة . تتضمن جميع مُثُل المخلوقات وهذه الذات تكشف للنفس عن تلك المثل لمناسبة التأمل فيها

فهذا الحل هو الانسب ويدعى ذلك الابصار في الله

فحقيقة الاشياء الظاهرة ليست مؤكدة لنا الا بالوحي

(٣) العلل العرضية

كما ان الله دون غيره موضوع المعرفة كذلك هو أيضاً العلة الحقيقية الوحيدة .

لم يكن الامتداد في نظر ديكارت سوى الاستعداد لقبول الحركة . ولا قدرة له على التجزء الى ما لا نهاية . وينتج عن ذلك ان الجسم غير كفء لان يؤثر على جسم آخر وان المادة منفعلة

بنوع عام

كذلك الفكر لا يمكن له التأثير . وقد قال ملبرانش في كتابه « البحث عن الحقيقة » انه لا يمكن للاجسام ان تكون علة حقيقية لاي شيء كان . وكذلك الارواح مهما كانت سامية فليس لها قوة ما »

فالنفس لا تفعل بل تنفعل . وبداهة لا تؤثر نفس على نفس كما يرشدنا اليه عقلنا . غير ان الاختبار أظهر لنا عكس ذلك فكيف نفسر هذا التناقض ؟

لم ينكر ديكارت اتصال الجواهر بعضها البعض . ولكنه صرّح بأنها منفصلة عن بعضها بدون ان يرشدنا الى كيفية اتصالها

أما ملبرانش فقد ذهب الى ابعد من استاذه . فانه وضع نصب عينيه تعاريف ديكارت في النفس والجسد واستنتج منها عدم قدرة الفكر والامتداد على العمل بالذات

هنا تتداخل الذات العلية لحل مسألة اتحاد النفس بالجسد . فالله وحده مصدر الحركة وهو العلة الفاعلة لكل ما يحدث . اما الخلائق ، عديمة الحركة ، فهي أسباب عرضية حدثت اتفاقاً بفعل الله .

فلمناسبة الاحساسات والافكار والرغبات النفسية . يثير الله الحركة في الجسم . ولمناسبة حركات الجسم يبث الله في النفس الاحساسات والافكار والارادات .

فكل من ينظر الى العالم نظرة سطحية يرى ان لكل شيء سبب . اما من يتأمل ويتمعن فلا يجد سوى الله علة كل شيء وعدة اتفاقات أو بالحري حوادث عرضية فلا ينبغي ان يتصور الانسان ان الله يعطي قدرته للخلائق ويجعلها اسباباً حقيقية تفعل في غيرها كما لو كانت آلهة

فبهذه النظرية أوجد ملبرانش هوة سحيقة تفصل النفس عن الجسد وعوضاً عن ان يفسر اتحادهما يقول ان كل اتحاد بينهما محال .

(٣) نظرية الاستحسان Optimisme

لما كان على الله — على رأي ملبرانش — ان يعمل كل شيء لمجده اضطر بالطبع ان يختار بين جميع العوالم الممكن ايجادها ، احسنها أو اكثرها استعداداً لاظهار كمالاته

غير انه في اختياره راعى المسالك التي يسلكها كما راعى ذات العمل الذي يعمله . فينبغي ان تكون تلك المسالك كما يكون العمل . تظهر آثار حكمته أو بعبارة أخرى قد فضل أحياناً ان يعمل عملاً حسناً — ولو كان قليلاً بذاته — بالطرق الاكثر سهولة وبأعم النواميس وأكثرها انتاجاً ومن هنا نشأ أصل الشر الذي نلاقيه في الوجود

نظرياته الاخلاقية

ترتبط نظريات ملبرانش الاخلاقية بنظريته في المعرفة . التي تتلخص في ان تصوراتنا هي تصورات الله ذاته فالتصورات المفهومة الموجودة في الكلمة يوجد بينها نوعان من العلاقات وهما علاقات عظمة وعلاقات كمال . وعلى هذه العلاقات الاخيرة دون غيرها يبني ملبرانش نظرية الخير الادبي

فالله بمحبته الضرورية لذاته يحب الاشياء بنسبة درجة الكمال التي تتصف بها تلك الاشياء . واننا اذا سرنا على هذا المثال فان ارادتنا تكون صالحة ان احببنا كما نحب الله

والنظام يكون في وجود علاقات الكمال بين الكائنات فاذن المحبة بحسب العلاقات هي محبة النظام . وعلى ذلك يعرّف ملبرانش الفضيلة بانها محبة النظام الدائم محبة متواصلة فوق كل شيء .

وتطابق نظرية الارادة ، نظرية الفهم . فكما ان الله علة عقلنا وغرضه . هو أيضاً علة حبنا وغايته . فحب الخير أو الارادة فينا ليست سوى دافع الحب الذي به يحب الله ذاته كما ان معرفة الحق ليست سوى اتصال التصورات التي بها يعرف ذاته

ان رغباتنا الخاصة هي السبب العرضي للخير الذي يتولد فينا كما ان انتباهنا هو السبب العرضي للنور الذي يضيء نفسنا . وليست الحرية التي لنا الا مقدرتنا في حصر عملنا على الخيرات الخصوصية

نقد فلسفته وصف بوسويه خلاصة آراء ملبرانش في كتاب الطبيعة والنعمة بانها «عجيبة . جديدة . مضلة » Pulchra, nova, falsa ويمكن تطبيق هـذا الحكم على مجموع نظريات ملبرانش • نعم ان لا نزاع في سمو أفكاره ورشاقة اسلوبه ولا بدع اذا لقبوه بافلاطون المسيحي • غير ان مذهبه يتضمن بدع خطيرة لا ينبغي الاخذ بها

فعلى زعمه ان وجود الاجسام لا يسند لا على العقيدة الفطرية ولا على البراهين الفلسفية • وعقلياً ربما لا توجد جواهر مادية بل حقائق تصورية خارجة عنا ويوجد فينا تصورات ذاتية تمثلها وهذا هو المذهب المثالي

ومن وجهة أخرى لا تستطيع خليقة ان تؤثر على خليقة أخرى لان الله وحـده هو الفعال في الطبيعة وفي الانسان • والانسان الذي « ليس بفاعل بل مفعول فيه » هـل له وجود خاص حقيقي ؟ اليست العـلة الوحيدة هي الموجود الوحيد والجوهر الفرد ؟

هذه أول خطوة لنظرية المذهب الحلولي

٦٥

سبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧)

Spinoza

ولد باروخ سبينوزا في امستردام من عائلة اسرائيلية برتغالية الاصل • ولما شجبته المشيخة اليهودية عام ١٦٣٦ نظراً لارائه الحرة اضطر لهجر وطنه والنزوح الى مدينة الهاي واستبدل اسمه باسم بنديكت فقضى حياته بقناعة وكفاف مشتغلا في الزجاج للنظارات ، رافضاً المعاش الذي رتبه له صديقه جان دي ويت ، والميراث الذي أوصى به سيمون أريس • ولم يقبل أيضاً وظيفة التدريس في جامعة هيدلبرج حباً في الاستقلال الذي كان ينشده • ومات مصدوراً في ٢٣ فبراير سنه ١٦٧٧ غير متجاوز الرابعة والاربعين من عمره • وفي عام ١٨٧٧ أقيم له نصب في أحد ميادين الهاي يمثله جالساً متعمقاً في افكاره

(مؤلفاته) لم ينشر سبينوزا في حياته سوى كتاب مبادىء الفلسفة الديكارتية على نسق هندسي وكتاب اللاهوت السياسي ثم قام اثنان من أصدقائه في العام الذي توفى فيه بطبع كتابه

الاخلاق Ethica مؤلفاً على شكل نظريات هندسية ومقسماً الى خمسة أقسام تبحث في ذات الله • وماهية الروح ومصدره • وماهية الشهوات ومصدرها • والرق البشري أو قوة الشهوات وقدرة العقل أو الحرية الانسانية

وله أيضاً كتاب في السياسة وآخر يشتمل على رسائله الخصوصية

(فلسفته) يرفض سبينوزا المذهب التجريبي رفضاً باتاً ورأيه ان العلم الحقيقي لا يدرك الا بالعقل المجرد بداهة ويرتقي بالتعليل الهندسي .

وتتلخص فلسفته في أربعة أقسام : نظري • ونفسي وخلقي وسياسي

الفلسفة النظرية : اول موضوع يتلقنه العقل بداهة هو معنى الكائن او الجوهر لان هذين المعنيين على رأي سبينوزا مترادفان •

قال ديكارت « ان الجوهر هو الكائن في ذاته والمدرك بذاته اي الذي لا يحتاج لشيء آخر لوجوده »

وكان انصاره يفسرون هذا التعريف للجوهر تفسيراً مستقيما ويعارضونه بالحال Modalité

ولكن سبينوزا اخذه بمعنى مطلق للكائن الذي له في ذاته علة وجوده • فهو علة نفسه Causa Sui والذي « يفهم معناه

بدون احتياج لمعنى شيء آخر» واستنتج من ذلك ان هذا الكائن ازلي سرمدي

فاذا كان هذا الكائن سرمدياً غير متناه فيجب ان يكون أيضاً واحداً لا ثان له . لان وجود اثنين حقيقين غير متناهيين غير معقول والقول بوجود جواهر متناهية ، مخلوقة ، محال لانه اما ان يكون للجوهر الخالق والجوهر المخلوق صفات متباينة واما ان تكون لهما صفات واحدة ففي الحالة الاولى ينتج السبب ما ليس منه وهذا متناقض . وفي الحالة الثانية لا يمكن تمييز الجواهر بعضها عن بعض بما ان اختلاف الصفات هو الاساس الوحيد في التمييز بين الجواهر .

فهذا الجوهر الوحيد السرمدي يظهر لنا بصفات تمثله لنا باكمله •

ويريد سبينوزا بالصفات « مايستخلصه العقل من الجوهر بأنه المكون لروحه أو هويته »

فهذه الصفات لا نهائية غير ان لا نهائيتها اضافية تبعية لانها تدل على الجوهر من وجهة خاصة واحدة .

وهي لا عداد لها لانها تدل على جوهر غير متناه وغير فان والصفات ذاتها تظهر على شكل حالات متناهية ولكن باعداد غير متناهية

ويريد سبينوزا بالحالة ما يطرأ على الجوهر من التغيير أو ما

يوجد في شيء ما ولا يدرك الا بذلك الشيء »

فلو كانت الحالات لا نهائية لكانت الصفات ذاتها جواهر . ولو لم تكن أعدادها غير متناهية لما كانت تمثل اللانهائية النسبية للصفة

فالجوهر والصفات والحالات متباينة ولكنها غير منفصلة عن بعضها البعض لان الجوهر من طبيعته ان ينمو بالضرورة بصفات لا نهائية لا عدد لها وتتعدل وتتغير بغير تناه

فهذه الجملة على رأي سبينوزا تفسر معنى الله

ونحن لا نعرف من صفات الله الغير محدودة سوى اثنتين وهما الفكر والامتداد ، بمعنى ان الله بالنسبة لنا هو الكائن المفكر والمنتشر بدرجة لا نهائية

فصفتي الفكر والامتداد تنتشران بالضرورة في عدد غير محدود من الحالات المتناهية وهي النفوس المفكرة . والاجسام المنتشرة •

وهاتان المجموعتان للحالتين المتقابلتين مترابطتان متلازمتان بمعنى ان كل فكر تقابله حركة وكل حركة يقابلها فكر . فهما وجهان غير منفصلين لوجود واحد ينمو بالضرورة وبدون غاية أما الاوجه الاخرى المتعددة فلا نعرفها

فالله يمتزج اذن بالطبيعة . ولكن يمكن التمييز بين الطبيعة الطابعة Natura naturans أي الجوهر أو العلة الفعالة المطلقة لكل

المظاهر . وبين الطبيعة المطبوعة natura naturata أي مجموع الحالات التي يتكيف بها الجوهر الغير متناهي ، المفكر الممتد

ولا يسلم سبينوزا مطلقاً بوجود علل غائية اذ يقول « الكائن السرمدي الغير متناهي يفعل كما هو كائن بضرورة متساوية » . .

« وان ما ندعوه علة غائية ليس الا الرغبة التي لنا في شيء ما . »

« نفترض أحيانا ان الطبيعة تعمل لغاية ونتخذ رغباتنا مقياسا للاشياء »

علم النفس يمزج سبينوزا الروح بالجسم ويعتبرهما واحداً فيرى ان النفس البشرية ليست في الواقع الا مجموعة من حالات الفكر الالهي • وما الجسم الا مجموع من حالات الامتداد اللانهائي . وهاتان المجموعتان — المتميزتان عن بعضهما البعض بالنظر الى انهما يمثلان الكمال الالهي في مظهرين مختلفين — هما متماثلان بالنظر الا انهما يمثلان ذلك الكمال في وقت واحد من أوقات نموه الازلي

والنفس — وهي جاهلة العلل التي تدفعها الى العمل — تظن انها حرة بيد انها « تحلم في اليقظة »

انها ليست حرة ولا هي « مملكة في مملكة » بل هي آلة روحية • وليس لها وحدة حقيقية لانها فكر مؤلف من جملة

أفكار كما ان الجسم مجموع ذرات ممتدة

وهي ليست خالدة بما انها شكل عرضي زائل للجوهر الابدى. ولا يعترف سبينوزا لتلك النفس بقوى متمايزة اذ لا شيء حقيقي خارجا عن الفكر. والتأكيد بوجوده هو الارادة فلا فكر بغير ارادة • ولا ارادة بدون فكر

اما الاهواء والشهوات فهي ليست الاميولاً الغرض منها خير الجسد والنفس . فالهوى المدرك يدعى رغبة • واذا تحققت الرغبة صارت فرحا • اما اذا لم تتحقق دعيت غماً

واذا أضيف الى ذلك الهوى فكر خارجي سمي حباً أو كراهة

علم الاخلاق : يدعو اسبينوزا كتابه « الاخلاق » ، بالرغم عن مذهبه الجبري : وهذه خلاصة اخلاقياته :

يميل كل كائن الى حفظ كيانه • هذا هو المبدأ الاساسي • وللنفس درجة معينة في الوجود وفي الكمال وتميل بذاتها الى استبقاء كيانها ونموه

وكل زيادة في نمو النفس أو كمالها ويسبب لها فرحا ويكون لها نافعا يدعى خيراً • وكل نقص في ذاك النمو أو الكمال فيسبب لها حزنا او يضر بها يدعى شراً

واذ تقرر ذلك تكون النفس ـ التي من أهم صفاتها التفكير ـ

اكثر كمالا طالما كان موضوع فكرها كاملا

فمعرفة الله • ومحبته • والحياة فيه • كل ذلك في نظرها كمال الحياة لان هذه الحياة تهب كيانها اكثر مما تهب حياة أخرى وتنيلها الرغبة الاساسية التي فطرت عليها • وقال ان غاية المعرفة الوصول الى كمال الطبيعة البشرية • كما ان الفرق بين الكامل والناقص • او الخير والشر هو معنى اضافي لان ذلك سبب للتفكير والاستدلال بمقارنة الاشياء ببعضها البعض « فلا شيء يضر في مسكن جوبتير »

والشيء يكون خيراً أو شراً تبعا لنفعه او لضرره للانسان وبمعنى آخر كل ما يزيد أو ينقص قدرتنا على العمل — ويساعدها او يباعدها ، يعد خيراً او شراً وبالتالي يسبب لنا فرحا او غما •

ولما كان كمالنا بعقولنا فيجب ان نرقي العقل ونوسع الادراك فنحصل اذ ذاك على اغتباط النفس ومسرتها • وما الغبطة في الواقع الا راحة النفس الناشئة عن عرفان ذات الله وصفاته وهذا هو سر الفضيلة والسعادة

ثم قال سبينوزا في موضع آخر من كتابه « فالاصول التي ذكرتها تدل صراحة على فضل الحكيم وعلو قدره على الجاهل الذي

تقوده شهواته العمياء. فتتلاعب به الاهواء فلا يجد لنفسه سلاما فيهملها وينسى خالقه ويجهل الاشياء المحيطة به • ويكون الوجود والعدم في نظره سواء، بعكس الحكيم الذى لا يمس الاضطراب نفسه اذ بالضرورة يدرك ذاته ويدرك صفات الله وما يحيط به من الاشياء فيحصل على الدوام على سلام النفس

كل كائن بصفته جزء من الله يتمتع بحق عمومي يقاس على قدرته تماماً • وبذلك نشأت حالة حرب شديدة ولو انها طبيعية •

فلتجنب ذلك الف الناس الحكومة أساس كل عدل وكل ملكية

ولكي يتحرر سبينوزا من مذهب هوبس الاستبدادي اجتهد ان يبرهن على ان السلطة لا يمكن ان تكون قوية الا اذا أحترمت، ولا يمكن ان تكون محترمة الا اذا كانت ضمن الحدود المعقولة، ولا تكون كذلك الا اذا تركت الناس ناساً أي تترك لهم حرية الرأى »

ثم اضاف الى ذلك قوله « اذا كان كل شيء موكولا لارادة شخص واحد. فلا يمكن وجوده على حالة واحدة »

(نقد فلسفة سبينوزا) لهذه الفلسفة جميع أغلاط المذهب الحلولى : فطريقته يأباها العقل اذ يرفض التجربة ويبدأ بتعريفات تحكمية . ويمثل لنا الله بآراء متناقضة أي ممتد ومفكر وبسيط ومركب أما الانسان فينكر عليه الحرية والشخصية والخلود الروحي.

كذلك ليس لمذهبه الاخلاقى الصفة الالزامية . وسلطة الحكومة هي بالضرورة استبدادية ومطلقة

ثالثا – المدرسه الانتخابيه

٦٦

ليبنز

Leibniz

في أواخر الجيل السابع عشر آل مذهب «بيكون» التجريبي الى مذهب « لوك » الحسي . وتحول مذهب «ديكارت» العقلي الى رأي ملبرانش التصوري

وفي وسط النضال الذي قام بين هذين المذهبين المتناظرين المتطرفين قام « ليبنز » الالماني يناضل الواحد والآخر ليسد الثلمات التي أوجداها بمذهب جديد يحاول فيه التوفيق بين افلاطون وديموقريطس ، وبين ارسطو وديكارت وبين المدرسيين والمحدثين . ويوفق العلم الالهي والاخلاق مع العقل

ولد جودفروا غليوم ليبنز في أول يوليه سنة ١٦٤٦ في مدينة ليبزج وكان أبوه متشرعاً ومدرساً للفلسفة الاخلاقية في جامعة تلك المدينة .

درس الحقوق والتاريخ والسياسة وعلم اللغة والرياضيات والفلسفة بكل سهولة ولكنه كان نابهاً في العلمين الاخيرين

وفي سنة ١٦٦٧ تعين مستشاراً لمنتخب « ماينس » وظل في وظيفته حتى سنة ١٦٧٢ ثم سافر في مهمة سياسية الى باريس وظل فيها اربعة أعوام تعرف على كبار مفكريها . وانتقل الى هولندة فتقابل مع سبينوزا ثم رحل الى انكلترا حيث كانت له فيها علاقة بجمعياتها العلمية .

وفي سنة ١٦٧٦ عينه الدوق دي برنسويك اميناً لمكتبة هنوفر فبقي متقلداً منصبه زهاء الاربعين عاماً الى ان توفي عام ١٧١٦

كان ليبنز صديقاً ومشيراً لدوقات هنوفر وله ضلع في جميع الحوادث السياسية ، واليه يرجع فضل تأسيس جامعة العلوم ببرلين وقد حاول برسائله المتعددة مع بوسويه تقريب الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية ببعضها البعض . وكثيراً ما استنار قيصر الروسيا بطرس الاكبر ، وامبراطور النمسا بمشوراته وآرائه السديدة

كان عالماً بكل العلوم ويعد دائرة معارف لا يضارعه فيها الا ارسطو ، كما ان مؤلفاته كانت كثيرة بيد ان اهمها ثلاثة وهي :

١ – البحث الجديد في العقل البشري ظهر سنة ١٧٠٤

٢ – مقالات لاهوتية في صلاح الله وحرية الانسان

ومصدر الشر ظهرت سنة ١٧١٠

٣ — نظرية الجواهر الروحية Mondologie طبع سنة ١٧١٤

فالكتاب الاول يعارض به كتاب « لوك » في الموضوع ذاته . ويتضمن الكتاب الثاني عقيدته في مذهبي الجبر والتفاؤل . ويشتمل الكتاب الثالث على موجز فلسفته

وله عدا ذلك مقالات ممتعة نشرت في جريدة العلماء تبحث في « المعرفة • والحقيقة • واصلاح الفلسفة الاولى • ومعنى الجوهر » أضف الى ذلك رسائله مع الفيلسوفين ارنو . وكلارك

وقد حاول عقد تحالف بين القطر المصري وبين فرنسا بخطاب ارسله الى لويس الرابع عشر . كذلك توهم ان يوطد السلام العام بين جميع الممالك المتحالفة تحت سلطة الامبراطور الزمنية . وسلطة البابا الروحية .

وان تنشأ لغة عامة لجميع الشعوب تؤسس على قاعدة مشابهة للرموز الجبرية

(فلسفته) توصف فلسفة ليبنز بانها انتخابية مختارة من آراء الفلاسفة المتقدمين وادمجها في سلك واحد

وكانت فلسفة ديكارت الاساس الذي بنى عليه ليبنز مذهبه الجديد بعد ان عدل اساليبها واصولها حتى لا يقع في أغلاط سبينوزا

نظرية الجواهر : (١) ماهيتها

قال ديكارت ان جوهر المادة الروحية هو الفكر وجوهر المادة المادية في الامتداد

فناقض ليبنز الشطر الاخير من رأي ديكارت وقال : الادعاء بان المادة ليست سوى امتداد ، هو الحكم على الكون بالجمود والخمول . ونكران وجود القوات الطبيعية ، ونسبة جميع الظاهرات الحسية الى فعل الله . فيؤدي كل ذلك الى مذهب سبينوزا الحلولي

وقد نشأ الخطأ الاصلي لمذهب ديكارت من الخطأ في تعريف الجوهر ولذلك صححه ليبنز بقوله ان حقيقة الجوهر هي القوة كما يمثلها لنا وجداننا وكما نتمثلها في الاشياء بطريق المقارنة

القوة هي كل الوجود يتوافق فيها الواحد والكثير ، الممكن والواقع . وهي ليست خاصية تحتاج الى دافع خارجي للتحول من امكان حصول الشيء ، الى حصوله فعلاً . انما هي استعداد دائم للفعل تعمله بغير انقطاع بفضيلة خاصة بها

وهذه القوة بسيطة بطبيعتها ولها فعل ذاتي صرف وغير قابلة للتلاشي بطبيعتها وهي واحدة بالجوهر ولذلك اطلق ليبنز عليها اسم Monade أي واحدة

والوحدات Monades لا حصر لعددها أو بالحري لاعداد

لها وكلها مختلفة عن بعضها . لانه لو كان يوجد شيئآن لا يتميزان عن بعضهما البعض لما وجد الله سبباً كافياً لان يخلقهما في ازمنة وامكنة مختلفة

ولكل الوحدات الروحية المذكورة خاصتان وهما «الشوق appétition والتمثيل Perception

فالشوق ميل شديد للتغير ، اي التحول من تمثيل لآخر .

والتمثيل هو ادماج الشيء الظاهري في الباطني وتخيل المركب في البسيط والتعدد في الواحد

ولكل وحدة روحية خاصة التشكل بجميع الكائنات الممكن وجودها وبذلك تكون ممثلة للكون باجمعه . ولكنها مع ذلك لا تدرك مباشرة سوى ذلك الجزء من العالم الذي له علاقة مباشرة بالجسم (١) الذي هي له الكمال والغاية entelechie

(٢) **انواع الوحدات** — للوحدات الروحية درجات متعددة سائرة الى الكمال ، غير ان وحدات هذا العالم تنقسم

---

(١) لكل وحدة ولو كانت ملائكية — — جسم ما عدا الذات الالهية

الى ثلاث طوائف وهي

أولاً — الذات البسيطة او العادية يكون التمثيل فيها مشوشاً مبهماً لا ادراك له وتتألف الاجسام من هذه الوحدات

ثانياً — الوحدات الراقية ذات ادراك وتذكر . وهي نفوس الحيوانات ، وتمثيلها يطلق عليه لفظ « احساسات » تستمر على التكرار فتظهر كسلوك صادر عن تعقل وترو

ثالثاً — الوحدات السامية التي يصحب تمثيلها فهم أي معرفة الحقائق العامة الضرورية . وهي النفوس البشرية وتمثيلها يدعى « ادراك الادراك aperception أي انها تدرك الاشياء وتعلم انها تدركها .

ويفعل الله بالنوعين الاولين كما يستعمل المهندس آلته ويعامل النوع الثالث حافظاً شخصيته ومرتقياً درجات الكمال

وجميع الانواع الثلاثة وجدت منذ بدء الخليقة

علاقة الوحدات الروحية ببعضها البعض

باتحاد الوحدات البسيطة ببعضها البعض تتألف الاجسام الجامدة .

والاجسام العضوية هي مجموع افراد سادت عليها واحدة منها ووحدت بينها

اما الوحدات السامية فبانضمامها الى الاجسام العضوية يتركب

الانسان . غير ان تلك العلاقات التي تؤلف بين جميع الوحدات تنشأ عنها صعوبات كثيرة

قيل ان الاجسام ممتدة . فكيف يفسر هـذا الامتداد اذا كان كل مادة مركبة من عناصر بسيطة ؟

يجيب ليبنز على ذلك ناكراً ان الامتداد خاصة حقيقية للمادة فما هو الا الحالة التي تتمثل بها القوات الموجودة معها ولنا بها علاقة

فهذه القوات — اذا اعتبرت في ذاتها — ليست ممتدة ولا متجزئة . وانما تنظيم هذه القوات وعلاقتها باعضائنا تظهر لنا بما ندعوه امتداداً

لم يمس ليبنز جميع مبادیء ديكارت الخاصة بتفسير الظاهرات الحسية . ولكنه لم يسلم بالتحرك الآلي الصرف لان هذا التحرك لا يبين سبب الحركة . فقال ليبنز ان السبب يوجد في القوة الحاصلة عليها كل الكائنات بدون استثناء

كل وحدة تنمو تبعاً لقانون خاص بها ولا يمكنها ان تؤثر باي حال على وحدات اخرى ، فكيف امكن اذن وجود تآلف وتجانس بين مجموع الوحدات المختلفة

يجيب ليبنز على ذلك بان نمو كل وحدة ملازم لنمو الوحدات الاخرى وبنا على هذا المبدأ تعمل الوحدات المتحركة التي تتألف منها الاجسام طبقاً للقوة التي تحركها كما لو لم يكن بها روح مطلقاً كذلك الوحدات التي تشعر بادراكها أي النفوس ، فانها تعمل كما

لو كانت بغير أجسام

الا انه بنا على الائتلاف الذي أوجده الله من قبل فمجموعتا الافعال المذكورة — ولو انهما مستقلتان عن بعضهما تماماً — متفقتان بمعنى ان في الانسان مثلاً ، تقابل حركاته الجسمية بعض احساسات في النفس . كما انه يقابل افكار النفس بعض تعديلات في الجسم

علم النفس : النفس قوة بسيطة فاعلة ومفكرة على الدوام . غير ان افكارها على نوعين : أحدهما أفكار مبهمة عديمة الحس وهي المدركة . وثانيها أفكار متميزة وتشعر بادراكها ويدعوها لبنز «aperception ادراك الادراك»

وأهم نظرياته النفسية ترجع الى اثنتين وهما نظرية العقل ونظرية الحرية .

نظرية العقل : كان لوك يقول ان نظرية النفس أشبه بصحيفة بيضاء تنقش عليها التجربة جميع انواع الصفات .

أما ليبنز فانه يشبهها برخامة بيضاء منقوش عليها من الاصل شكل التمثال وخطوطه والتجربة هي التي تزيده وضوحاً وجلاء وتظهره تاماً كاملاً

قال لوك العقل لا يدرك الاشياء الا عن طريق الحواس

Nihil est in intellectu quod non prius fuerit in sensu

فصحح ليبنز هذا المثل بهذه الكلمات التي أضافها عليه :

nisi ipse intellectus

يوجد فينا شيء غريزى وهو العقل وقوانينه

وهذه القوانين التي نجري تطبيقها عند ماتسمح لنابها التجربة قسمان أحدهما مبدأ التناقض والآخر مبدأ السبب الكافي

فالاول يقابل الممكن . والثاني يؤدي بنا الى الوجود الفعلي وتشتق من المبدأ الثانى المباديء الاخرى الاساسية الآتية .

(١) مبدأ السببية : لكل شيء يبدأ في الوجود ، سبب

(٢) مبدأ الغاية : لكل ناتج غاية

(٣) مبدأ الاصلح : اذاكان شيء احسن من غيره ممكن حصوله . فلا معنى لبقاء الاقل صلاحية

(٤) مبدأ الاستمرار — الفراغ في الزمان أو في المكان — وفي كمية الكائنات او كمالها . ليس له سبب كاف مادام الاستمرار ممكنا

نظرية الحرية : قال ليبنز « توجد الحرية في الفهم الذي يتضمن معرفة متميزة عن ذات الشيء وعن التعليل • وتوجد في الذاتية Spontanéité التي بها نعين لنا شيئاً خاصاً — ويجعلها ايضاً في الحدوث Contingence أي في استبعاد الضرورة

المنطقية او النظرية

فالخاصة الذاتية والحدوث تتقابل في جميع افعال الوحدات • وينشأ عن ذلك ان الفهم يكون كروح الحرية والاصل الذي تبنى عليه

وحريتنا ليست في حرية عدم الاهتمام تعمل بدون سبب انما هي مسيرة بالخير الاعظم

واذاكانت ارادة الانسان العاقل تنطبق دواما على الاسباب الدافعة لها فلا يفهم من ذلك ان تلك الارادة مقيدة ؟ كلا • لان الاسباب التي تدفعني على العمل هي اسبابي وباطاعتها اطيع نفسي فاذن ما دامت تبعيتي لذاتي فانا حر

هذا هو مذهب ليبنز الجبري Determinisme الذي يتعارض مع تعريف المسيو جانيه للحرية حيث يقول انها خاصة العمل ضد الميل الدافع

ويستخلص ليبنز من مذهبه هذا ان عمل الانسان خاضع دائما للعقل وانه اذا ارتكب الشر فللظن انه خير • فالانسان لا يفعل الشر الا عن خطأ

يرى من ذلك ان ليبنز اعتنق رأي سقراط وافلاطون في الفضيلة

العلم الالهي : الله هو السبب الكافي لوجود جميع الكائنات التي نراها . وهو السبب الكافي للائتلاف السائد بينها

ويضيف لبنز الى هذين الدليلين . برهان القديس انسلمس الذي اخذ به ديكارت — ثم حاول ان يردعنه كل نقد

ان كمالات الله هي كمالات نفوسنا غير انه تعالى يحوزها بغير حد — وتوجد فينا بعض القوة وبعض المعرفة وبعض الصلاح . ولكنه الكلي القدرة والفهم والصلاح

ومن ذلك يستخلص لبنز نظرية التفاؤل

قال « الحكمة السامية مضافة الى الصلاح الذي لا يقل عنها لا تناهياً لم يمكنها الا اختيار أصلح الاشياء

فاذن يكون العالم الحالي أحسن العوالم الممكنة وكماله هو سبب كاف لوجوده

لم يكتف لبنز باثبات تفاؤله بداهة a Priori بل اراد أيضاً التحقق من صحة مذهبه اختيارياً Posteriori والتوفيق بين وجود الشر مع القول بكمال العالم ولهذا الغرض يميز بين ثلاث انواع للشر

(١) الضرر النظري . والضرر الطبيعي الجسمي . والضرر الخلقي الادبي . ولاحظ انه لا يجب النظر الى العالم في وقت معين من اوقات الوجود بل في مجموع زمن وجوده الذي يتناول ابدية الاجيال المستقبلة

(نقد فلسفة لبنز) لتقدير هذه الفلسفة يجب ان لا يبرح عن البال انها اصلاحاً لمذهب لوك الحسي من جهة ولبعض اصول العقيدة الديكارتية من جهة أخرى

ولا ننكر انها تتضمن بعض الحقائق السامية غير ان بها أيضاً بعض أغلاط جسمية : فلبنز يخلط بين الحرية والارادة . وينكر حقيقة السبب الموحد بين النفس والجسم

اما نظريته في التفاؤل فيل الى نكران القدرة الالهية الكلية والتحتيم بضرورة الخليقة

ومع ان هذا المذهب في مجموعه معارضة واضحة للمذهب الحسي فهو لم يخل أيضاً من اضرار المذهب التصوري

٦٧

انصار لبنز

يسوغ لنا ان نعتبر من انصار حركة لبنز الفلسفية

كريستيان تومازيوس (١٦٥٥ — ١٧٢٨) الذي اتم تعريف معنى الجوهر ولكن كان أهم اشتغاله بالحق الطبيعي

وكريستان ولف (٩ ١٦ ١٧٥٤) الذي نشر فلسفة لبنزفي المانيا — والاب بسكوفتش (١٧١١ — ١٧٨٧) الذى عدل نظرية الوحدة . فارتأى ان الاركان الاخيرة للجسم هي نقط حقيقية لا تتجزأ ولا تمتد وضعت احداها على مسافة من الاخرى ولها قوتا الجذب والدفع

فهذان القانونان يكفيان لتفسير جميع الظاهرات الطبيعية والصفات الجسمية

وجان باتست فيكو (١٦٦٣ — ١٧٤٤) من مدينة نابولى اشتهر بمؤلفه « العلم الجديد » ذكر فيه المبادىء الاولى لفلسفة التاريخ .

المدة الثانية

الجيل الثامن عشر

للحركة الفلسفيه في هذا الجيل ثلاثةمراكزوهي (١) فرنسا (٢) انكلترا واسكتلنده (٣) المانيا

الفلسفه في فرنسا

تكاثرت في فرنسا المذاهب الفلسفية فبعضهاتجريبي ومادى وبعضها عقلي والحادي . وبعضها اجتماعي واقتصادي

٦٨

المذهب الحسى

كندلياك

ولد اتيان بونو دي كندلياك Condillac (١٧١٥ — ١٧٨٠) في مدينة جرينوبل وتعين مؤدباً لدوق دي بارما حفيد لويس الخامس عشر فألف له سلسلة دروس خاصة

اما اهم مؤلفاته فهي « مبحث في اصل المعارف البشرية طبع سنة ١٧٤٦ — وكتاب المذاهب (١٧٤٩) وكتاب الاحساسات (١٧٥٤) وكتاب لغة الاعداد ظهر بعد وفاته

ففي المؤلفين الاولين نقل كنديلاك وأتم آراء لوك في مصدر اللغة وعلاقتها بالفكر • اما في الكتابين الاخيرين فقد خالف استاذه فيهما وحاول ان يثبت صدور معارفنا وقوانا من الاحساس دون غيره قال « لنفرض تمثالاً مركبا مثلنا وله عقل خال من كل فكر

فعند حصول الرائحة الاولى ، تكون اهلية التمثال للشم منحصرة كلها في التأثير الذي يحدث في العضو

وهذا ما ادعوه بالانتباه »

فالانتباه اذن هو المصدر الذي تشتق منه كل قوى الادراك :
فالمقارنة ليست سوى انتباه مزدوج والذاكرة هي ما تبقى من احساس ماض ، والحكم ينشأ عن المقارنة ، والتروي ليس الا سلسلة احكام قد تدعي التخيل لو كان غرضها الصور ، كما ان التعليل استنتاج حكم من حكم آخر يتضمنه

اذن لا يوجد سوى احساسات في تعليلاتنا كما في احكامنا
واذا اعتبرنا احساساتنا كتمثيلية فاننا قد رأينا ان جميع ملكات العقل مشتقة منها. واذا اعتبرناها واقعية فسنرى انه يتولد عنها جميع القوى التي نعلقها بالارادة

فالالم الذي ينشأ عن الحرمان من شيء مسر يدعى (**الاحتياج**)
فالاحتياج يوجه جميع قوانا الى غرض وهذا التوجيه هو (**الرغبة**)
والرغبة التي تصبح عادة تدعى **الهوى** واذا كانت شديدة تصير **املا**

اما الرغبة المطلقة فهي الارادة بحصر الكلمة . ويجمل القول يطلق العقل على اجتماع الحس والمقارنة الخ — والارادة هي مجموع الاحساس المسر أو المكدر . والحاجة والرغبة الخ
اما كلمة الفكر فتشتمل قوى العقل والارادة ولما كانت هذه القوى جميعها تتولد بالضرورة من الاحساس كان الفكر على أي حالة . احساسا تغير شكله

اما مسألة اللغة فقد وقع كنديلاك في أغلاط جسيمة لم يقع فيها لوك • فعلى رأيه تكون اللغة مبدأ جميع قوانا المختلفة والعلوم ليست سوى سلسلة جمل متشابهة وعلى ذلك تكون اجادة العلم في اجادة اللغة

ملحوظة — يرتكز مذهب كنديلاك على مبدأ ان النفس لا تعرف الاشياء الخارجية الا بواسطة الاحساس . وهذا اعظم خطأ . لان الانسان الذي لا تكون له سوى خاصية الشعور . لا يعرف شيئا

وليس الانتباه — على رأي كندلياك الا احساسا خاصا فهذا الرأي هو أضعف نقطة في مذهبه لان الاحساس شيء انفعالي والانتباه فعلي والفرق بين الاثنين لا يمكن تجاوزه

كذلك توجد أغلاط كثيرة في باقي ارائه

فالمقارنة ليست انتباهامزدوجا . والحكم ليس مقارنة في جميع الاحوال . اما نظرية قوى الارادة ففاسدة فساداً مطلقا

ومن الخطأ البين الذي وقع فيه كندلياك تكييف الهوى بالامل . والامل بالارادة

كما اننا لا نفسر كيف نسي كندلياك التكلم عن الحرية ضمن نظريته في قوى النفس . ولا يستبعد انه ربما يكون مزجها بالغريزة أو بالرغبة

٦٩

المذهب المادي

المذهب المادي نتيجة طبيعية للمذهب الحسي المتقدم واشهر معتنقيه هم : هلفتيوس (١٧١٥ — ١٧٧١) الذي علم به في كتابيه الروح والانسان

والبارون دي هلباش (١٧٢٣ — ١٧٨٩) الذي كتب عدة

مؤلفات في المادية والالحاد واهمها « المذهب الطبيعي »

وسان لمبير (١٧١٧ — ١٨٠٣) الذي اوجز اخلاقيات هلفتيوس في بضعة قواعد دعاها باسم «التعلم الديني العام »

ولامتري (١٧٠٩ — ١٧٥١) مؤلف كتاب « الانسان النباتي) والانسان الآلي

٧٠

المذهب العقلي

بجانب الحركة المادية التي مال كثيرون من الانسكلوبيديين الى نشرها • قام الفلاسفة العقليون الذين اتفقوا مع الماديين في نظرية الاخلاق يخالفونهم في جميع المسائل اللاطبيعية وقد نصبوا انفسهم مدافعين عن حقوق العقل • فتولى زعامتهم فولتير وروسو بيد ان هذا الاخير اشتهر بتأثيره في المسائل الاقتصادية الاجتماعية اكثر من الفلسفة الصرفة

فولتير (١٦٩٤ — ١٧٧٨) Voltaire

تلقى العلم على اليسوعيين في كلية لويس العظيم ثم تعين ملحقا لسفارة فرنسا في هولنده • ثم نفي الى انكلترا على اثر مشاجرة

حصلت بينه وبين الشفاليه دي روهان

كانت رواياته : هزياد • وهيكل الذوق وغيرها سببا في شهرته الادبية • ورسائله الفلسفية رفعته الى رأس الفلاسفة المعاصرين

ليس لفولتير فلسفة خاصة وانما اعتنق مذهب لوك بدون بحث وكان يعتقد بخلود الروح وبوجود الله • وفي رسائله الى فريدريك الثاني انتصر ببلاغة لنظرية الحرية البشرية • ودحض مذهب لوك في المنفعة

غير ان اعترافه بوجود الله يناقض عقيدته فيما كتبه في رواية « كانديد » وفي قصيدته عن زلزلة ارض لشبونه فقد انكر وجود عناية ربانية • وفناء الكون

٧١

المذهب الاقتصادى

أخذ المفكرون في الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية في الجيل الثامن عشر ولنذكر بين الذين اشتهروا باصلاحاتهم :

مونتسكيو (١٦٨٩ — ١٧٥٥) Montesquieu

فكان تأثيره عظيما في الاقتصاد السياسي واشتهر على الخصوص بمؤلفه « روح الشرائع » مؤسسا على مبدأ « ان القوانين هي العلاقات الضرورية المشتقة من طبيعة الاشياء» وقد اوضح فيه ان الاجتماع طبيعي في الانسان وان القوانين الاجتماعية ليست اتفاقات تحكمية وانما هي مؤسسة على العلاقات الضرورية للاشياء وهو بذلك يخالف مذهب هوبز . ثم تكلم عن جميع اشكال الحكومات المختلفة وقال انها لا تخرج عن اربعة : الحكومة الاستبدادية القائمة على الخوف ، والحكومة الملكية ومبدأوها الشرف . والحكومة الجمهورية ومبدأوها الفضيلة ، والحكومة المختلطة الشورية ومؤسسة على تقسيم السلطات وهي أفضل الحكومات لانها تمثيلية

ومن رأيه الغاء العقوبات التعذيبية التي كانت شائعة في عصره والغاء الرقيق . والتساهل الديني . وايجاد محلفين في المحاكم

جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨)

J. J. Rousseau

كانت حياته ملأى بجلائل الاعمال وهو يعد من أعظم مشاهير عصره وممهدي الثورة الفرنساوية . وله مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب « العقد الاجتماعى » في الحقوق السياسية . وكتاب اميل في التربية

اما رأيه في السياسة فينحصر في « ان حالة الطبيعة للانسان ان يعيش في وسط عائلة بتواضع حر . وان الجمعية المدنية اصبح من الضروري وجودها نظراً لما طرأ على الاخلاق من الفساد . والملكية ضرر ناشيء عن حالة لاطبيعية وضد الاجتماع فالثمر مشاع للجميع واما الارض فليست لاحد — الجمعية المدنية والسياسية مؤسسة على اتفاق معقود بحرية . العقد الاجتماعي لا ينتج عنه تنازل الافراد عن حريتهم وكل عقد يخالف ذلك يكون لاغياً . انما هو عقد مساواة بين الجميع — بعد التعاقد الاجتماعي تظل السيادة من حق الشعب — وليس الحكام ملوكا انما هم وكلاء عن الشعب — لهذا الاخير الحق في كل وقت ان يعزلهم . ومن الاصوب والمستحسن ان تقسم المملكة الكبيرة الى عدة حكومات صغيرة

متحدة فيما بينها . ويجب ان تنفصل الحكومة عن كل دين سماوي بل تتخذ لها ديناً طبيعياً مدنياً تؤلف الامة مواده

اما تربية الطفل فتجب ان تكون سلبية أي خالية فقط من العيوب والاغلاط

فهذه الآراء الفلسفية السياسية التي قيلت منذ نيف ومائة وخمسين سنة كان لها أعظم التأثير حتى الان في حياة الشعوب قاطبة .

كسناي (١٦٩٤ — ١٧٧٤) Quesnay

هو مؤسس المدرسة الاقتصادية المعروفة بمدرسة الطبيعيين Physiocrates اذ كان يعتبر ان الارض مصدر جميع الارزاق واستنتج من ذلك ان الضرائب يجب ان توحد وتقوم تبعاً لنتاج الارض وغلتها وان مالك العقار هو الملزم دون غيره بدفعها .

ترجو (١٧٢٧ — ١٧٨١) Turgot

نشأت شهرته من خطابين القاهما سنة ١٧٥٠ في السوربون احدهما عن المنافع التي أدتها الديانة المسيحية للجنس البشري . والثاني عن تقدم الفكر الانساني

وقد تعين في القضاء فكان وكيلاً للنائب العمومي فمستشاراً في مجلس الشورى (البرلمان) فوكيلاً للمالية فوزيراً لها

وقد رفعه كتابه « تكوين الارزاق وتوزيعها » في مصاف الاقتصاديين وكان مشاركا لكناي في مذهبه

كوندرسيه (١٧٤٣ ١٧٩٤) Condorce

كان سكرتيراً لاكاديمية العلوم . فنائباً في الجمعية التشريعية ثم انتخبته سبع مديريات في حكومة « الاتفاق » ولكنه سقط مع حزب الجيرونديين ونفته الحكومة فاختفى ثمانية اشهر في منزل مدام فرنيه ولكن القي القبض عليه بعد ذلك واقتيد الى السجن فتجرع السم من تلقاء نفسه

كان يرى ترقي الفكر البشري وتدرجه الى الكمال كلما تقدم في المدينة

الفلسفة في انكلترا واسكتلندة

تعتبر الفلسفة في انكلترا واسكتلندة في الجيل الثامن عشر مناظرة لفلسفة لوك وللنتائج المادية التي استخلصها منها فلاسفة فرنسا . فالمقاومة كانت بالغة اشدها تارة ونتج عنها في الفرع النظري المذهبان : التصوري والارتيابي

وطوراً كانت غير تامة فأدت في فرع الاخلاق الى المذهب الوجداني أو المنفعة بمعناها الصحيح

وتارة كانت على اتمها وفي حدودها المعقولة فادت الى المذهب الاسكتلندي أي الى الذوق الفطري . وسنتكلم عن كل مذهب من هذه المذاهب المتعددة

١/٣ — المذهب التصوري Idealisme

جورج بركلي (١٦٨٤ — ١٧٥٣) Berkeley

ولد في كيلرين بالقرب من توماستاون في الجنوب الشرقي من ارلنده

تلقى دروسه في مدرسة « الثالوث » بدوبلن وتخرج منها وهو في الرابعة والعشرين من عمره . وقد صنف المؤلفات التي خلدت اسمه واهمها كتاب محاورات هيلاس وفيلوناوس

سافر كثيرا في ايطاليا وامريكا وبعد اوبته تعين اسقفاً لكلوين Cloyne في جنوب ارلندة . وبعد ذلك بثمانية سنوات اعتزل العمل فمات في اكسفورد سنة ١٧٥٣

(مذهبه) بنى بركلي فلسفته على نظرية لوك في المعرفة : نحن لا نعرف الاشياء الا بالصور التي نتخيلها لها • فنحن لا نعرفها مباشرة

فهل لهذه الاشياء ،التي نتمثها كمواد تحدث الظاهرات،وجود فعلي ؟

لا يمكن لنا التثبت من ذلك بما اننا لا نعرف الا ما فينا، أي تصوداتنا . ولا شيء يؤ كد لنا مُطابقة هذه التصورات على موضوعاتها

غير ان بركلي يقول « ان لا وجود للتصورات الا اذا كانت مدركة فيجب ان نكون اذن موجودين نحن الذين ندرك هذه التصورات

ولكن هل نحن الموجودون في العالم دون غيرنا ؟

يجيب بركلي على ذلك نفياً لان تصوراتنا محتمة علينا في اغلب الاحيان . وهي تحصل فينا بنظام متآلف لا يتعلق بنا • اذن يوجد روح آخر يخلق فينا هذه التصورات

فالعالم هو مجموع ظاهرات لا يتعلق بنا احداثها او ارتباطها

ولا يوجد هذا العالم الا في الادراك البشرى الذي يتخيله • وفى الادراك الالهي الذى يتضمنه ويجعله قائماً

لقد اراد بركلي دحض المذهب المادي فوقع في التصوري ولاعتباره الظاهرات الطبيعيه تتابع بغير غاية مهد الطريق لمدرسه ستوارت ميل التجريبيه

وقال فكتور كوزين « ان الانسان باعتناقه مذهب بركلي التصوري يؤمن بوجود الروح مصدر كل التصورات وبوجود الله العله الاولى لجميع هذه التصورات

فجاء هيوم ولاشى هذه الاعتقادات ونفى وجود الروح كما نفى بركلي من المادة صفاتها الاوليه وازال لوك صفاتها الثانوية من معرفتنا

٧٣ — المذهب الارتيابي Scepticisme

دافيد هيوم (١٧١١ — ١٧٩٦) Hume

ولد في مدينه نين ولس بكونتيه برويك جنوبي ادمبورغ رشح نفسه للمحاماة فلم ينجح فيها • فاراد الاشتغال بالتجارة فولته ظهرها • فقصد فرنسا واقام بها ثلاث سنوات في المدينه التي نشأ فيها ديكارت

وفي عام ١٧٣٩ نشر الاجزاء الاولي من مؤلفه « الطبيعه

البشرية » وظهر الجزء الخاص بالاخلاق سنة ١٧٤٠

ولما لم ينل كتابه رواجاً رافق الجنرال سنت كلير بصفة سكرتير لما كان سفيراً في ايطاليا والمانيا

وعندما عاد الى وطنه نشر كتابه «مباحث في العقل البشري» وفي سنة ١٧٥٧ تعين أميناً لمكتبة المحامين بادمبورغ . ثم الف كتابا في تاريخ انكلترا كان السبب في شهرته

(مذهبه) استخلص بركلي من المبادىء التي قررها لوك عدم وجود العالم الظاهري . اما هيوم فقد استخلص عدم وجود الجوهر جسمياً كان او روحياً

والغرض من الفلسفة نقد قوتنا المدركة التي تعلمنا ان الاشياء موجودة فيناولنا

نحن لا نعرف سوى حالات وجداننا والعلاقات التي تربط بعضها ببعض

فحالات الوجدان او الظاهرات الباطنية على نوعين

(١) التأثيرات او المدركات الحالية وهي تشتمل الاحساسات والاهواء والمشاعر التي نشعر بها

(٢) المثل او الصور الضعيفة للتأثيرات التي تحدث لنا بواسطة التذكر او التخيل

وما العلاقات التي تربط هذه الحالات الوجدانية ببعضها

البعض . الا التي تكون اساساً لتداعي المعاني : أي علاقات المشابهة أو المناقضة وتلازم الزمان او المكان والتعاقب المستمر

وقال هيوم : « زعموا ان الروح يوجد كسبب وكمادة جوهرية لتصوراتنا . غير انه لا توجد علة ولا مادة جوهرية لان الاختبار لم يوقفنا على أثر لهما . فلا ينطبق عليهما لا معنى الحس ولا معنى التأمل

فليست المادة الجوهرية في الواقع الا مجموعة مدركات مختلفة

فالتأثرات ذاتها هي ما ندعوه بالعالم الخارجي وتصور هذه التأثرات هو الذى ندعوه بالعالم الباطني

اما معنى السببية فهو مظهر التعاقب الضروري الذى يتخيله العقل طبقا للعادة

هذا هو مذهب الشك المطلق وقد حاول هيوم عبثا التخلص منه بوضع اعتقادات احتمالية في النظام المنطقي والاخلاقي للسلوك بمقتضاها

٧ :

المذهب الوجداني Sentimentalisme

١ — انطوني اشلي كونت شفتسبري (١٦٧١ — ١٧١٣)

Shaftesbury لا يسلم بوجود الخير لذاته فلا يجعل فارقا جوهريا بين الخير والشر فالذى يدفعنا لتحبيذ بعض الاعمال كأنها خيرة وللاشمئزاز من بعضها كأنها مضرة . هي حاسة ادبية أى صادرة عن ترو وتأمل

٢ — فرنسيس هتشسون (١٦٩٤ — ١٧٤٧)

Hutcheson

ارلندى الاصل صار في الخامسة والثلاثين من عمره استاذا في جامعة غلاسجو باسكتلنده وظل فيها حتى توفي

اما مذهبه في علم النفس فيتقارب من مذهب لوك ولكن رأيه الاخلاقي يرتكز على قوة خاصة في النفس تدعى الحس الادبي مضافا اليها معنى العاطفة والانعطاف

٣ — آدم سميث (١٧٢٣ — ١٧٩٠) Adam Smith

اسكتلندى الجنس كان مدرسا في جامعة غلاسجو أيضا . اما نظريته في العواطف الادبية تدمجه ضمن فلاسفة المدرسة الاخلاقية الوجدانية. غير ان مباحثه في ماهية ثروة الامم واسبابها تجعله في أول صفوف الاقتصاديين

ففي الاخلاق يقرر آدم سميث مبدأ الجاذبية او الائتناس Sympathie ويزعم ان كل فعل تأنس به او تنجذب اليه هو خير وللحكم على اعمالنا الخاصة يجب ان نقف عندها موقف الغير متحيز

وفي الاقتصاد السياسي يدحض آدم سميث نظرية «الطبيعيين Physiocrates ويقرر ان العمل مصدر الثروة والارزاق . وان شروط اجادة العمل وانتاجه بكثرة هو تجزئته والحرية في المبادلة أو في حمايته

٧٥

مذهب المنفعة Morale Utilitaire

جيرمي بنتام (١٧٣٢ — ١٧٤٨) Jeremie Rentham

ولد ومات في لندن وقد أوصى بتشريح جسمه

سار بنتام على مبدأ هوبز من ان الانسان بطبيعته اناني « محب لذاته » فقال « لا يعمل الانسان قيد اصبع لآخر الا اذا كان له في ذلك اعظم منفعة واكبر فائدة »

وما علم الاخلاق الا تنظيم الاثرة . وهو يأمر باستعراض اللذات المختلفة ويقارنها ببعضها البعض ويختار منها الاكبر في المقدار والكمية

هذه هي نظرية المنفعة التي وضع اساسها بنتام ونشرتها المدرسة الانجليزية الحديثة وقد اضافت عليها عاملاً آخر وهو صفة اللذات

٧٦

المدرسه الاسكتلنديه

أربعة فلاسفة يمثلون هذه المدرسة التي يدعوها فكتور كوزين « اعتراض الذوق الفطري للانسانية ضد افراط المذهب الحسي وضد المذهب الارتيابي . أولئك الفلاسفة هم توماس ريد . ودوجلد ستوارت . وروييه كولار . وهملتون

١ — توماس ريد (١٧١٠ — ١٧٩٦ Reid

كان ابن أحد القسوس المطهرين — وبعد ان كان راعياً لاحد الكنائس الصغرى . صار استاذا في ابردين . ثم في غلاسجو حيث أخلف آدم سميث

أما مؤلفاته فهي مباحث في العقل البشري . ورسائل في القوى العقلية . وفي القوى الفاعلة

وهو يرى ان الافراط في البحث النظرى يؤدي الى الشك ويبعد المرء عن الذوق الفطري

فاول شيء يجب ان تبحث فيه الفلسفة هو النفس وأصح طريقة تتبع في هذا البحث هي تطبيق طريقة الملاحظة التي شرحها بيكون على الافعال الباطنية وبذلك نتوصل الى معرفة التاريخ

الطبيعي للنفس

اما المسائل النظرية الخاصة بالعلة والغاية والمصدر والجوهر فيجب التوا كل فيها على الهام الذوق الفطري

واذ وضع « ريد » هذه المبادىء آخـذ في وصف قوى النفس فقسمها الى قوى عقلية (حس وذاكرة وادراك وتجريد . وحكم . وتعليل . وذوق . ووجدان) والى قوى فاعلة (غرائز . وعادات . واهواء . ورغبات وانفعالات ومنفعة وواجب) ووضع للقوى الفاعلة ثلاث مبادىء وهي : مبدأ آلي . ومبدأ حيواني . ومبدأ عقلي

وهو لا يسلم بنظرية « صور — المعاني » وهي نوع من الوسائط الالزامية بيننا وبين الاشياء . ويزعم اننا ندرك فوراً ومباشرة تلك الاشياء بغير توسط شيء آخر —

وانكر ريد ما ذهب اليه لوك من ان الحكم هو دائما ادراك مابين رأيين من الاتفاق أو الاختلاف — لان هذا الرأى تنقضه التجربة فقال « ان أول عملية لنا هي الحكم الطبيعي الابتدائي الذي نقرره على وجود الاشياء التى تستوقف نظرنا . فبتحليل هذا الحكم نتصور لكل شيء المعاني التي لها في ذاتنا . — فعلى أي شيء ترتكز أحكامنا الاصلية ؟ يقول ديكارت انها مؤسسة على مبدأ التناقض » — ولكن توماس ريد يؤسس معارفنا على خلاف ذلك فيقول « الاحكام الاولية — الواضحة بذاتها —

هي التي تصدر منا من تلقاء الذات بمقتضى نوع من الحس الطبيعي المشترك بين جميع الناس . وبالرغم عن جميع مجهوداتنا لا يمكنا الارتياب بتلك الاحكام اذ تظهر لنا اكثر وضوحاً من أي برهان أو دليل —

توماس ريد رجل ذو ملاحظة دقيقة صحيحة وهو ليس عالماً نظرياً — فهو يصف الظواهر ، ولا يفسرها . ويعدد جميع قوى النفس وجميع احكام العقل الاولية ولا يرتبها ولا يبين الاتحاد بينها

(٢) – دوجلد ستوارت (١٧٥٣ — ١٨٢٨) Dugald-Stewar

أشهر تلاميذ ريد وسار على خطة وتعاليم استاذه وقد شرحها في كتابه « مبادىء فلسفة العقل البشري »

(٣) — رويه كولار (١٧٥٣ — ١٨٤٥) Royer-Collard

علم في باريس مذاهب المدرسة الاسكتلندية وكان من تلاميذه فكتور كوزين ودامبرون . وجوفروا

(٤) – وليم هملتون (١٧٨٨ – ١٨٥٦) William Hamilton

« كتب محاورات في الفلسفة » « ودروس المنطق » والدروس

النظرية اللاطبيعية »؛ وفي كتاباته اثار من فلسفة الفيلسوف الالماني « كانت »

كل معرفة هي علاقة بين الفكر وموضوع التفكير فتكون اذن معارفنا تبعية وليست مطلقة وقد قال هملتون « التفكير هو اشتراط او تحديد أي اخضاع الشيء لشروط أو لحدود ولو تكون شروط او حدود فكرنا ذاته »

ونتج عن ذلك ان اللانهائي او المطلق لا يدركه العقل ولا يمكن ان يكون الا غرض الايمان — اذ انه في الواقع غير مستطاع ادراك شيء حقيقي بدون تعيينه او وضعه في فصيلة من الفصائل ومتى تعين الشيء أو تخصص بفعل صار خاصا او مضافاً لجنس

اما المطلق أي الذي لا ينسب لشيء خاص يكون مجردا عن كل تعيين ونفي كل ادراك

ولكننا نلاحظ على هذا القول ان المطلق لا يمكن تعيينه لانه كامل انما هو في أقصى حدود التعيين لانه في اسمى درجة من الكمال

الفلسفة في المانيا

٧٧

عمانويل كانت (١٧٢٤ — ١٨٠٤)

Kant

ولد هذا الفيلسوف في كنجسبرج ببروسيا الشرقية في ٢٢ ابريل سنه ١٧٢٤ . وتلقى دروسه في جامعة تلك المدينة حيث تعلم فلسفة لبنز كما شرحها ولف ثم تعين مدرساً فيها زهاء الستين عاماً فكان يدرس الفلك والرياضيات والفلسفة

وقد تأثرت افكاره الفلسفية بكتابة « هيوم » الذي ايقظه من ثباته اليقيني ، و « روسو » الذي أوحى اليه ببعض عقائده الادبية .

وقدقال عنه المؤرخ ميشليه ما يأتي « كان يوجد على شواطيء بحر البلطيق خليقة غريبة قادرة قل عنها ما شئت . فهي انسان بل مذهب بل مدرسة جدلية . بل صخرة صلدة رسخت في وسط البحر . وكل فلسفة حاولت الدنو من ذلك الشبح ارتطمت وظل هو باق فدعوه « كانت » ولكنه في الواقع يدعى « النقد »

ظل هذا الكائن المجرد زهاء الستين عاماً بدون رابطة بشرية يخرج في ساعة معلومة ليدور دورته المعتادة دون ان يكلم أحداً ثم يعود من حيث خرج

أما اهم مؤلفاته فثلاثة وهي : نقد العقل المجرد أو النظري (سنة ١٧٨١) ونقد العقل العملي (١٧٨٨) ونقد الحكم (١٧٩٠)

ويصدق على هذه المؤلفات قول «جوبرت» انها جبل اتوس صيغ من الفلسفة وعنده ترتطم الرؤوس البشرية

الفلسفة الانتقادية ، ليست القضية التي حاول (كانت) حلها جديدة ، انما هي اساس الفلسفة الحديثة

وقد تساءل عنها ديكارت للمرة الاولى في هذا السؤال « ما هي قيمة المعرفة » ؟

كان العقليون يقولون بامكان المعرفة بواسطة العقل الصرف بدون احتياج الى أي اختبار أو تجربة

فخالفهم التجريبيون في ذلك وذهبوا الى ان التجربة اساس كل معرفة ، والحواس ادلتها

فاعترى المفكرون الشك من هذا التناقض والتعارض وكاد يتجدد عهد السوفسطائيين (المغالطين) بروتغوراس وغورغياس فقام « كانت » مقام سقراط في ذلك العصر واراد وضع حد لهذه الحال المريبة فبحث في مصدر المعرفة واصلها والشروط

التي تحصل بواسطتها

ولم يتخذ لذلك اساساً : « ان المعرفة يجب ان تنظم مستندة الى الاشياء » بل أسسها على « ان الاشياء يجب تنظيمها تبعاً للقوانين العقلية

وتنحصر فلسفته في الثلاث مسائل الآتية

(١) ماذا يمكننا ان نعرف

(٢) ماذا ينبغي ان نعمل

(٣) ماذا نستطيع ان نأمل

وكان غرضه من دراسة المعرفة الوقوف على عواملها المختلفة ومقدار نصيبها من الصحة وقيمتها

نقد العقل النظري : بهذا النقد يحاول « كانت » الوصول الى الغاية الاخيرة من عقائدنا

فبعد ان ميز بين الاحكام التحليلية والاحكام التركيبية analytique & Synthetiques اثبت ان التركيبية هي التي توصلنا الي بعض المعرفة وهي أيضاً مدار العلوم

وهذه الاحكام — بحسب اعتقاده — على نوعين ، تالية وأولية .

فالاحكام التالية Pesteriori من السهل ادراكها لانها نتيجة الاختبار

ولكن كيف يمكن معرفة الاحكام التركيبية الاولية Priori ؟ هذه هي المسألة الواجب حلها

وللاجابة على هذا السؤال يميز « كانت » بين عاملين مهمين موجودين في كل معرفة : أحدهما اختباري تجريبي . والآخر عقلي بديهي

فالاول يأتي من الخارج وما على العقل الا تحصيله . وهو بطبيعته متغير وخاص ويدعوه « كانت » المادة أو العامل المادي

والثاني يأتي من العقل ذاته فيأخذه العقل من ذاته ويضيفه الى العامل الاول . وذاك العامل مستقر على حالة واحدة لا يتغير وعام ويدعى العامل الصوري

ويلاحظ كانت ان العامل الثاني المذكور هو الاساس الحقيقي للمعرفة . فالمادة من تلقاء ذاتها لا تتجاوز النظام الظاهري الصرف . ولا تصير شيئاً الا اذا اتخذت صورة، أى تطبق عليها قوانين العقل

فمسألة الارتيابيين تنحصر فيما يأتي : ماهى العوامل الاولية لكل معرفة وما قيمة تلك العوامل ؟

ان مرجع كل معرفة اما الى الاحساس أو الى الفهم أو الى العقل السامي

نظرية القوة الحسية:

القوة الاحساسية هي الامكان الذي أودع في الانسان ليشعر

بالتأثيرات التي تحدثها فينا الاشياء المختلفة وهذه التأثيرات تسمى « ادراك عقلي » intuitions وهى مادة المعرفة الحسية والعوامل الاولية aPriori أو الصور الحسية التي بمقتضاها تتخيل للظاهرات حقيقة واقعية ، تتلخص في أمرين : المكان والزمان — واراد « كانت » تعيين قيمة كل منهما فقال انهما صورتان يتخيلهما العقل ولا مسوغ لنا يجعلنا ان نضعهما في الاشياء. وينتج عن ذلك ان ليس في وسعنا معرفة الاشياء في ذاتها noumenes وانما « ظواهر الاشياء » Phenomenes

نظرية الفهم السامي l'entendement Transcendantal

غرضه ان يشكل معلومات القوة الاحساسية الى معان otion : أى مدركات تتكون منها الاحكام . فالمعلومات الحسية هي العامل التبعي Posteriori أو بالحري مادة أحكامنا . أما العوامل الاولية Priori الذي يطلق عليها هنا لفظ « الكليات Categories فهي القوانين الاصلية التي بمقتضاها يفكر الفكر أو يحكم وعددها اثنى عشر وهذا بيانها

الكمية	الوحدة
	التعدد
	الجمع

الكيفية
- الايجاب
- السلب
- التحديد

الاضافة
- الاستقلال
- التبعية
- التبادل

الحال
- الامكان
- الوجود
- الضرورة

فالكمية في الحكم تعين الشيء بكثرته أو قلته
والكيفية تبين العلاقة بين الصفة والموصوف
والاضافة تبين ماهية العلاقة التي تجمع بين الشيء الموصوف وصفته .

اما الحال فهو الصورة التي عليها انتقشت تلك العلاقة في الذهن .

ويحصل تطبيق هذه الكليات على المعلومات الحسية بواسطة حد أوسط وهو الزمان وهذا الحد هو الذي يدعوه « كانت »

باسم **Sheme transcendantal**

ولكن ما هي قيمة الاحكام الناشئة عن تطبيق الكليات على « المعلومات الحسية ؟

من الواضح ان هذه الاحكام ، باعتبار انها قوانين لعقلنا ، تؤدي الى اليقين . ولكن هل في استطاعتنا معرفة شيء آخر غير تلك القوانين ، وهل للاحكام التي نصدرها قيمة حقيقة خارجة عنا ؟

كلا بما ان المعلومات ، مادة احكامنا ، ليس لها في ذاتها قيمة وعند ما يكون لتلك المعلومات قيمة خارجية فاحكام الفهم لا يكون لها سوى ظاهرات باطنية صرفة بما ان الكليات التي بواسطتها نضع تلك الاحكام لا يجب اعتبارها الا كقوانين مكونة لقوتنا الفكرية اذ ليس لها أي علاقة بالاشياء الحقيقية

نظرية المنطق السامي **Dialectique Transcendantal**

العقل هو خاصة استنتاج حكم من حكم آخر . ويؤدي بجميع مدركات الفهم الى التعميم الكامل أو الى اسمى وحدة ممكنة والاحكام هي مادة هذه المعارف الجديدة والعوامل الاولية التي تدير العقل في هذا العمل الاسمى هي المعاني الثلاث الاساسية للنفس والعالم والله . تلك المعاني التي تقف عندها جميع معارف

فما هي قيمتها ؟ وبمعنى آخر هل تمكن البحث في علوم مابعد الطبيعه ؟

يجيب « كانت » على ذلك سلباً

لان البسيكو لوجية النظرية تؤدي الى قياسات باطلة Paralogisme التي حاولت اثبات وجود نفس بسيطه متماثلة مرتكنه على وحدة وتماثل الفكر لان الوحدة والتماثل المذكورين

اما علم التكوين النظري فلا يؤدي الا الى متناقضات ضرورية antinomies لاتؤدي الى حل القضايا الآتية : هل للعالم بداية أو هو ازلي قديم . هل هو لانهائي أو انه محدود المكان ؟ هل هو مؤلف من عناصر بسيطة أو قابل التجزئة بغير حد ؟ هل يحتوي على اسباب حرة أو كل شيء فيه معين ومحدود

كذلك اللاهوت النظري يزعم امكان اثبات وجود الله أي الكائن المطلق الكامل . غير ان البراهين التي قيلت للتدليل على ذلك لا تستطيع تخطي المثال الى الواقع

واننا باعتقادنا بوجود النفس والكون والله نصف الاشياء بما يصوره لنا الذهن فننتقل من الفكر الى الواقع بدون حق

اذن لا يمكننا معرفة الاشياء في ذاتها ولكن ظواهرها فقط

وهذه هي نتيجة العقل المجرد

نقد العقل العملي : تناول « كانت » هذا النقد توصلاً الى غرضين أولهما تعيين الاصل الاساسي الذي تبنى عليه الاخلاقية الانسانية وثانيهما تقرير بعض ماانكره العقل المجرد الخاص بالحرية وبوجود الله وبخلود النفس وبذلك يكون اجاب على هذين السؤالين : ماذا يجب ان نعمل . وماذا نستطيع ان نأمل

يميز « كانت » في كل عمل كما في كل معرفة بين المادة والصورة فالمادة مجموع الظروف التي يتنوع بها العمل والصورة المبدأ العمومي الذى يعيننا على تتميم ذاك العمل

وغاية « كانت » ان يبحث بين المباديء المختلفة التي تلزمنا على العمل وبين مختلف صور ميولنا ، تلك المباديء المشروعة التي تنطبق على طبيعتنا ولهذا الغرض قسم الفيلسوف نقده الى قسمين أحدهما تحليلي . والآخر جدلي

القسم التحليلي : (الواجب) ليحل كانت المسألة التي وصفها لنفسه — جاهلاً ما اذا كان يوجد شيء حقيقي ـ أخذ في تحليل معنى الغاية . فأول ما لاحظ ان هذا المعنى يحتم معاني القوة والحرية والادراك ، ثم تساءل ما هو السبب المشروع الذي يقضي بتلك العلة . فوجد انه يشتق من سبب الزامي وعام وهو الواجب أو بالحري الامر القطعي imperatif Categorique فهو اسمى قاعدة للسلوك وأصل الخير

ولكي أعرف اذا كان العزم الذي نويت عليه شرعياً من

عدمه فما عليّ الا ان أطبق عليه مبدأي الالزام والتعميم او ان اتبع هاتين القاعدتين العمليتين

(١) « اعمل ما يقرره لك عقلك انه الزامي »

(٢) اعمل ما يمكن اعتباره قانونا عاماً لكل عاقل وحر

واذا سألنا كانت عن مبدأ الواجب الذي يقول عنه انه « أمر قطعي » فتارة يجيبنا انه لا يعرف عنه شيئاً وطوراً يقول انه « استقلال الارادة » الذي يكون في ان كل انسان يجب ان يعتبر انه غاية في ذاته . وعلى ذلك تكون الارادة المطلقة قاعدة ومبدأ الاخلاقية

القسم الثاني — المبادىء المسلم بها Postulat ليس لنقد العقل العملي الا قيمة باطنيــة لا تتناول الاشـياء الحقيقية ولكن « كانت » يحاول به الوصول الى نقله الى الظاهر . لست محتاجاً للخروج من دائرة العقل لاجد معنى الالزام الحقيقي لان عقلي يعطيني هذا المعنى ويملي أيضاً عليّ هذا الامر : (يجب ان تعمل هذا أو ذاك) فاستخلص من ذلك انني موجود لان الالزام الحقيقي يستلزم وجود العلة الملزمة

واذ ثبت الوجود الذاتي . نتج عنه أيضاً الحقائق الآتية

الواجب هو قانوني ولكي يكون له معنى حقيقي يجب ان استطيع عمله اذ من المستحيل الزام انسان بعمل شيء لا يتعلق به فالحرية اذن شرط من شروط الاخلاقية

ومن الامتهان قصر الاخلاقيــة على الفضيلة كما توجد على الارض لانها بالضرورة ناقصة وتبعد عن الاخلاقية الكاملة وعن القداسة التي تتطلع اليها الارادة القوية فيستخلص من ذلك الخلود وهو الشرط الثاني للاخلاق

اذا كان الانسان لا يمكنه في هـذه الحياة الدنيا ان ينال السعادة والفضيلة . هل في استطاعته نوالها بذاته في الحياة الاخرى؟

يظهر ان هذا غير مستطاع بل يلزم معونة العلة الاولى

فالله اذن هو شرط ثالث للاخلاق

كتب « كانت » في أحد المواضع « اضطرت ان انفي العلم لاثبت الايمان » ففسرت هذه الجملة التناقض الذي احتوى عليه مذهبه . وظل الواجب الاساس الذي لا يتزعزع لجميع المعتقدات التي لا يتناولها الاختبار

(٣) الواجبات — تكلم الفيلسوف في أحد مباحثه عن الواجبات وقسمها الى طائفتين : واجبات حق ، وواجبات فضيلة فالاولى قد تتحتم علينا بضغط خارجي . والثانية لا نلتزم بها الا في الباطن

والحق ، اساس الواجبات الدقيقة ، يتضمن الحق الطبيعي والحق الوضعي . فالحق الطبيعي غريزي أو مكتسب . وخاص أو مشترك أو عام اما الحق الوضعي فيتضمن القوانين المشروعة

وتتعلق واجبات الفضيلة بنا أو بغيرنا . اما الواجبات الدينية

فهي في المرتبة الثانية في نظر «كانت»

نقد الحكم : يراد هنا بالحكم قوة خاصة من وظيفتها اثبات علاقة بين معلومات العقل المجرد ومعلومات العقل العملي والتوفيق بين عالم المادة وعالم الحرية[1]

ولهذا الحكم حالتان : حكم الجمال (استيتيكي) وموضوعه الجميل والسامي — وحكم العلة الغائية teleologique — الذى يبحث في غاية الكائنات

١ — حكم الجمال — ذكر «كانت» عدة تعريفات للجميل نذكر منها هذا التعريف : الجميل هو كل ما يؤدي الى اغتباط المخيلة الحرة بدون ان يتعارض مع قوانين الفهم

والسامي ينشأ من اختلاف المخيلة والفهم بخصوص شيء ليس له شكل محدود . فاذا وجدت للمناظر عظمة كالسماء ذات النجوم الزاهية فهذه هي القوة السامية

وكذلك يعترف كانت بالسمو الفكرى . والسمو الاخلاقى

٢ — حكم العلة الغائية — لنا على الطبيعة احكام منطقية بمقتضاها نجعل للكائنات غايتين احداهما باطنية خاصة بذات الكائنات . والاخرى تبعية او خارجية

فنحن نؤكد تأكيداً عاماً ضرورياً ان لكل عضو في الكائنات غاية يسعى اليها . وانه لا يحصل شيء في العالم بطريق

الصدفة او الاتفاق . وبذلك تظهر لنا كمجموع عظيم من الغايات تسعى كلها الي غاية أخيرة

بيد ان كل هـذه التعليلات باطنية نتصورها في ذواتنا . والعقل العملي الذي يرشدنا الى الخير الاعظم هو الذي يؤكد لنا ان الله هو حقيقة الغاية الاخيرة لكل موجود

(نقد فلسفة كانت) اظهر لنا كانت قدرته الفائقة في التحليل ولكنه اخطأ في كثير من المسائل مثل تأكيده بان العقل هو الذي ارشدنا عن حقيقة ذاتنا البشرية مع انها لم تعرف الا بالضمير أو الوجدان . وقد وقع في أغاليط المذهب الارتيابي بالرغم عما أظهره من البراعة في نقد العقل العملي لانه اذا كان العقل المجرد (النظري) غير قادر على الوصول الى المعرفة اليقينية فالتعليلات التي استخلصها من معنى السبب الحر . هي بالضرورة بدون قيمة

ويمكننا ان نلخص فلسفته في كلمتين : فلسفة ارتيابية في حقائق الاشياء . وفلسفة يقينية في الاخلاق

٧٨

خلفاء كانت

وفلسفة الحلول

قام في وجه كانت اثناء حياته معارضون مشهورون منهم برهارد (١٧٣٩ — ١٨٠٩) وبلاتنر (١٧٤٤ — ١٨١٨) اللذين دافعا عن مبادىء لبنز ، ثم هردر الذي عضد فلسفة باكون

بيد ان الفلسفة « الكانتيه » لم تلبث ان انتشرت في جامعات المانيا وتبوأت عرش السيادة بدون نزاع اثناء الثلث الاول من القرن التاسع عشر ولكنها تطورت الى فلسفة حلولية مع فخته وهيجل وشيلنغ

ان الفلسفة النقدية اذا فهمت على حقيقتها توصلنا بنظرية المعرفة الصحيحة الى اليقين . لانها اعطت لكل من المذهب التجريبي والمذهب العقلي نصيبه الذي يخصه . وقد تصير في مستقبل الايام الفلسفة الصحيحة أي تلك التي تعتبر كعلم ثابت القواعد والاصول .

فالعمل الذي بدأه او تصوره « ديكارت » وأتم بعضه « كانت » يكون حينذاك بلغ النهاية ويكون لنتائجه أعظم تأثير

على المدنية قاطبة

وماكان في وسع « كانت » بالرغم من نبوغه ان يقوم بايصال هذا العمل الى حد الكمال من النظرة الاولى لانه تشرب بمبدأ لبنز ، وحبه للترتيب التحكمي الذي تركه يتغلغل في استنتاجه « للكليات » جعل فلسفته النقدية غير مستوفاة فتسرب اليها الخطأ

وكان جل خطأه انه لم ينظر الى تلك الكليات كقواعد الغرض منها ربط الافكار بعضها البعض في نفوسنا ولم يقدر لظواهر الاشياء قدرها الحقيقي فأدت فلسفته بداهة وبالرغم منه الى مذهب المثال الباطني أي الى المذهب القائل بان لاوجود للاشياء العالمية الا في الفكر وبواسطته

ولقد قام فيلسوف يشبه « روسو » من وجوه كثيرة ويشبه أيضاً الفلاسفة الاسكتلنديين واظهر ما لشهادة الذوق الفطري والوجدان من القيمة التي ينكرها « كانت »

ذلك الفيلسوف هو « جاكوبى » (١٧٤٣ — ١٨١٩) المولود في مدينة دسلدروف . فقد جعل منزله منتدى الادباء والفلاسفة . وقد انتخب عضواً في اكاديمية منيخ سنة ١٨٠٤ وألف روايته الفلسفية **Woldemar** التي كانت سبباً في شهرته وله أيضاً رسائل في فلسفة سبينوزا ومحاورة بين المذهب التصوري ومذهب الواقع

اما رأيه في المعرفة فهي تصدر عن بصيرة السريرة وعن

الحواس ومن قوله : « اني ارى الشمس فهي اذن موجودة »
وافكر في الروح السامي فهو اذن كائن »

وقد وجه سؤالاً الى « كانت » وهو بأي عقل يثبت ان عقله مخطيء ؟

اما في علم الاخلاق فيرى جاكوبى ان الخير والشر تابعان للشعور .

فخته (١٧٦٢ — ١٨١٤) Fichte

تلميذ « كانت » — تلقى العلم في مدينة (يانا iéna) ثم تعين مدرساً فيها ثم في جامعة برلين . اراد ان يصحح مذهب استاذه بالتوفيق بين بواطن الاشياء وظواهرها . فقال

بما انه لا تكون ظواهر الا بوجود شيء ، فما لا فائدة منه افتراض « ذوات اشياء Noumenes » متعددة تحت جميع الظواهر . فلا يوجد سوى جوهر واحد هو (الآنية) Moi وعنها تصدر جميع الظواهر . فالآنية وحدها المفكرة وتعرف ذاتها وتستقر ثم تنفصل عن فكرها وتعارضه

ذلك ان الفكر يتوهم وجود شيء آخر غير آنيته أي عالم خارجي . بيد ان هذا التخيل هو عمل الآنية ومظهرها

فالآنية هي اذن كل شيء وهي الموجودة دون غيرها ويعتد

تفكيرها الى كل شيء لتحقق واجبها التصوري

ولما كانت اعمالنا كلها ترمي الى الفضيلة وهذه تكوّن في نسيان المرء كفرد لمنفعة وسلام المجموع . فعلى ذلك ينبغي علينا ان نشتغل بقدر استطاعتنا في اصلاح الجميع وفي نصرة العقل وسيادة الحرية

وشرح (فخته) هذه النظرية في كثير من مؤلفاته واخصها كتاب نظرية العلم ومصير الانسان

وقد عمل بمبادئه الاخلاقية هذه ، خصوصاً وقت الكوارث التى حلت بالمانيا فذهب ضحيتها اذ كان يواسي الجرحى الذين سقطوا فى ميادين القتال فاصابته عدوى اودت بحياته

***

قلنا ان نظرية (فخته) الاخلاقية حسنة جداً ولكن كيف نوفق بينها وبين المذهب المثالي الذي يجعل للآنية ذاتاً مطلقة أو بالحري الهاً خالقاً كل موجود

ان اول واجب على الفيلسوف ان يراعي عدم التناقض ومن التناقض الجمع في شيء واحد بين الوحدة والكثرة والخير والشر . فيظهر ان المانيا حكم عليها بان تكون بلد المتناقضات

هربرت (١٧٧٦ — ١٨٤١) Herbart

تعاليمه في مدينة كتنج كما في مؤلفاته أيضاً يستطع التخلص

من ذاك التناقض

بيد ان هذا الفيلسوف بذل جهداً عظيماً للتوفيق بين التجربة والتأمل واعطاء كل منهما نصيبه الشرعي وهو يعد تجريبياً بالنظر الى معاصريه الذين بهر ابصارهم الموجود المطلق

غيرالد هيجل (١٧٧ — ١٨٣١)

Hegel

تجاوز حد المتناقضات

ولد هذا الفيلسوف في استتجار وعلم الفلسفة في جامعة هيدلبرج ثم في جامعة برلين ومات بالوباء في هذه المدينة الاخيرة بعدان بلغ ذروة المجد والشهرة والنفوذ . فكان ذا مقدرة عقلية وعارضة جدلية

يقول هيجل ان الفكر والكائن شيء واحد « كل معقول هو موجود حقيقي وكل حقيقي معقول »

لقد أخطأ «كانت» في التفريق بين الهيولى أى الشيء المحتوي وبين الصورة أى المحل

وعلى رأي هيجل تمتزج الصورة بالهيولى ، وقوانين الفكر هي قوانين الواقع . الا ان المثال او المطلق دائم الحركة والترقي

فيتشكل الى انواع مختلفة

ولكي يتم وجود أي شيء يجب ان تتعاقب عليه ثلاث حالات وهي :

١ً حالة وضعية ايجابية these و٢ً حالة تعارضها سلبية antithese و٣ً حالة تؤلف بينهما Sy، these

فالايجاب بوضعه ، والسلب بمعارضته يتآلفان في ايجاب اسمى منهما وهذا التآلف يصير وضعاً جديداً ينتفي بسلبه ليتكون منهما تأليف ثان وهكذا على التعاقب

فكل شيء يحدث ويترقى طبقاً للحالات الثلاثة فاذا تم التطور اللانهائي للمثل . نتج عنه الغير متناه اى الله

الا ان هذا الغير متناه هو الحد الذى يدنو منه الفكر والواقع بدون ان يدركاه قط ولذلك يكون الله متجدد المصير وابدى التكوين

تلك هي نظرية المثال المطلق الذى يقلده الفكر البشري . وبه يوجد لنفسه شبه عالم نرى فيه ان كل الاشياء موجودة وليست بموجودة . بل هي غير موجودة أكثر مما هي موجودة بما انها « هي » وليست شيئاً « مما هي »

هـذا هو جوهر المذهب الحلولي الذى يوحد بين الخطأ والصواب ويجمع بين الخير والشر . فاذن كل ما هو عدل وظلم يجب ان يتلاشى امام تلك الضرورة المطلقة وبائساً المغلوب فالحق

للقوة وحدها ولها السياسة والغلبة !.

اما فلسفة شيلنغ (١٧٧٥ — ١٨٥٤) Schelling

ففي جوهرها مماثلة لفلسفة هيجل

ولد غليوم شيلنغ في دوقية ورتمبرغ وعلم فيها ثم في مونيخ فبرلين.

اعتنق المذهب المثالى المطلق ونظرية استاذه الحلولية ولكنه ميز بين الآنية وغيرها وجعلهما كوجهي قطعة من النقود موضوعة في (المطلق العام)

فما هو هذا المطلق العام ؟

هو العقل المطلق او المطلق اللاشخصى أو المصير العام

هو الجوهر الوحيد الذى يتحول الى هيولى. او اجسام عديمة الادراك هذا من جهة

ومن جهة أخرى هو الروح او الفكر او الآنية المدركة

وللحياة الفكرية ثلاث درجات :

(العلم) وهو ادراك المطلق ادراكاً باطناً

(والفن) وهو مظهر للمطلق بصفته الفردية

(والدين) وبه تتحد الروح بالحقيقة المطلقة راجعة بذلك الى المبدأ الذى صدرت منه

هذه هي نظرية المثال الخارجى او الظاهرى

المدة الثالثه

الجيل التاسع عشر

وعلى عتبة القرن العشرين

ليس في وسعنا ان نذكر في هذا الموجز جميع فلاسفة هذا العصر وانما سنلخص هنا المذاهب الجديدة التى كانت نتيجة تفكير كبار العقول في فرنسا، وانكلترا، والمانيا، وايطاليا، واسبانيا.

الفلسفة في فرنسا

للفلسفة في فرنسا مذاهب اربعة وهي المذهب المادي، والمذهب الروحاني، والمذهب الاشتراكي والاقتصادي والمذهب الوضعي واليك نبذة عن كل مذهب

٧٩

الماديون

لامارك (١٧٤٤ — ١٨٢٩) Lamarck

يزعم ان العادات الناشئة عن الاحتياجات التي اوجدتها الظروف والمؤثرات الخارجية تنتج أعضاء جديدة . وان الانواع الحية يمكنها ان تتحول وتندمج بعضها الى بعض وفي بعض

وهو يفسر الحياة بتأثير سائل ساخن تتناسل منه الكائنات التي تتولد بذاتها وتنشأ عن التهييج والشعور والحاجة والعضو المغذي .

ويعتبر لامارك مهيء الطريق لدارون

جال (١٧٥٨ — ١٨٢٨) Gall

أصله من دوقية باد — شرح مبادءه وملاحظاته في مؤلفين دعى أحدهما تشريح ووظائف المجموع العصبي ، ودعى الثاني «وظائف المخ »

وهو القائل بان جميع أعضاء القوى والصفات توجد في

الدماغ . ووجد في الجمجمة النتوآت التي تدل على جميع أعضاء الدماغ .

سبورزهيم (١٧٧٦ — ١٨٣٢) Spurzheim

تلميذ جال . بذل جهداً عظيماً في نشر مبادىء استاذه في جميع انحاء أوروبا وعلى الخصوص في انكلترا

بروسيه (١٧٧٢ — ١٨٤٠) Broussais

علم بالمذهب المادي في كتابه « التهيج والجنون » وقال ان جميع الظواهر الحسية والادبية والعقلية التي تتم فينا تصدر عن المخ

٨٠

المذهب الروحاني

Spirituali- me

حصلت في فرنسا في اوائل هـذا الجيل نهضة قوية تحت تأثيرات مختلفة ضد المذاهب المادية قام بها انصار المذاهب الروحانية القائلة بان العقل وحـده هو الواسطة في اكتساب المعرفة الصحيحة

فدستوت دي تراسي ولاروميجيير يوصفان بانهما نقطة الاتصال بين مذهب كنديلاك الحسي والمذهب العقلي

كان دستوت دي تراسي (١٧٥٤ — ١٨٣٦) Destutt de Tracy سجيناً أيام الثورة الفرنساوية واطلق سراحه في ٩ ترميدور . ثم تعين مدرساً للفلسفة فنشر دروسـه بعنوان « المباديء الفكرية التصورية »

ومن رأيه ان الفكر يصدر عن الاحساس والوجدان مرتكنا على المبدأ القائل (ان التفكر هو الشعور)

فالاحساسات والتذكارات والعلاقات والرغبات ، كلها وظائف للقوى الاحساسية والذاكرة والحكم والارادة

أما لاروميجيير (١٧٥٦—١٨٣٦) Laromiguiere فقد

تقدم خطوة أوسع من دي تراسي فالدروس التي القاها في كلية الاداب بباريس من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨١٣ وطبعها بعنوان (الدروس الفلسفية) تذهب الى ان جميع قوى النفس تصدر من الانتباه اذ يقول (يتضمن الفهم الانساني ثلاث قوى وهي :

الانتباه او الالتفات الذي يهب لنا المعاني

والمقارنة التي تصل تلك المعاني ببعضها البعض

والتعليل او التروي الذي ينظر في العلاقات الاكثر تعقيدا

هذه هي قوى الادراك الثلاثة ولا يوجد غيرها لان القوة الاحساسية ما هي الا استعدادا بسيطاً

اما الذاكرة ، فهي نتائج الانتباه او ما يتبقى من الاحساس الشديد .

والحكم اذا اعتبر انه ادراك علاقة بمتعلق . فهو شيء انفعالي يتبع المقارنة بالضرورة

والتروي والتخيل هما بلا شك قوتان . غير ان التخيل نوع من التروي في الشكل . والتروي ذاته يتألف من التعليلات والمقارنات وأعمال الانتباه . فهو اذن لا يتميز عن احـدى تلك القوى

اذن لا يوجد في النفس سوى ثلاث قوى . ولـكن ليس هذا كل ما في الامر

يريد الانسان ان يكون سعيداً . فاذا احتاج الى شيء تشترك جميع تلك القوى في العمل . واتجاهها الى الغرض الذي نشعر بالاحتياج اليه يدعى رغبة

والرغبة اذا استقرت على شيء اختارته بين جملة أشياء عد تفضيلا

والتفضيل بعد المداولة يسمى حرية

ويطلق على مجموع تلك القوى الثلاثة اسم الارادة . كذلك الارادة والفهم يجمعهما لفظ الفكر

تتولد الحرية عن التفضيل . والتفضيل عن الرغبة ، والرغبة عن المقارنة . والمقارنة عن الانتباه .

فثبت اذن ان الفكر او قوة التفكير التي تشمل جميع قوى النفس تصدر عن الانتباه

نقد هذه الفلسفة

نلاحظ مع فكتور كوزين انه يستحيل ان الفكر البشرى ينحصر باجمعه في هذه القوى الثلاثة أي الانتباه والمقارنة والتعليل أو التروي

نعم ان الانتباه شرط للادراك ولكنه ليس الادراك

ويلزم للمقارنة استطاعة الحكم . ولكنها ليست ادراك الحقيقة

واذا كان التروي هو الذي يسمح للعقل ادراك بعض الحقائق الخفية . فليس هو الذي يدركها

فاذن لاروميجيير نسي القوة الاساسية التي تدرك الحقيقة مهما عطي لها من الاسماء : الفكر او العقل او الفهم

كذلك من الخطأ القول ان الرغبة تنشأ عن القوى العقلية ولا هي اساس التفضيل والحرية

كما ان تعريف الحرية ناقص . وما كل تفضيل يدعى عملاً حراً اذ لو كان كذلك لكان الشر الذي يفعل عن طيب خاطر وبمسرة قلب بدون ترو . يكفي لرفع كل مسئولية ادبية عن الفاعل

فكتور كوزين (١٧٩٢ — ١٨٦٧) V. Cousin

هو مؤسس ورئيس المدرسة الانتخابية

تلقى الفلسفة عن رويبه كولار ثم اخلفه في تدريس تاريخ الفلسفة فنبغ في ذلك وطارت شهرته

واعتزل التدريس سنة ١٨٢٠ ثم عاد اليه في سنة ١٨٢٨ على عهد وزارة مرتنياك ثم عين على التعاقب مستشاراً للحكومة فعضواً في المجلس الملكي للمعارف العمومية فعضواً في المجمع العلمى الفرنسي ففى اكاديمية العلوم الادبية والسياسية فديراً لدار العلوم فاستاذاً اعظمْ في الجامعة

اما أهم مؤلفاته فهى دروس تاريخ الفلسفة فكتاب الحق والجميل والخير . ونبذات فلسفية

ويتضمن المذهب الانتخابي استخلاص أصدق الآراء من مختلف المذاهب وتكوين مجموعة منها تكون أتم مظهر للحقيقة

فلو اتبع كوزين هذا المذهب بحكمة وروية مسترشداً بالمبادىء القويمة التي تميز حقيقة بين الصواب والخطأ لسلمت من كل نقد

بيد ان هذه الطريقة كانت سبباً في الوقوع في اغلاط كثيرة

فكوزين زعم مع المدرسة الاسكتلندية ان الحس والوجدان لا يدركان الا الظواهر

اما معاني الجوهر والعلة والمطلق واللانهائي فهو يخصها بادراك العقل بدون دخل للتجربة . كذلك الحال في معنى الحق والجميل والخير فمثالها الاعلى يختص بنوع من العقل اللاشخصي اذا تصورته المخيلة بدون حقيقة واقعية . فكأن كوزين بذلك يجدد المذهب المثالي idealisme ونظرية « كانت » في جوهر الاشياء Noumene

وعبثاً حاول كوزين التمسك بالوحي الباطني أو شبه الايحاء ليبرر قيمة هذه المعارف الاساسية فانه لم يخل من متناقضات مذهب الظواهر العرضية ومذهب المثالين

ولكنه بالرغم من هذا العيب المنطقي فهو يشغل درجة راقية بين الفلاسفة الروحانيين بالنظر لدفاعه عن نظريات افلاطون

وديكارت في علم النفس والاخلاق وما بعد الطبيعة

تيودور جوفروا (١٧٩٦ — ١٨٤٢) T. Jouffroy

اشتهر ككاتب وخطيب وفيلسوف

كان يلقي دروسه في منزله من سنة ١٨٢٢ الى سنة ١٨٢٨ ثم في كلية الآداب ففي مدرسة المعلمين وأخيراً في كلية فرنسا

واهم فلسفته مذكورة في نظريته النفسية عن معلومات الوجدان .

وهو يتعارض مع الحسيين والقائلين بالظواهر ويخص الوجدان بالادراك المباشر للآنية النفسية التي هى بمثابة جوهر وكموضوع مماثل للظواهر المتغيرة وكسبب حر في اختياره

مين دي بيران (١٧٦٦ — ١٨٢٣) Main de Biran

تقلب في عدة وظائف حكومية رئيسية واشتهر بجملة مؤلفات وقال عنه فكتور كوزين « انه اكبر فيلسوف نظري تشرفت به فرنسا بعد ملبرانش » وقال عنه رويه كولار « انه استاذنا جميعاً »

وكانت أخص ابحاثه في النفس بواسطة التأمل Reflection وفي مختلف قواها

وكانت « الارادة » أهم ما لفت نظره . والاجهاد في نظره هو المظهر الاساسي للحياة العقلية والبشرية ففيه تتلخص معاني السببية والآنية . وهذا الاجهاد هو الذي يرشدنا الى الانية الايجابية وما يعارضها سلباً

جرنييه (١٨ ١ — ١٨٦٤) Garnier

مؤلف كتاب قيم في قوى النفس وهو أهم المؤلفات عن علم النفس في عصرنا الحاضر

وينتمي الى المذهب الروحاني كثيرون من علماء هذا العصر أمثال جول سيمون . وبول جانيه وفوييه وغيرهم مما لا يسعنا ذكر جهودهم وتحليل مؤلفاتهم الفلسفية في هذا الموجز

٨١

المذاهب الاجتماعيه

Sociologisme

نستعير هذا التعبير عن «اوجست كونت» للدلالة على عدة مذاهب فلسفية اهم اغراضها اصلاح الهيئة الاجتماعية

فالاقتصاديون (جان باتست ساي ، تلميذ آدم سميث . وبستيات . وبلانكي وغيرهم) يأملون ترقي الهيئة الاجتماعية بترك المصالح المادية تنتشر وتنمو بكل حرية خالية من كل قيد

وبعض الاشتراكيين وعلى رأسهم سان سيمون (١٧٦٠ — ١٨٢٥) يتمنون ان يسود الاخاء العام على العالم ويرغبون في تفكك اواصر الاسرة بتحرير المرأة من كل قيد وكل رابطة زوجية . ويطلبون توزيع ثمرات العمل على كل واحد بحسب قدرته وأهليته . وعلى كل أهلية بحسب عملها . وكل ذلك يحصل بسلطة الآب السامي

ومن رأي سان سيمون ان الانسان خلق للسعادة في هذا العالم . والسعادة تكون في نوال الشهوات وابطال حق الملكية الشخصية .

وتوجد فئة أخرى اشتراكية يتولى زعامتها فورييه

(١٧٧٢ — ١٨٣٧) تتوهم ان في الامكان تشارك الناس في جمعية عامة بواسطة الاجتذاب الجنسي الذى يهيمن على العالم الادبي كما يهيمن الجذب الطبيعي على العالم المادي

ويتم ذلك بانشاء « بلوكات Phalanstere » وهي مساكن تخصص للناس الذين تؤلف بينهم اميال او مهنات متجانسة

وكل بلوك ينقسم الى فئات . وكل فئة تحتوى على مجموعات وكل مجموعة تضم عدة أشخاص يحترفون حرفة واحدة

وتوزيع نتاج العمل يحصل بنسبة رأس المال والعمل والكفاءة مجتمعين

وهناك طائفة أخرى (بيير ليرو ١٧٩٨ — ١٨٧١) وجان رينو (١٨٠٦ — ١٧٦٣) تطلب الاخاء العام مثل الشيعة المنتمية الى سان سيمون . غير انها تشير « بالتضامن » للوصول الى غرضها

وهذا التضامن هو الذي يصيغ الاثرة والايثار في مبدأ واحد . والعائق الوحيد الذى يحول دون تحقيق هذا الغرض هو الاستبداد الذي تغلغل في العائلة باستعباد المرأة . وفي الحكومة بتمييز فئة عن أخرى وشخص على غيره . وفي الملكية باحتكارها تحت أيدي بضعة انفار قلائل . فيجب القضاء على ذلك الاستبداد

وشرح « ليرو » في كتابه : الانسانية ومبدؤها ومستقبلها

كيف ان الانسان صائر الى الكمال بدون حد وان رقيه يتم في هذا العالم الارضي في حياة متعاقبة

واستوفى (رينو) شرح هذا المذهب في كتابه (الارض والسماء)

اما بطرس يوسف برودون (١٨٠٩ — ١٧٦٥) Proudon

فله مركز خاص بين الاشتراكيين لانه يريد تطبيق مذهب هيجل على الانظمة الاقتصادية والاجتماعية

وهو وان كانت له آراء ثورية والحادية كقوله (ان الملكية هي لصوصية وان الله هو الشر) فله أيضاً أفكار سامية عن الكرامة البشرية وجمال العدالة وكل ذلك ليس لله فيه يد)

انه لا يلغي حق الملك على الاطلاق بل يقول بالحياة الدائمة ولكنه يؤكد ان العمل وحده هو الذي يبرر حق الامتلاك

وقد قاوم بشدة المذهب الشيوعي ومهد طريق الاشتراكية الحديثة . وطلب الغاء الفائدة عن الاقتراض وجعل ضريبة مال واحدة توضع على العقار ليس الا

بيد ان لويس بلانك « الابيض » واتيين كابت . تجاوزا جميع الاشتراكيين بارائهما المتطرفة فهما يريدان المساواة المطلقة بين جميع الافراد وتقسيم الارزاق بين الجميع

ولتحقيق هـذا الغرض يودان الغاء التجنيد والقضاء على الجيش . وترتيب العمل ، وفرض الضرائب على الايراد

٨٢
المذهب الوضعي

Posivitisme

قال العلامة فوييه : ان مذهب سان سيمون الاشتراكي مضافاً اليه مذهب كبانيه بروسكس المادي تولد عنهما مذهب اوجست كونت الوضعي

ولد اوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧) Auguste Comte في مدينة مونبليه ودخل في سنة ١٨١٤ في مدرسة الهندسة ثم اضطر للخروج منها لمخالفته النظام . وفي ذلك الوقت تعارف على سان سيمون زمناً قصيراً . وفي سنة ١٨٢٤ تولى زعامة المدرسة الوضعية ومبداؤها رفض كل ما لا يتحقق بالاختبار

والمباديء العامة في هذه الفلسفة تنحصر في ثلاث مسائل :

الاولى — قانون التطور الفكري في ظرف ثلاثة ازمنة

الثانية — ماهية المعرفة

الثالثة — ترتيب العلوم المختلفة

(١) فقانون الازمنة الثلاثة هو أهم تلك المسائل في نظر الفلاسفة الوضعيين . او كما يقول ستوارت ميل « انه السلسلة الشوكية لتلك الفلسفة »

ويتلخص هذا القانون فيما يأتي :

كان الناس في بدء امرهم ينسبون الظاهرات التي يشاهدونها الى قوات غير منظورة يدعونها آلهة ، وهذا هو العصر اللاهوتي مع مختلف عقائده من حيث التوحيد والتعدد

ولكنهم لما رأوا ان الظاهرات تحدث على وتيرة واحدة لا تتغير ، وهذا لا يتفق مع الارادة المتغيرة ، اعتقدوا بوجود صفات خفية أو خواص او سوائل جاذبة

وهذا هو العصر النظري

وأخيراً أخذ التأمل يبدد تلك الخطرات الفكرية المضطربة التى لا ترتكز على أساس . وبحث الفكر في اسباب تلك الظاهرات التي تسبق او تلازم حدوثها

وهذا هو عصر العلم الوضعي الذي نعيش فيه الآن

(٢) الشيء الواقعي هو وحده موضوع العلم لانه وحده الذي يمكن تحقيقه بالاختبار وربط اسبابه بمسبباته

فالحوادث التي يمكن ملاحظتها هي الحوادث الظاهرة . اما الحوادث الباطنة فلا يمكن معرفتها

والعلم الخاص بالانسان هو علم هذا الوجود

والعلاقات التي يمكننا معرفتها هي التي نستطيع ادراكها بالحواس اي علاقات المشابهة بالتوارث

اما البحث عن العلل الفاعلة والغائية فبحث مناف للعلم . وجميع معارفنا نسبية بالاضافة الى شيء آخر اذ لا يوجد شيء مطلق

ولا يفهم من ذلك ان العلم يؤدي الى القول بالمادية وبالالحاد كلا لانه لا ينكر النفس ولا الله انما يجهلهما

(٣) يرتب كونت العلوم كالآتي :

الرياضيات . فالفلك . . فالطبيعة والكيمياء . فعلم وظائف الاعضاء . فعلم الاجتماع

وهذ الترتيب يتناسب مع تكوين العالم : فالحياة الادبية قوامها الحياة العضوية . وهذه قوامها الكيمياء . وقوام الكيمياء الطبيعة . وهذه قوامها الفلك . وقوام هذه العلوم الرياضيات

امافي علم الاجتماع. فقد فسر اولا مايدعوه بالاعتدال والحركة بنوع من الميل الذي تنجذب به الاجرام بعضها الى بعض بدون حرية او اختيار بل بناموس آلي تام كما يحصل في الاجرام السماوية ولكنه عاد وابدل هذه الحركة الآلية بقانون الايثار الذي بمقتضاه يفضل الانسان غيره على نفسه

ثم أدى به القول أخيراً الى الاعتقاد بدين عام للانسانية

اميل لتريه (١٨٠١ — ١٨٨١) Emile Littré

كتب نبذتين عضد فيهما المذهب الوضعي وهو يسلم بان الظواهر الحسية هي وحدها موضوع العلم ولا ينكر كل بحث نظري انما يقول بانه غير مدرك . اما في علم النفس فانه يرجعه الى ظواهر مخية

هيبوليت تين (١٨٢٨ — ١٨٩٣) Hyppolyte Taine

انضم الى المذهب الوضعي وكان اول كتاب فلسفي له هو « الفلاسفة الفرنساويين في القرن التاسع عشر » وهو رسالة هجو ضد المدرسة الروحانية

اما مذهبه فمشروح في كتابه « الفهم » وفيه يقول ان العلم لا يتناول الا الشيء المحسوس ، والاحساس والفكر متماثلان وما الفكر الا احساس ضعيف . والادراك وهم حقيقي

ومجمل مذهبه يؤول الى مذهب كندلياك الحسي بدون ان يلتفت الى الفكر او الحكم او التعليل

٨٤

مدرسة النقد الحديث

شارل رينوفييه (١٨١٥ - ١٩٠٣) Ch. Renouvier

حاول هذا الفيلسوف بعد كانت ان يحل مذهباً جديداً للنقد النسبي محل الفلسفة التجريبية والظاهرية كما فهمتها جميع المدارس الفرنساوية الفلسفية

فامتحانات النقد العمومي وعددها خمسة تتضمن فحص قوانا الخاصة بالمعرفة وبموضوع معارفنا ودرجات اليقين

وهو يسلم مثل كانت اننا لا نعرف سوى ظواهر الاشياء أي العامل المتمثل في ادراكاتنا واننا نفرض الكليات الباطنية لقوانا على الظواهر وهذا هو العامل الممثل

غير ان رينوفييه يخالف كانت في مسألة ذوات الاشياء noumenes

فعلى زعم رينوفيه يكفي قانون الظاهرات ويقوم مقام الجوهر وبذلك تكون موضوعات المعرفة هي من اعمال الوجدان والاعمال الخارجية وعلاقات تلك الافعال بعضها ببعض

ويقول ان علاقات الظاهرات وقوانينها تثبت بفعل

الارادة الحرة

ويختم نظريته بان العلم نسبي أو بالحري لا يوجد علم بالمعنى الصحيح

٨٥

المدرسة التقليدية

Traditionalisme

تنقسم المدرسة التقليدية الى قسمين (احدهما) معتدل وهو الذي يقلل من قوى العقل الطبيعية ومن فلاسفة هذا الفريق

(١) الكونت جوزيف دي مستر (١٧٥٤ — ١٨٢١) J. de Maistre ولد في شمبراي حيث كان والده رئيس برلمان سافوا . واشهر مؤلفاته كتاب ليالي «بتروغراد

وقد اظهر في هذا الكتاب ان الله يهيمن على العالم وقال في موضع آخر ان الانسان يتألم لانه مجرم . وكل مرض جسماني متسبب عن ألم أدبي . والتفكير هو اهتمام كافة الشعوب وهو أيضاً غرض الحكم الالهي . وعن ذلك نشأت الحروب والاوبئة

(٢) الفيكونت لويس دي بونلد (١٧٥٤ — ١٨٤٠) L. de Bonald أعظم مدافع عن الملكية بعد الثورة الفرنساوية

وهو مؤلف كتاب « مباحث فلسفية عن الموضوعات الاولى للمعارف البشرية والتشريع الاصلي

ومن رأيه ان اللغة أوحي بها الخالق الى الانسان لان هذا لا يستطيع بقوته الطبيعية وحدها ان يبتدع النطق

وان الانسان لا يعرف فكره الا بواسطة الكلمات فينتج عن ذلك ان الافكار التي علمها الله للانسان هي الهية بمصدرها كالنطق ولذلك لا تكون عرضة للشك فيجب اذن التسليم بان الحقيقة المؤكدة مؤسسة على الوحي أو الانكشاف الالهي الاصلي ورثناه نحن بالتقليد والتسليم عن السلف

وثاني القسمين تقليد مطلق وهو القائل بان العقل الفردي لا يستطيع قطعياً الوصول الى المعرفة المؤكدة

واشهر القائلين بذلك هما : لامنيه والاب بوتين

لامنيه (١٧٨٢ — ١٨٥٤) F. de Lamennais له كتابان جعلاه في مصاف الفلاسفة وهما «مبحث في عدم الاعتداد بالدين ونبذة فلسفية

اما باقي مؤلفاته : كلمات مؤمن ، وكتاب الشعب ، والرق الحديث فكلها جدلية ضد الكنيسة والحكومة الفرنساوية

قال لامنيه : ان جميع وسائل المعرفة التي يستطيعها الانسان لا ثبوت لها وهي مع ذلك خادعة لان الحواس تمثل لنا العالم في صورة خيالية . والشعور الوجداني لا يرشدنا عن حقيقة انفسنا

والعقل التابع للتجربة ليس له الا مقدمات مكذوبة . فاذن لا توجد حقيقة يقينية الا بارشاد الهي وبالتسليم التقليدي

اما الاب بوتين (١٧٩٦ — ١٨٦٧) Abbé Bautain

فلا يعترف في كتابه « فلسفة المسيحية » بصدور الحقيقة الا من الانكشاف الالهي ، وكل معرفة هي الاعتقاد بكلمة الله

٨٥

الفلسفة فى المانيا

ظلت فلسفة « كانت » السائدة على العقول في المانيا حتى سنة ١٨٣٠ بفضل خلفائه فخت وهيجل وشيلنغ — ولكنها انقلبت بعد ذلك الى «وضعية او تجريبية» مع لوتز ، وهلمولتز . وويبر وفخنر .

والى « مادية » مع مولخت . وبخنر . وفوجت . وهيكل
والى « تشاؤمية » مع شوبنهور . وهرتمان . ونتشه

هرمان لوتز (١٨١٧ — ١٨٨١) H. Lotze

المولود في بوتزن كان اكثر الناس علماً بمذهب هيجل ولكنه مع ذلك كان اكثرهم كراهة لذلك المذهب فاخذ في معارضته ونقده
وقد حاول ان يجعل للادراك مواضع في النفس وهو يعتبر أول من مزج علم النفس بعلم وظائف الاعضاء

اما هلمولتز (١٧٢١— ١٨٩٤) Helmholtz

المولود في مدينة بوتسدام . فانه اضاف الى طريقة لوتز حساباً دقيقاً يختص بسرعه السيال العصبي

وفترة الزمن بين الظواهر الطبيعية العضوية وبين الادراك المدرك
ولهذا الفيلسوف مؤلفات مهمة في العدسات والصوت والكهرباء .

اما فيبر Weiber

فقد بين دوائر الاحساسات والفرق بينها وبين دوائر الاجسام المنحنية

اما جستاف تيودور فخنر (١٨٠١ — ١٨٨٧) Fechner

المولود في جروسن سرخن . فانه نشر سنة ١٨٨٠ ابحاثه في أصغر قوة لكل حاسة من الحواس . وفي الفوارق الموجودة بين الاحساسات المتشابهة . وهو الواضع للقانون الخاص بعلاقة التهيج بالقوة الاحساسية
ويتلخص هذا القانون في « ان الاحساس ينمو بدرجة لوغاريتمية للتهيج »

نادى بالمذهب المادي في المانيا في هذا الزمن الفلسوف الطبيعي

مولخوت (١٨٢٢ — ١٨٩٣) Moleschott

المولود في « بوا — لي — دوك » وقد دافع عن هذا

المذهب دفاعاً شديداً في كتابه « الدورة الحيوية » وكتاب « وظائف التغذية »

كذلك بختر (١٨٢٤ — ١٨٩٩) Bnchner

مؤلف كتاب «القوة والمادة»

ولد ومات هذا الطبيب الفيلسوف في مدينة درمستاد . واشتهر أيضاً بفلسفته المادية كارل فوجت (١٨١٧ — ١٨٩٨) المولود في مدينة جيسين . بدفاعه الحاد عن أنظرية « التطور » في كتابه «دروس في الانسان» وهو القائل ان المخ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء . وكما تفرز الكلى البول !

وهيكل Hæckel

الطبيعي المولود في بوتسدام سنة ١٨٣٤ ذهب بنظرية «التطور» الى ابعد غاياتها واقصى مدلولاتها . فانه ارجع كل شيء الى ذرة واحدة حية monere اشتقت منها كل الكائنات بنوع التطور التدريجي السائر في سبيل الترقي

٨٦

امارتورشوبنهور (١٧٨٨ — ١٨٦٠)

Schopenhauer

ولد في مدينة دنتزج وكان والده أحد أغنياء التجار ذكرت فلسفته في كتابيه «الجذور الاربعة لمبدأ السبب الكافي» « والعالم ارادة وتمثيل »

فرأيه ان جميع الظواهر الاختيارية واحكامنا واشكال الزمان والمكان . وفعل الفاعل ونتيجة فعله . كل ذلك مرجعه ومصدره « الارادة » دون غيرها وهي العلة الكافية لتعليل كل شيء

« فالعالم هو ما امثله » او هو نتاج الفهم

وشهرة شوبنهور في (تشاؤمه)

قال : اثبت العلم ان الانسان يشعر بالالم وبشدته كلما زاد رقيه وكلما تقدم في العمر، والنوابغ اكثر الناس تألماً. وان الحب سبب اكبر المصائب واكثرها التي حدثت في العالم • فهو منشأ البغض والحروب والغيرة والخيانة والخجل والجنون

ان (المطلق) الذي ابدع كل شيء بدون غاية وبلا سبب أوجد في كل الكائنات الرغبة في الحياة ولكن الحياة جهاد . والجهاد تألم . ودواء ذلك ملاشاة « الرغبة في الحياة ولا يكون ذلك بالانتحار ، بل بان يدمج الانسان ذاته في مشاهدة هذا الكون العظيم طبقاً للمذهب البوذي

وهو يرى ان العالم الحاضر اقبح العوالم التي يمكن وجودها

ولكن ادورد دي هرتمان (١٨٤٢ — ١٩٠٦) Hartmann

خفف من شدة تشاؤم شوبنهور بأن سلم بمبدائين احدهما الخير والثاني الشر ، فوضع بجانب الارادة عنصراً آخر لا يدرك ذاته فيرتب المواد المرتبكة التي تتوارد على الارادة

فالعالم اذن ليس رديئاً بجوهره ، انما هو اضر من العدم

ولكي يقارن هرتمان بين الخيرات والشرور شرح ثلاث حالات للحياة البشرية وشبهها باحلام ثلاثة للحصول على السعادة بدون سعادة حقيقية :

(الحلم الاول) تكون السعادة في هذا العالم بتنمية وتقوية قوانا — وهذا هو ضلال الوثنيين : لان حب الوطن ، والتضحية والمجد ، والحب — كل ذلك وهم وجنون وألم

(الحلم الثاني) سعادة الانسان في العالم الآخر ، أي في فردوس النعيم ، وهذا هو التعليم الالهي

غير ان هرتمان لا يعتقد بوجود آخرة فالحلم اذن — على زعمه — لا وجود له

(الحلم الثالث) السعادة التي لا حد لها ودائماً في ازديادوهي امال البشرية المستقبلة ولاجلها يضحي الفرد سعادته الحالية وهذا الحلم هو تعليم بعض المفكرين الاحرار ولكن الترقي يكتسب بترقي الفكر ، وكلما ترقى الفكر الى الكمال كلما ازداد الانسان تعاسة وألماً ، لانه يزداد فهماً فيكثر شعوره بالالم

والنتيجة : يجب ان يجتهد الانسان في تقصير حياته فلا يسعى للحصول على مسرات الحياة الى ان يأتي يوم ينتحر فيه العالم بالتلاشي

اما نتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠) Nietzsche

فانه حاول في جملة مؤلفات تأسيس مذهب خلقي مبني على الاثرة والانانية . ومن مبدائه نمو القوة الحيوية نمواً زائداً ، والغاية من ذلك ايجاد نوع جديد من بني الانسان هو الانسان السامي »

فقد « نتشه » صوابه وجن سنة ١٨٨٩

وقال العلامة فوييه الفرنساوي « ان مذهب نتشه التعس يؤدي الى مستشفى المجاذيب ونظريته بدلاً من ان تخلق « الانسان السامي » فانها أوجدت الانسان السافل

٨٧

الفلسفة الانكليزية

المذهب الحسي هو السائد على عقول الفلاسفة الانكليز في هذا العصر . وأشهر ممثليه هم ستوارت ميل — وداروِن — وهربرت سبنسر — واسكندر بين

نظرية التشارك Associa ionisme

جون ستوارت ميل J. S. Mill

ولد في مدينة لندن في ٢٠ مايو سنة ١٨٠٦ وتوفي في سنة ١٨٧٣

أعجب بفلسفة « أوجست كونت » وادعى التلمذة له ولو انه لم يسلم بكامل نظرياته

وأهم كتبه هي : بحث في فلسفة هملتون . ومباديء الاقتصاد السياسي . وكتاب المنطق

اما مذهبه في علم النفس فتجريبي صرف . اذ يقول ان جميع افكارنا واحساساتنا قابلة للتشارك اذا كانت من نوع واحد فقانون التشارك أو تداعي المعاني • هو اساس الظواهر

الباطنية . اذ اننا عند ما نعتاد على جمع معنيين ببعضهما البعض فاذا خطر أحدهما على الفكر في وقت ما ننتظر ان يخطر الثاني فهذا الانتظار هو اساس الاستقراء .

فنظرية « التعود » لا تفسر معنى « الآنية » ولا معنى « المطلق » ولكن ستوارت ميل اجتهد ان يفسر (الآنية) بواسطة الاحتمالات المستمرة غير ان تفسيره غامض

وقد قبل معنى (المطلق) بدون بحث كعامل جوهري للوجدان والفكر

(فالمطلق) حسب رأيه غير قابل للتعريف ولكنه يدرك ادراكا فحسب

(مذهبه الخلقي) اضاف ستوارت ميل على الحساب الخلقي الذى ذهب اليه بنتام — عاملا آخر وهو « الصفة » اذ يقول : ان الافضل ان يكون الانسان سقراطاً متكدراً عن يكون خنوصاً متلذذاً

ولكنه لا يسلم بالالتزام الادبي ويرى استبداله بقوة جاذبية « التعود » الذي نشأ عليه الانسان من صغره فاشرك الفائدة العامة بالفائدة الخاصة

فعلم الاخلاق وعلم الاجتماع يكونان علماً واحداً لا فارق بينهما

كما أنه يؤسس حق الملكية على «العمل» ويحبذ كثيراً الحرية

ورأيه السياسي ان تبنى الديموقراطية على حق التصويت العام والنسبي الذي تكون الاقلية ممثلة فيه

داروِن (١٨٠٩ — ١٨٨٢)

Darwin

ولد شارل روبرت داروِن في شروسبري في الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٨٠٩ وتوفي في داون يوم ١٩ ابريل سنة ١٨٨٢

بدأ حياته المدرسية في شروسبري ولكنه لم يكن يهتم الا بالصيد وبالكلاب حتى قال له والده يوماً « انك ستكون عاراً على عائلتك وعلى نفسك »

وفي سنة ١٨٢٥ أرسله أبوه الى ادمبورغ ليتعلم فيها الطب . فلم يكن يعبأ بالدرس لانه لاحظ ان والده سيترك له ثروة كافية ليعيش بها بدون احتياج لممارسة مهنة الطب

وكانت المحاضرات تضايقه كثيراً وتردده على المستشفى يلقى الرعب في فؤاده . وقد حضر عمليتين خطرتين احداهما عملت في طفل فارتاع منها وهرب من المستشفى ولم يعد يضع قدمه فيه مرة أخرى

وانتقل بعد سنتين الى كمبردج . وكان يمضي اكثر اوقاته في جمع الحشرات المختلفة وتعرف اثناء ذلك بالعالم النباتي هنسلو

وفي دسمبر سنة ١٨٣١ سافر مع بعثة في « أرض النار » ومكث فيها حتى سنة ١٨٣٦ وهذه المرة كان لها أعظم تأثير في حياته

ثم تزوج في سنة ١٨٤٩ ابنة عمه أيما ورجور واقام ثلاث سنوات ونصف في لندن ثم اشترى ملكاً في مدينة داون التي تبعد عن لندن مسافة ساعة في السكة الحديد فقضى باقي ايام حياته في وسط سكون الطبيعة واخضرارها

مؤلفاته : أصل الانواع ، تسلسل الانسان ، مظهر التأثيرات في الانسان والحيوان

فلسفته : — تدور حول مذهب التطور Transformisme

وقد استعار بعضه عن فيلسوف طبيعي فرنساوي « لامارك » الذي سبق الكلام عنه

وتتلخص نظريته فيما يأتي :

جميع الانواع الحيوانية والنباتية الماضية والحالية متسلسلة بطريق التطور والتعاقب من ثلاثة أو اربعة أصول . وربما كانت من أصل واحد . اذ يقول : « ان المقارنة تذهب بي الى ابعد من ذلك أي الى الاعتقاد بان جميع الحيوانات وجميع النباتات تسلسلت من نوع واحد »

ولكي يفسر دارون هذا التطور استند على جملة قوانين فالكائنات الحية ، بدافع ناموس الارتقاء ، تميل الى التكاثر

بنسبة متجاوزة الحد . فتنقاد الى التزاحم الحيوي « أو النضال من أجل الحياة »

ونتيجة هذا النضال قتل جميع الافراد السفلى بأي صفة كانت لحفظ الاحسن وبقاء الاصلح وهذا هو « الانتخاب الطبيعي

وفي كل مرة يحصل هذا الانتخاب يرتقي العضو في طريق مهيأة له من قبل ولا يمكنه ان يحيد عنها ، خاضعاً في ذلك لقانون اختلاف الصفات . ثم عند ما تحين الفرص تتطبع أعضاء كل « ذات » بعوامل الوسط الذي وجدت فيه . ومن ذلك تنشأ أنواع جديدة مختلفة

وكل نوع قائم بذاته يجب ان يعتبر انه نوع وشيك يأخذ في الترقي تدريجياً

فالنوع الانساني لم يسلم ، بحسب هذه النظرية ، من قانون التطور . فهو متسلسل من قرد وصار في سبيل الارتقاء الى ان صار كما هو الآن

بيد ان دارون قرر انه لا يبحث عن مصدر القوى العقلية

هربرت سبنسر

H. Spencer

حياته — ولد هربرت سبنسر في مدينة دربي في ٢٧ابريل سنة ١٨٢٠

كان والده مدرساً وعمه قسيساً ومذهبهما في السياسة (راديكالى)

ولما كانت لهربرت الحرية التعليمية اهتم منذ صغره بالعلوم الطبيعية والمسائل السياسية مفضلا اياها على دراسة اللغات البائدة ورفض الدخول في المدارس الجامعة

ولما كان عمره سبعة عشر عاماً استخدم مهندساً في سكة حديد لوندره وبرمنجهام . وترك وظيفته وهو في السادسة والعشرين من عمره . ومن سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٣ كان سكرتيراً لادارة تحرير جريدة« الاقتصادي » The Economist

مؤلفاته : — الاصول الاولى : مبادىء واصول علم النفس واصول علم الاجتماع واصول علم لاخلاق

فلسفته تدور حول نظرية النشوء والارتقاء Evolutionisme

فلكي يفسر هربرت سبنسر قوانين العقل البشري اضاف الي نظرية (ميل)في العادة ، نظرية الوراثة ومضمونها: ان كل عادة

متى تقوت تصبح طبيعية اعني انها تتغلغل في تكوين الانسان وتصير آلية تتحرك من تلقاء ذاتها

وهذه الاستعدادات العضوية تنتقل بالوراثة، بمعنى اننا حال ولادتنا توجد فينا اختبارات الاجيال التي سبقتنا

فالوراثة في نظر سبنسر هي أصل المعارف العامة الضرورية

فهي عامة لان الانسان لا يمكنه ان يفلت من ان يرث بنى نوعه . وهي ضرورية لان الميراث محتم على الفرد كشيء واقع

وترتكز النظرية المذكورة على مبدأ قدم المادة وعدم فنائها (أي ازلية وابدية) اضف الى ذلك قانوني (دوام القوات) و (ارتداد الحركات المسببة عن الحوائل)

يوجد ارتداد اساسي ترجع اليه جميع الارتدادات ذلك هو الارتقاء والتفكك

« جميع الاشياء تنمو او تتلاشى ، تكثر المادة او تستهلكها هـذا هو تاريخ كل تكوين عضوي وهو أيضاً تاريخ كل ترقي وتقدم

فتكوين الارض ونمو الحياة على سطح البسيطة ثم نمو الهيئة البشرية . والحكومة والصناعة والتجارة . واللغة . وادابها . والعلم والفن .كلها تفترض وجود قانون النمو والتفكك

وعلى زعم سبنسر ، بخلاف ما رأى ستوات ميل . ليس العالم احتمال مستمر . بل هو شيء واقعي تشكل بصورة أخرى

فالظواهر الطبيعية والنفسية تتوازى على الدوام وهي مثال لحقيقة ذات مظهرين . غير ان تلك الحقيقة ظلت مجهولة

٩٠

فلسفة ايطاليا واسبانيا

تأثرت الفلسفة الايطالية بمذاهب المدارس الاجنبية أثناء الجيلين الاخيرين . فبعد ان كانت « حسية » في الجيل الثامن عشر . صارت في القرن التاسع عشر « عقلية » مع جالوپي . « وتصورية » مع روسميني وجوبرتي

بسكوالى جالوبى (١٧٧٠ — ١٨٤٦) P. Galluppi

ولد في مدينة تروبيا (بايطاليا) كان منتمياً الى المذهب الروحاني المسيحى وخصما لدوداً للمذهب الحسي . تعين مدرساً في مدينة نابولى وبقى في تدريس مذهبه حتى توفى في تلك المدينة

انطونيو روسمينى (١٧٩٧ — ١٨٥٥) A. Rosmini

ولد في مدينة روفردو بالقرب من ترانتا واندمج فى سلك الكهنوت واسس معهد الاحسان الذي كان اشبه بجمعية تضم العدد الوفير من القساوسة والعلمانيين النابهين . ثم تعين وزيراً للمعارف على عهد بيوس التاسع تحت رياسة رومي

كان عدواً لجوبرتي وللامنيه • اراد اخضاع الفلسفة للدين فتجاوزت نظرياته الحد وأدت به النتيجة الى ان قال بالمذهب التصوري أي المثالي

ورأيه ان الكليات التي قال بها الفيلسوف « كانت » ترجع جميعها الى كلية واحدة وهي الكائن أو معنى الوجود

فنسترو جوبرتي (١٨٠١ — ١٨٥٢) V. Gioberti

ولد في تورينو وحاز درجة دكتور في اللاهوت سنة ١٨٢٥ وكان منفياً سنة ١٨٢٣ لاشتراكه في مؤامرة سياسية . ثم انتخب مندوباً . وتعين وزيراً للخارجية سنة ١٨٤٨ فسفيراً في باريس

كتب كثيراً من المؤلفات السياسية والفلسفية والثوروية

وكان مناجزاً للامنيه وروسميني . بيد انه اتخذ نظرية هذا الاخير في « الكائن » وعدلها على طريقة ملبرانش بان قال ان « الكائن » موجود كامل وغير متناه . ويعرف باستطلاع باطني مباشرة . سواء كان في ذاته او في المخلوقات التي هي مظهر له

اما اشهر فلاسفة اسبانيا فاثنان :

جاك بلميس (١٨١٠ — ١٨٤٨) Balmes

ولد في فيش بكتالونيا

كتب جملة مؤلفات مهمة منها : كتاب « كيفية الوصول الى الحقيقة » وكتاب « الفلسفة الاساسية » والمقارنة بين البروتستانية والكاثوليكية في علاقتها بالمدنية الاوروبية

كانت فلسفته مزيج من نظريات ديكارت ولبنتز . والمدرسة الاسكتلندية .

دونوزو كورتيز (١٨٠٩ — ١٨٥٣) D. Cortes

ولد في الفال . كان خطيباً بليغاً يستحق ان يذكر في تاريخ الفلسفة لكتاباته عن الحرية والاشتراكية التي لا تخلو من النظر الصحيح والفكر الثاقب

كلمة ختامية

لقد وصلنا بتاريخ الفلسفة الى عتبة القرن العشرين . بعدان ذكرنا المذاهب الفلسفية ومدارسها وادوارها في دائرة الايجاز الغير مخل ولم نتعرض الى ذكر اسماء الفلاسفة العصريين امثال بول جانيه (١٨٢٣ — ١٨٩٩) ورافيسون (٢٨١٣ — ١٩٠٠) والفريد فوييه (١٨٣٨ — ١٩١٢) ووليم جيمس (١٨٤٢ — ١٩١٠) وغيرهم ممن لا يزالون في عالم الوجود من مشاهير المفكرين الغربيين فابحاثهم كثيرة كما ان مذاهبهم متشعبة أيضاً مما لا نستطيع ان نلم بها في هذا الموجز

وقد يقل هذا التشعب لو فهمت ماهية الفلسفة على حقيقتها اذ يتوقف عليها أعظم مظهر للحياة واحسن نظام للجمعيات وياحبذا لو عني مفكرو الشرق والناطقون بالضاد بالمباحث الفلسفية فاننا لا نكاد نعرف اكثر من بضعة افراد يهتمون بهذه المباحث اهتماماً هو دون القليل اصلح الله الاحوال

رسالة الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

حضرة حنا افندي أسعد فهمي

تصفحت كتابك تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها فرأيتك في ريعان الشباب تحذو حذو اكابر العلماء ، واعاظم الحكماء ، وأفاضل الكبراء . وما احوج أمتك الى كثير من أمثالك ذوي الجد والاقدام

لقد نبذت في غضون الشباب عوائده وربأت بنفسك ان تخنع الى العجز في حظائر الروايات الغرامية حاديث الهزلية التي عكف عليها الغافلون والشبان العاطلون ، وعلوت بعقلك الى مستوى تقطع دونه الاعناق كما تبين في مؤلفك (القوة الفكرية في المغنطيسية الحيوية) اذ نهجت فيه منهجاً يرفع العزائم ويقوي ارادة النفوس ويعرج بها الى الملأ الاعلى والمقام الرفيع . واني يستوي الفتيان : فتى يغوص في بحار العلم فيحظى بدررها من الايقان والايمان . وآخر ضل سواء السبيل فخلع العذار وهو يدعى انه بالفلسفة موصوف وبالعرفان معروف : — الا ساء مثل القوم الجاهلون !

اما كتابك هذا تاريخ الفلسفة فما اجدره بالشيوخ المجربين والعلماء المفكرين وأهل الرأي والعقول السليمة والنفوس الكبيرة . فلله درك من شاب نابغة ومصري باقعة

قدمت لاولى الالباب هدية نافعة · وذكرى جامعة . وجوهرة لامعة . ومصر اليوم يعوزها العقلاء المفكرون والفضلاء المذكرون ليتدبروا كتابك وليعلموا ما فيه من العبر وما تضمن من المبتدأ والخبر

ان العقول الانسانية قد تجلت في هذا الكتاب اشبه بما على الارض من جبالها واحجارها ورياضها ومزارعها وجناتها . قد نبت فيها الحب والعنب والقضب . والزيتون والنخل والحدائق الغلب . والفاكهة والاب . ومنها يكون السم والترياق والداء والدواء والمر والحلو

مذاهب الفلاسفة متفاوتة تفاوت ما على الارض من مزارع واشجار وجبال وليس يقدر على السير فيها وجني ثمارها والمشي في مناكبها وعقباتها الا القادرون الصابرون فاما من عداهم فانهم لا يفرقون بين الغث والثمين ويهلكون في عقباتها ويمرضون بما يتناولون من ثمراتها

هـذا وان الله قـد جعلك أيها الشاب حجة على بعض من يدعون الفلسـفة في ديارنا ممن طاشت احلامهم وخف مرتزقهم وقرأوا قليلا من العلم وضاق بهم ما كانوا به يستهزئون

الا فليقرأ كتابك العلماء وأولوا الالباب أولئك هم المفلحون

فهرست

المدة الثالثة

الجيل التاسع عشر

فرنسا

الفلسفة فى المانيا

الفلسفة الانجليزية